خمارة الشيخ مرسي

خمارة الشيخ مرسي
مجموعة قصصية
معتز هاني
الطبعة الأولي .. يناير ٢٠١٥

الغلاف : محمد عبد السلام
اخراج داخلي : الحلم للدعاية والاعلان

رقم الإيداع : ٢٠١٤/١٩٧٧٥
الترقيم الدولي : 978-977-6412-8-11

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف من شارع مؤسسة الزكاة - المرج
محمول : 01141824562
dar_el7elm@hotmail.com

خمارة الشيخ مرسي

مجموعة قصصية

معتز هاني

جميلة

الموسيقى تشع من الأستاذ سامح أينما ذهب.. سمعنا عن اليورانيوم المشع، ولكن الأستاذ سامح في منطقته هو «اللحن المشع»، خطواته كأنها رقصة على لحن بوب ديلان أو سيناترا.. هو عاشق للقديم، وفي بعض الأحيان يستمع للجديد.. بحكم سنه يميل أكثر لجيل سيناترا وراي تشارلز وغيرهما من المطربين الذين عشق الطرب والأغنيات من خلال أغانيهم..

عمره خمسة وستون عامًا.. شعره يميل إلى الشيب، ذو أنف دقيق وقامة قصيرة وعنق مكتنز.. بمناسبة عيده ميلاده الخامس والستين سيتحدث إلى جميلة.. وجميلة هي جارته التي تقطن في المنطقة منذ نحو عشر سنوات.. وكانت كما يقولون «اسمًا على مسمى».. عود رشيق سامق وملامح متراقصة كعلب الليل وعيون تشيع البهجة وكأنها مرشوشة بماء القديسين في دير الحسن..

كان الأستاذ سامح يحدث صديقه ويقول إن جميلة هي مثيلة آندروماك في الجمال حسب ما تقول الأسطورة.. أو هي ليدي هاملتون التي احتار الرسامون في محاولة رسمها حتى صنع رسام شهير أجمل لوحاته..

الأستاذ سامح يختلس النظر أحيانًا إلى جارته في الدور السابع ولا يرى إلا وجهًا ربيعيًّا نضرًا ينظر إليه في خجل أحيانًا.. لم يتحدث إليها من قبل ولكنه اكتفى بالنظرات.. وهو يمسك الدفتر الأزرق.. ودفتره الأزرق هو روحه

وعمره وشريانه لا يفارقه أبدًا ولا يعرف أحد السر.. تُرى ما سر الدفتر الأزرق الذي ينام في حضنه ليلاً ويجلس معه في المقهى صباحًا؟

وفي منزل جاره حسين، رحب به:

- أهلاً أهلاً سامح بيه.. نورتنا والله.

- أهلاً يا حسين.. يا رب تكون بخير أنت والأسرة..

- ماشوفناكش من زمان يا راجل تلاقيك كنت مشغول غرقان في بحر ألحانك وأغانيك.

سامح «يحرك أصابعه برشاقة»:

- فاكر اما كنت باغني مع «fly me to the moon».

- أيوه والله ده انت علّمت جيرانك يسمعوا أجنبي، حتى الأستاذ حلمي بقى بيسمع ساعة أم كلثوم وشوية أجنبي من بتاع زمان..

- هيموا وراء الفن، زي ما كان بيقول جبران.. وأي ألحان دي يا حسين، دي ألحان ملائكية.

- النهارده بقى عاملين لك غدا من اللي قلبك يحبه.

- أنا هاكلمها خلاص يا حسين.

حسين «يبلع ريقه في تعجب»:

- هتكلمها؟ في الجنينة؟!

- أيوه في الجنينة، هي كل يوم في الجنينة، وانا باخد الدفتر واروح وراها بس باخاف أكلمها.

- انت عارف إن أبوها بيخاف عليها موت، لو شافك معاها مش عارف رد فعله هيكون إيه يا سامح.

- أنا عامل حسابي على كل حاجة، بس لازم آخد الخطوة دي.. خطوة للحب، عشر خطوات للحياة.

- طيب بس ابقى طمني عملت إيه، ودلوقتي يلا بينا نتغدى.. عملت لنا إيه على الغدا يا أم سعيد؟

قالت زوجته:
- عملت كل اللي الأستاذ سامح بيحبه طبعًا، ده جارنا اللي بنعزه، يا ألف خطوة عزيزة.
تنظر الزوجة باستغراب إلى زوجها وتهمس له:
- هو حتى وهو بياكل شايل الدفتر الأزرق ده؟!
حسين «هامسًا»:
- هُس اسكتي انتِ صوتك عالي، كُلي وانتِ ساكتة وخلينا ناكل.. كلوا يا ولاد يلا.
سامح:
- ربنا يخليهم لك.. الأطفال أحباب الله.
وبعد شهر:
ضجة حول العمارة المقابلة للأستاذ سامح حتى سمع الأصوات وخرج إلى شرفته ينظر وبعض الناس يصيحون:
- الله يلعنه اللي كان السبب.. هو السبب.. هو اللي وصلها لكده.
جميلة وعائلتها أمام عربة كبيرة لنقل الأثاث ليخرجوا من المنطقة بلا عودة، هذا ما فهمه من إشارات الناس وغمزهم ولمزهم.. ينزل مسرعًا إلى الشارع ببيجامته دون أن يفكر حتى في تغيير ملابسه ويصيح:
- جميلة؟ رايحين على فين؟ قولي لي إيه اللي حصل يا جميلة؟ عملوا فيكي إيه؟
جميلة «واجمة تنظر حولها باستغراب وتدمع» ثم تصيح:
- بابا لا.. بابا لا..
يحاول الأستاذ سامح منعهم بالقوة، إلا أن الأب يلعنه ويهم عليه بقبضته، ولكن الجيران وأهل المنطقة يفضون الاشتباك فورًا دون حدوث خسائر غير سيل من اللعنات على الأستاذ سامح.. وصياح من جميلة:
- «برة برة لا لا».

بكى الأستاذ سامح لأول مرة لفراق جميلة.. لم يره أهل المنطقة يبكي من قبل ولا أمام أكثر الأغاني تأثيرًا لأنه كان يدخل في حالة تأمل.. فالحزن عنده تأمل.. ولكن حزن فراقه جميلة كان أغرب وأقسى..

صعد سريعًا إلى شقته.. أغلق الباب.. سمع جيرانه أصوات تحطيم النوافذ والمرآة.. وعم الصخب أرجاء الشقة.. وهرع إليه مثل الريح أستاذ حسين جاره وصديقه الوحيد صارخًا:

- ما تعملش كده يا سامح هتئذي نفسك، وحياة ولادي اللي بتحبهم يا شيخ افتح الباب..

خرج الأطفال يصيحون في خوف:

- عمو سامح.. عمو سامح..

رق قلبه لضعفهم وتوسلهم وفتح الباب في حسرة وجلس على الأرض وكأنه يشرب من كأس النحيب.. لم ينبس ببنت شفة، ولكنه هز رأسه متعجبًا لحسين وقال في النهاية:

- راحت.. جميلة راحت!!

وما زال الدفتر الأزرق بين يديه.. حتى عندما نسي ملابسه ونزل إلى الشارع إلى جميلة لم ينسَ الدفتر الأزرق.. حتى وهو يبكي ويحطم النوافذ كان يمسك الدفتر الأزرق..

حسين «متاثرًا» بحال جاره وصديقه:

- ما لك يا سامح؟ إيه اللي حصل؟ هو انت قابلتها؟ هو أبوها عرف حاجة؟ هو حد شافكوا في الجنينة؟

سامح «وهو يكفكف دموعه»:

- أنا هاحكيلك على كل حاجة يا حسين..

وبعد عدة أيام:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. وجاب المسدس منين بس؟ وإيه اللي وصله لكده؟

كان لسان حال الناس أمام حادث انتحار سامح يسأل في فضول «ما السر؟».. كانت الجثة ملقاة فوق الدفتر الأزرق وكأنه مشهد انتحار روميو وجوليت.. ألهذا الحد كان يعشق الدفتر الأزرق؟

كان الوحيد الذي يعرف سره وحكايته الأستاذ حسين.. حتى إن الشرطة سمحت له بحق الحصول على الدفتر الأزرق بعد أن اطلعوا عليه كاملاً، ولكنه طلب نسخة منه ليتفحصه ويعرف سره الآخر.. فالأستاذ حسين كان الوحيد الذي عرف حكاية جميلة، ولكن سامح لم يطلعه على سر الدفتر قط.. وفي الأربعين.. كان السرادق مليئًا بالفضوليين.. أربعين يومًا منذ الحادث وما زال أهل المنطقة يريدون معرفة السبب.. وحسين وحده يملك الإجابة وحل اللغز وفك الشيفرة..

جلس مع بعض الأصدقاء في المقهى بعد أيام من الأربعين وذكرى صديقه سامح، وفكر أن يحكي لهم القصة وكأنه يلقي حملاً ثقيلاً عن نفسه ويريح نفسه من هذا الثقل الجاثم.. فما أعتى قوة أسرار أهل الهوى إن لم تخرج وتسري مسرى الهواء الذي نتنفسه..

قال له أحدهم:

- انت الوحيد اللي عارف واحنا قاصدينك تقول لنا.. هو إيه اللي حصل؟

- قبل ما أقول لكم هو ليه انتحر خلوني أقرالكم جزء من دفتره الأزرق اللي كلكوا عارفين إنه مش بيمشي إلا بيه..

أحد الزبائن في المقهى:

- أيوه فعلاً دي حكاية عجيبة قوي، ده كل حركة معاه الدفتر، حتى على القهوة بينزل بيه والناس مسمياه «سامح الأزرق» على لون الدفتر ده..

قال حسين:

- أنا لقيته تحت جثته.. الله يرحمه.. وكأنهم ما افترقوش حتى يوم موته.. روح واحدة.. زي ما هو نفسه بيقول في صفحات الدفتر..

قال الزبون:

- طيب قول لنا إيه قصة الدفتر الأول..

قال حسين:

- شوف يا سيدي.. سامح كاتب في أول صفحة من الدفتر قبل أي حاجة جملة واحدة بتقول: «أحيانًا لا أعرف هل أنا هذا الدفتر وسطوره.. أم أنها تنهش جسدي لتكتب من تلقاء نفسها بحبر دمائي.. هل هذا الدفتر قلبي أم أن قلبي دفتر لشجون الناس وأوجاعهم وغربة حكايتهم وغرابتها؟

دفتري العزيز بدأت قصتنا يوم وداعي الأول.. يوم أن ودعتني الدنيا والحبيبة.. يوم أن ودعتني جميلة.. نعم.. إنها جميلة سيد عبد الرحمن التي جعلت من حواسي رهنًا لإشارتها.. وأطلقت على نفسي بتعبير البوذيين جملة (المولود مرتين).. نعم إن العاشق هو باختصار شديد (المولود مرتين).. فارقتني ولم أفارقها منذ أكثر من أربعين عامًا.. سأقولها لمن يقرأ هذا الدفتر الذي لن أفارقه بعد موتي.. نعم إنه تعويض عنها.. نعم إنه تجسيد جميلة..».

قاطعه أحد الحضور:

- جميلة مين؟ مين جميلة سيد عبد الرحمن دي؟ هو مش كانوا بيقولوا بيحب جميلة الرفاعي اللي ساكنة قدامه؟

رد حسين:

- دي حبيبته الأولى اللي ما حبش بعدها أبدًا..

قال زبون:

- طيب وجميلة جارته؟ هو ازاي يحب واحدة زي دي أصلاً؟ هو كان مجنون ولا إيه؟!

حسين «ينفجر غضبًا»:

- إخرس الله يلعنك.. انت اللي مجنون.. خدوا الراجل ده من هنا.. مش مكمل إلا لما يمشي..

ووسط انفجار الموقف والضجيج خرج الرجل منسحبًا أمام الجمع الذي يريد أن يسمع بقية القصة..

قال حسين:
- جميلة دي أشرف وأنضف إنسانة في المنطقة، وسامح زين الرجالة وأعقل من ألف واحد زي ده.
قال زبون آخر:
- خلاص.. إهدا يا أستاذ وكمل.. هو مشي خلاص.
- أنا هاكمل لكم من الدفتر تفاصيل اللقاء مع جميلة في الجنينة، اللي خلى أهلها يعزّلوا من المنطقة خوفًا من الفضيحة وكلام الناس.. شوف سامح قال إيه في صفحة مكتوب عليها «جميلة تبعث من جديد»: «جميلة تعود من جديد؟ اسمها جميلة؟ هذا ما عرفته اليوم.. أرى فيها نفس الشجن القديم.. نفس الهالة الصوفية الفاصلة بين روحي وجسدي.. هل جميلة بعثت من جديد في جسد فتاة عشرينية صغيرة السن؟
تُرى لماذا تتحرك بهذه الغرابة؟ لماذا يجلس معها أهلها دائمًا وكأنها طفلة في الثامنة؟ ما السر وراءك يا جميلة؟ يا لها من جيرة الهناء والسرور.. سأقولها للزمان مرة واحدة وقولاً واحدًا: إن من يقول لك إن الزمن كفيل بجراحك لم يشعر بجرح أو بالغ في تقدير الزمن.. ومن يقول لك إن ديمومة الحب الأول وهم لم يشعر بالحب الحق أو لم يدم له عزيز..
ومن يقول لك لا تضيع حياتك هباءً بعد الفراق لم يعرف أن هناك حياة قد تبدأ بعد الفراق واسألوا أهل الجنة لو رأيتموهم!!
جميلة تبعث من جديد؟ تخرج كل يوم إلى نفس الحديقة.. تخرج معها المربية وتجلس معها ساعة أو ساعتين.. منذ أن تابعت مواعيدها وعرفت أن اسمها جميلة وشعرت بنفس روح جميلة ترفرف حولي.. عرفت كل برنامج حياتها متى تخرج ومع من تجلس ومتى تخرج إلى الشرفة.. سهل جدًّا أن تتابع إنسانًا، ولكن الأهم أن تستطيع الوصول إلى وجدانه، فالبصر نعمة ولكن الشعور مكافأة..
حاولت لفترة طويلة أن أحدثها.. أعرف عنها أشياء أكثر من اسمها.. ولكن

دائمًا ما يراقبها والدها من بعيد من الشرفة، لأن الحديقة أمام شرفة بيته مباشرة، فهي دائمًا لا تغيب عن بصره.. فهي دائمًا تحت المراقبة..

في أحد الأيام تلصصت وعرفت أن الأب مسافر لفترة، وأن المربية فقط معها في الحديقة.. أكثر من ساعة وأنا أحاول أن أقنع المربية أن تجعلني أتحدث معها ولن أؤذيها.. بلا جدوى.. حاولت في اليوم الثاني والثالث والرابع.. وفي النهاية اقتنعت وقالت إني طيب القلب ولن أؤذي جميلة أبدًا.. خصوصًا أني قلت لها إني أحب جميلة..

صرخت المربية وقالت: بتحبها؟! إزاي؟!».

يقاطع زبون:

- وهو صحيح كان بيحبها ازاي؟

رد حسين:

- استنى هاكمل لك الحكاية هو ما كانش بيحبها، ولكن كان شايف فيها تجسيد لجميلة حبيبته القديمة، ووجد في تشابه الاسم والروح شيء يجذبه إليها، ولكن اعترف إنه ما كانش بيحبها وإنما كان بيناديها وكأنها جميلة سيد عبد الرحمن، حبيبته القديمة..

اسمع بقى من غير ما تقاطع باقي اللي هو كاتبه: «جلست بعد إقناع المربية حولها سألتها:

- اسمك؟

نظرت حولها في حيرة وقطفت زهرة وأهدتها إلي وقالت:

- جميلة.. جميلة.. جميلة.

قلت في تعجب:

- جميلة فعلاً.

ظلت تمعن في تفاصيلي وسألتني:

- الحياة؟

- هي الحب.

- والحب؟
- هو الحياة والنور.
- الحياة هي الحب والحب هو الحياة والنور؟ هل الحب يحتوي نفسه إذًا؟
كان سؤالاً فلسفيًّا منها وقلت:
- مقياس ويقاس عليه ويقاس به.
- وهل هذا ممكن؟
- مثل عينيك فهما مقياس لسرعة الضوء الملائكي.. ويقاس عليهما جمال الدنيا.
- تتفلسف؟
- تفلسفتِ أولاً بلسانك وبرمشك السابح في دمائي.
- ألا تخاف الناس؟
- أحتويهم في دفتر..
- لتشعر بقربهم؟
- لأشعر بغدرهم.
- ستحبني للأبد؟
- حسبك..أنا الأبدية.
قالت «وهي تبتسم»:
- يا لغرورك.. وأنا إذًا الأبجدية.
- أعرف وأرى حروفك تكتبني كل دقيقة..
- بأي لغة أكتبك؟
- بما لم ينطقه البشر بعد..
- أنت منطوق ولست مقروءًا؟
- فقط أنتِ من يقرأني كتابًا ويغلقني في رف مكتبة بأتربة روحي العاشقة.
- مثالي؟
- المثالية في حضرة الجمال واقع.

- إذًا واقعي؟
- الواقعية في حضرة لقائك عالم مسحور.
- من أنت إذًا؟ وما أنت؟ ولماذا أنت؟
- من أنا.. تحددينه.. ما أنا.. خلقتِه.. لماذا أنا.. حقًا.. لماذا أنا؟
قالت «في خجل أنثوي لطيف»:
- اسأل «كيوبيد».
- رحماك ربي من رقة النساء..
انتهى لقاؤنا الأول.. وكان لقاؤنا الثاني بعد فترة وسأرويه بالتفصيل..».
قال الناس في المقهى:
- إزاي الكلام ده؟ بالعقل كده ازاي؟ جميلة؟ بتحبه وكلمته؟ ده جنان إيه ده يا ناس؟!
قال زبون آخر:
- الراجل ده بيهرج؟ الحكاية دي ما حصلتش.. جميلة مش ممكن تعمل كده ولا تحب واحد أد جدها، ولا هي عارفاه أساسًا..
رد حسين في غضب:
- يا نااااااااس اسمعوا بقى وبلاش مقاطعة الحكاية ما خلصتش.. هتعرفوا كل حاجة.. الدفتر شارح نفسه.
رد زبون:
- طيب قول يا سيدي الكلام ده ولا الشعر.. الراجل ده كان بيكتب بقى طول اليوم واحنا مش داريين بيه.
قال حسين:
- أيوه سامح - الله يرحمه - كان بيحب الكتابة.. واسمعوا بقية اللي قاله: «في اللقاء الثاني تأتي دائمًا اللهفة.. فاللهفة صديقة اللقاء الثاني أكثر من اللقاء الأول.. فالحيرة هي صديقة اللقاء الأول.. حيرة الاكتشاف والخوف.. بينما في اللقاء الثاني تكون لهفة العاشق هي القوة الوحيدة الدافعة.. لهفة لمزيد من

الحب لينهل من فيض عطاء الحب وديمومة سقياه..
أمسكت يدها ومعي زهرة وقلت:
- لكِ.
- لي؟
- زهرة لزهرة في حديقة.. يا لها من صورة.
- صدمة.
- لماذا؟
- فراق.
- موتي..
- ليس بيدي.
- وداع جميل منمق.
- لا تصدقني.
- لا أصدق لحظات الهجر فهي دائمًا كاذبة بشكل ما.
- وأين الصدق فيها؟
- لحظة الحضن الأخير.
- أعطني الصدق إذًا في خضم هذا العذاب والكذب وترقيع الواقع.. أعطني لحظة حقيقية أواجه بها أشباح كياني المفارق وخبيئتي الغارقة.
احتضنتها وقبلتها وبكينا.. أكثر من سبب للوداع دائمًا دون أن تعرف السبب الحقيقي، ولكنك تودع مثل المجبر..
كنت مثل طير مالك الحزين أعزف أجمل ألحاني في لحظة الألم.. ويا له من ألم..
وجدت الناس حولي وسمعت أصواتًا تصيح وفضيحة مدوية في وسط الحديقة.. وهربت جميلة.. وكانت آخر كلماتها: ماما.. حبيبي يا ماما.. حبي يا ماما.
وخرجت من المنطقة بلا عودة، ولم أجد أثرًا لجميلة أخرى.. فاخترت النهاية

الجميلة.. فوق دفتري الجميل..».

قال أحد زبائن المقهى:

- الله عليك.. ده ولا أفلام السيما.. بس برضه ما فهمتش الحتة الأخيرة.. جميلة أكيد ما اتكلمتش خالص.

رد حسين:

- يا جماعة ما انتو عارفين حالة جميلة..

قال آخر:

- لا مؤاخذة عندها لطف؟

رد حسين «مستهزئًا»:

- في مجتمعنا المختل ممكن تقول عليه لطف.. إنما دي حالة اسمها «توحد».

سأل زبون:

- توحد؟

قال حسين:

- جميلة ما كلمتوش ولا كلمة في الجنينة، كل ده من صنع خياله.. هو كان بيكلمها وبيرد على نفسه في الدفتر، وبيتخيلها جميلة حبيبته القديمة.

قال زبون:

- يا دين النبي!

رد حسين:

- إنما الناس اتلموا فعلا ساعة ما حضنها وحاول يبوسها وهي مستغربة، والدادة كانت بتزعق والأب شافهم، وكانت مشكلة كبيرة يوم ما عزلوا من المنطقة.

سأل زبون:

- طيب وباقي الدفتر يا أستاذ؟

خرج حسين من المقهى شاردًا ولم يجب عن السؤال الأخير.. فعلاً ماذا يوجد في بقية الدفتر العملاق؟ إن حكاية جميلة بضع صفحات، ولكن ماذا يحتوي

بقية الدفتر؟

دخل إلى بيته فوجد زوجته في انتظاره وقالت له نفس السؤال:

- وبقية الدفتر كان فيه إيه يا حسين؟

دمعت عيناه وقال لها:

- كانت حكاياته مع أكتر من جميلة في كل مكان.. في كل بلد.. في كل زمن.. جميلة مختلفة بشكلها وباسمها ولكن بيتخيلها هو بعينه جميلة سيد عبد الرحمن، ومش بيشوف غيرها.. أكتر من ألف حكاية.. في حديقة في سفينة في بيت في حارة في شارع في كل مكان وزمان.. دفتر أزرق بيلخص رحلة بحثه عن جميلة بعد الفراق.

- عشان كده كان بيتكلم عن الفراق في اللقاء الثاني؟ هو كان يقصد جميلة أول حب ليه مش جميلة جارتنا.

- جميلة اتعلقت بيه فعلا، ده اللي عرفته من أبوها.. ودي مشكلة تانية.

- جميلة بتاعتنا؟ إزاي؟

- بدأت تسأل عليه وتخرج من حالتها.. وكأنها في حالة سحر.. حتى الدكاترة مش لاقيين تفسير.. شيء غريب وكأنه ميتافيزيقا مش علاج حالة..

- سألت على المرحوم سامح؟

- أبوها جالي وعرف الخبر وبكى كتير لأن البنت في حالة صعبة وكل يوم بتسأل عليه وبتخبط على الأرض بعصبية وبتقول: سامح حبيبي.. لحد ما بدأت تشفى تدريجيًّا بما يشبه المعجزة.

- فعلاً بقالها عايشة قدامنا سنين قولنا حالتها مالهاش حل.

- أنا داخل أوضة المكتب.

وأمسك ورقة في نهاية الدفتر مزقها ووضعها في مكان بعيد عن الدفتر.. كان مكتوبًا فيها «لا أعرف كيف حدث بعد ألف جميلة وجميلة.. أن شعرت وكذبت نفسي.. أني أحب جميلة الرفاعي كما أحببت جميلة سيد عبد الرحمن؟!».

قال لنفسه:

- مكتوب عليك الفراق دائمًا يا صديقي.. يا لها من معجزة.

اصبغي شعرك باللون الأحمر من أجلي

«اصبغي شعرك بالأحمر من أجلي.. صدقيني سيكون الأفضل».
هكذا كنت أقول لها دائمًا.. واقتنعت في البداية ثم نزعت الفكرة من رأسها بملقاط في النهاية.. هل تظن أنها رغبة في تحسين مظهرها أم الاهتمام مثلا بآخر صيحات الموضة؟ فريدة بالفعل هي آخر صيحات الموضة ولا تحتاج إلى أي تجميل فوق جمالها الرشيق الدافئ..
أين أنا الآن؟ ربما تسألون حتى من أنا.. هكذا يسأل الجميع كلما مررت في حارة أو هربت إلى عطفة أو حتى خرابة.. أنا مطارد حتى النخاع.. مطارد من الشرطة والضمير والحب..
اسمي ياسين الوكيل، من أسرة ميسورة الحال، وهو التعريف المخفف لمصطلح «برجوازية» إن أردت التعبير بذلك.. وهذا الدفء المالي جعلهم لا يهتمون كثيرًا بحال البلد.. فأحيانًا كثرة المال تقتل فينا الإحساس بمشاكل الأقل منا.. إلا أنني كنت دائمًا أطمح في أن أجعل هذا البلد جديرًا بالعيش فيه.. وطنًا حقيقيًّا وليس كما هو حال الأوطان في الأغاني الوطنية التي تشعر بعدها أنك ملك العالم وأنت تعيش في وهم الملكية!
يسألونك عن فريدة.. قل هي حبيبتي..
فريدة التهامي، من أسرة متوسطة الحال، سليلة حسب ونسب سياسي لا اجتماعي.. معظم أفراد عائلتها مناضلون أو استشهدوا في حروب أو عمليات

فدائية أيام الإنجليز.. بلغة هذا العصر تستطيع أن تقول إن فريدة هي الأميرة ديانا في رقة القلب والتعاطف مع الفقراء.. بالإضافة لنضالها الدائم وحروب الكلمة التي تخوضها في صحف كثيرة..

كان حبي لفريدة حبًّا من أول نظرة أيام الجامعة.. رغم انشغالها بالسياسة.. وكنت أرى هذا ضد طبيعة المرأة عمومًا، أن يكون الانشغال لهذه الدرجة.. إلا أنني رأيت في عينيها أن لا عاصم لي من العشق..

بدأت أتقرب إلى الأسرة الجامعية وأسمع الأفكار عن الحرية والمساواة.. جعلتني أقرأ لفولتير وروسو وجون لوك وغيرهم.. بدأت أخذ منحى مختلف في حياتي، وهكذا يفعل الحب في العشاق.. يحيد بك عن دربك لتبدأ البحث عن طريق جديد على يد معشوقك..

«كل الطرق تؤدي إلى روما.. هذا بلغة الخرائط.. وكل الطرق تؤدي إلى العشق.. هذا بلغة القلوب».

صارحتها بحبي وقالت إنها شعرت بي منذ البداية، وإن أفكارنا أصبحت متقاربة.. سألتني مرة:

- هل حقًّا تؤمن بأفكار أسرتنا أم أن حبك هو الذي جعلك تؤمن بها؟

- في البداية كان حبي والآن اقتناعي الكامل أن لا سبيل إلا العدالة والحرية والمساواة..

شجعتني كثيرًا على أن أقدم مشروعي لزراعة أراضٍ صحراوية إلى الحكومة، وقالت إن معارفي من المهمين يمكن أن يساعدوني في لقاء مناصب رفيعة في الحكومة لمحادثتهم.. كان لدي مشروع نراه جميعًا أنا والأسرة سيغير حال البلد إلى الأفضل.. وهنا كلمة السر.. «التغيير».. إنه هوسي وجنوني وشوقي الدائم.. أنا أسير التغيير.. لا بد للعالم أن يتغير.. الله يعطينا الشمس نفسها كل صباح ولكنه أعطاك القدرة لتراها مختلفة في كل يوم..

تستطيع أن تغير العالم بنظرتك وبإحساسك وبفعلك.. الله أعطانا زقزقة العصافير نفسها كل يوم، ولكنه أعطانا القدرة على سماعها ألحانًا مختلفة إن

أردنا في كل مرة، على الأغصان..
التغيير والتجديد في العالم أمرنا به الله، وأمرنا أن نفكر ونبدع ونخلق عالمًا جديدًا ونتطور.. ولكن هذا البلد لا يتغير.. هذا الوطن الذي شغلته «الأوبريتات» عن الرؤساء عن «أوبريت» الجوع والصخور المهزومة في الدويقة والعشوائيات.. هذا الوطن الذي شبهوه بامرأة والزعماء يغتصبونها كل صباح مع فنجان القهوة.. هذا الوطن الذي قالوا عنه إنه «الأم» ثم لا يسهر على راحة أبنائه مثل الأمهات، ولكنه ظل يخيفنا مثل «أمنا الغولة» بفعل من يملكون زمامه..
لماذا تموت الحقائق في وطن المصادفات؟! ألا يمكن أن تكون الصدفة حقيقة يا فريدة؟ هكذا سألتها في إحدى المرات التي جمعتنا في كافيتريا الجامعة..
قالت:
- وصدفة حبنا؟
- لا أؤمن أبدًا بصدفة الحب، بل أؤمن بقدريته وقدرته..!!
- فهو ليس اختيارًا؟
- هو من أشار إلى هاتين العينين.. وأنا الذي اخترت فيهما طريقي..
كانت هذه الأيام في السبعينات.. نحن الآن في عام ٢٠١٣.. وأنا هارب في أحد الأزقة في العتبة كي لا يعرف طريقي أحد.. أشعث الشعر ممزق الملابس أنام في إحدى العشش التي لا يعرف لها أحد طريقًا.. ولكن لماذا؟
سأحكي لكم باقي الحكاية..
عندما أقنعتني فريدة بالذهاب لعرض مشروعي.. سألت والدي الذي لم يكن مقتنعًا بمساعدة الفقراء، فالمال سلطانه الوحيد، ولكنه لأنه يحبني، عرفني إلى أحد أكبر المناصب في الحكومة لأعرض عليه فكرتي..
وفي أحد المكاتب الحكومية في السبعينات.. دخلت المكتب المليء بالأثاث بعد بهو واسع ومكتب سكرتارية مليء بالحسناوات.. وقالت لي إحداهن:
- اتفضل.. معالي الباشا في انتظارك..

- معالي الباشا.. إزاي معاليك.. أنا سعيد إني شوفت حضرتك، وان شاء الله مش هاخد من وقتك كتير..
- أهلاً أهلاً يا فريد بيه، والدي حدثني عن نشاطك، وأنا مهتم يا سيدي وكلي آذان صاغية طالما حاجة بتخدم البلد..
- أكيد يا باشا، أنا متأكد من ولائكم للبلد..
بالطبع قلت كلمتي الأخيرة وأنا متأكد تمامًا من ولائهم للمال وبقايا البلد بعد خرابها في كروشهم السمينة..
قال الباشا:
- ومشروعك ده عن إيه يا سيدي الفاضل؟
- مشروعي خير كبير للفقراء، زراعة فدادين في سيناء تقلل من استيراد البلد لبعض المحاصيل على المدى الطويل، وكمان يدي فرص عمل كتير قوي للفقراء من أبناء البلد..
قال الباشا «ممتعضا»:
- الفقراء من أبناء البلد.. هه؟ عظيم عظيم..
قلب في الأوراق بعدم اكتراث واضح وأشعل سيجاره الكوبي الضخم الذي يشرب فيه جماجم فقراء البلد الذين نتحدث عنهم وينظر إلي بسخرية خفية ويقول:
- طيب يا سيدي أنا هاعرضه على أعلى الجهات، وشهر وهاكلمك ونقول لك وصلنا لإيه بالظبط..
خرجت من المكتب في شبه يأس.. لا أتذكر إلا مشهد السيجار الكوبي الذي حرق معه أحلامي في مساعدة الفقراء.. وقلت لنفسي: مستحيل أن ينفذ مشروع أمل في حكومة يأس.. هذه الحكومة لا تريد إلا البقاء للأقوى ولا تريد للفقير حياة ولا مكانًا ولا تريد إلا صوتًا انتخابيًّا.. إن كان حتى الفقير يملكه!!
مرت شهور ولم يتصل بي أحد.. مات والدي صاحب العلاقات الواسعة

وأصبحنا من بعده بلا علاقات تذكر، ولا أستطيع الآن حتى أن أقابل الباشا من جديد، لأن العلاقات القائمة على المصالح تكون دائمًا في انتظار قطعها للتخلص من أحد الالتزامات.. وفعلاً ذهبت مرتين إلى مكتب الباشا محاولا مقابلته لمعرفة ما سيحدث ودائمًا كانت الإجابة: «الباشا مشغول»..

«الباشا مشغول» هي كلمة حكومية بامتياز.. تشعر أنه خط تليفوني مشغول أمام مكالمات الجوعى والمحرومين.. مشغول بعد أموال الفساد والبطش وأكوام قمامة الضمير العفنة..

اجتمعت بفريدة والشباب.. تظاهرت من قلبي لأول مرة مع أسرة الجامعة وظللت أصيح بضرورة التغيير.. ولا شيء يتغير..

حبسوني في أحد المعتقلات بسبب المظاهرات..

الموضوع أخذ أكبر من حجمه.. اتهموني بالتهمة المعروفة (قلب نظام الحكم) التي يتهم فيها دائمًا كل من هو ضد الفساد.. وكيف أقلب نظام الحكم وهو مقلوب دائمًا؟ وأي نظام يتحدثون عنه؟ إنه «فوضى الحكم»..

سنوات طويلة لي في السجن لم يزرني إلا فريدة وأمي حتى تُوفيت في الثمانينات.. وخرجت أنا في التسعينات على عهد حاكم جديد بعد الرئيس الراحل.. ولكن لم يرحل الفساد.. «رئيس راحل لا نظام راحل» هكذا هو حال البلد دائمًا..

لم يهون على الأيام إلا عيون فريدة في زيارتها الأسبوعية ودعوات أمي الدائمة التي كانت تلعن الحكومة والفساد والعلاقات القائمة على المصالح، فلو كان أبي حيًّا لما تم حبسي، ولكن «مات الملك عاش الملك»، فعندما توفي والدي كانت جميع العلاقات مهب الريح.. وأصبحت ككل المواطنين «مواطن درجة ثالثة».. «مواطن ترسو»..

خرجت في منتصف التسعينات.. من سجني على امل جديد في عهد رئيس جديد..

حاولت أن أعرض مشروعي من جديد.. لم أيأس قط.. وهذه هي مصيبتي..

فاليأس في بلد اليأس راحة!
في أحد مكاتب الحكومة في التسعينات.. نفس البهو، وحسناوات جديدة في السكرتارية، إلا أنهن على موضة التسعينات لا السبعينات.. ونفس الجملة: «اتفضل الباشا في انتظارك».
كانت المقابلة هذه المرة بعد إصرار وليس بسبب العلاقات كما في السبعينات، ولكن يبقى الحال كما هو عليه..
قال الباشا الجديد:
- آه عظيم عظيم.. مشروع للفقراء.. عظيم جدًا.. شيء هايل.. حقيقة يا ابني إنك تحب تخدم البلد..
يشعل نفس السيجار الغليظ الذي ينزل دخانه على جسدي مثل الكرباج في المعتقلات.. لا أتمالك نفسي.. لا شيء يتغير.. أصيح بصوت عالٍ:
- كفاية فساد بقى.. يا نظام أجوف وحقير..
ينظر إليّ الباشا الجديد في دهشة ويقول:
- نظام أجوف وحقير؟ مش عاجبك النظام؟ يعني عايز تقلبه؟
قلت في غضب:
- أقلب إيه يا بلد مقلوبة، الفاسدين على قمة هرمها والفقراء قاعدة جثث سنداها.. فين قوت الشعب يا شعب القوت؟ في كروشكم؟
ما الذي حدث بعد تلك المشاجرة التي وصلت إلى اللكم بالأيدي؟ طبعًا حبس جديد ولا تغيير.. تهمة جديدة «قلب نظام الحكم» في عصر الرئيس الجديد..
خرجت في عام ٢٠٠٩.. سني كبرت ولكن فريدة وافقت على الزواج بي فأنا رفيق كفاحها وقلبها.. ويوم العرس قالت لي فريدة:
- لا لا ما تشوفش الفستان قبل الفرح، ده فال مش حلو.
- مش مهم الفستان.. انت الفال الحلو.. بس يا سلام لو تصبغي شعرك باللون الأحمر.. صدقيني مفيش أحسن من التغيير..

- اللي يعجبك يا حبيبي هاعمله..

وبعد شهور من الزواج أصبح الموضوع متوحشًا.. تذهب فريدة إلى إحدى العيادات النفسية للشكوى مما يفعله زوجها.. جعلتها مثل المهرج.. كل يوم صبغة بالأمر وأحيانًا بالضرب.. كل يوم تغيير لون «المانيكير».. كل يوم تغيير حتى لون الملابس الداخلية..

صحت في وجهها في مرة وقلت:

- أيوه التغيير.. التغيير اللي انا عايزه أحسن من الوقعة اللي انتو عايزيني أعيش فيها..

- يا فريد أنا مش عروسة لعبة اشتريتها.. أنا إنسانة من حقي أرفض.. من حقي أقول لأ.

قلت وأنا أمسك بشعرها:

- وانا من حقي أقول تغيير.. مفيش حاجة هتتغير إلا بأمري.. كل حاجة هتتغير بأمري.. سنين سنين ومفيش حاجة بتتغير كل حاجة في الدرج.. ليه كل حاجة وكل ملف بيفضل في الدرج؟! التغيير هو الحل..

شعرت فريدة أني مجنون وأن مرضًا نفسيًّا ما قد أصابني.. وبدأت أدمن كلمة التغيير بشكل هوسي لأني لم أستطع في يوم أن أغير أي شيء.. كل الأفكار في الحكومة حبيسة الأدراج ولا يتغير البلد ولا يتغير النظام وإن رحل رئيس.. قاومتني بعنف وأمسكت بزجاجة كبيرة تهددني بها لو اقتربت.. وامسكت الزجاجة ولم أشعر إلا وأنا أضربها بها على رأسها ضربة أسقطتها على حافة المنضدة وخرت صريعة..

صحت كالمجنون في وقتها وقلت:

- اهو ده في حد ذاته تغيير.. الدم ده تغيير.. كل حاجة غريبة تغيير.. التغيير هو الحل يا بلد ما بتتغيرش..

كنت أمسك ملفًا في يدي اسمه ملف التغيير كتبت فيه كم مرة غيرت فيها فريدة لون شعرها وألوان ملابسها الداخلية..

قالت مرة:
- شعري الأحمر أفضل ولا الأخضر؟ أول مرة حد يقول لمراته اصبغي شعرك أخضر..
- هاتشوفي معايا دايمًا أول مرة كتير..
لم أتمالك نفسي بعد أن رأيت فريدة على الأرض، ضاعت كل مشاعري ما بين المعتقلات.. على كل جدار نبضة قلب أصبحت سوداء لا تعرف الحب ولا تعرف إلا لغات الجلادين.. وإذا تم جلد القلب باليأس ماتت المشاعر..
أخذت الجثة وقطعتها ووضعتها في إحدى الحقائب، ومسحت الأرض مسحًا كاملاً كي لا يظهر أي اثر للجثة أو للدماء على السجادة.. أصبحت فريدة مفقودة.. حتى الطبيب النفسي الذي كانت تذهب إليه أفادني وشهد في شهادته أنها كانت تعاني فعلاً في الفترة الأخيرة، وربما هربت أو انتحرت، مما أبعد التهمة عني قليلاً..
ولكن الخوف أصبح هو سمة حياتي.. هربت من بيتي وسكنت في إحدى الحارات الفقيرة لم أعد أعرف إلا «منقوع البراطيش» في تلك الحانة المجهولة التي ليس لها موقع على الخريطة، والعاهرات اللاتي أجلس وسطهن في بيت المعلمة جلجلة..
وفي إحدى المرات لم أقاوم رغبتي وذهبت إلى المعلمة جلجلة وطلبت منها ساعة حظ.. أعطتني سيدة الشقراء «المُلعب» كما يسمونها.. وقالت لي: «خد دي انت ابن حلال»..
لا أعرف كيف أكون ابن حلال وتكون بركتي ومكافأتي عاهرة!! من غرائب الناس حقًّا هذه الجملة.. أن تقرأ «الفاتحة» وأنت تسرق، أو أن تدعي الله أن يهديك إلى طريق عاهرة!!
الحارة الآن مقلوبة.. أخبار الصحف التي أقرأها وأنا هارب تقول: «وفاة سيدة على يد مهووس الصبغة».
وصفوني بـ«مهووس الصبغة».. لم يعرفوا من أنا ولا أي تفاصيل عني فأنا

كنت هاربًا وسكنت عند المعلمة جلجلة لأنها لا تريد أن تعرف أي تفاصيل عني، وهي من عاداتها أن تؤوي المجرمين مقابل أجر جيد، فهي لم تعرف حتى اسمي الحقيقي، ولهذا وصفوني بـ«مهووس الصبغة».. ألف لون ولون صبغت به شعر سيدة في كل يوم.. قتلتها وهي ترفض في يوم ما.. كل من يرفض التغيير سأقتله.. نعم جعلوني وحشًا وسأرضى بما أنا فيه..

ثورة يناير ٢٠١١ بعد هروبي لشهور في حارة مجهولة أخرى من عشوائيات بلدي..

نزلت أكتب على كل الجدران.. «لا شيء سيتغير.. ما يحدث مجرد تغيير الصبغة.. والأصل القذر واحد»..

سامحيني يا فريدة.. وسامحيني يا سيدة..

في مجتمع القوقعة لا شيء يتغير إلا ألوان الشعر!!

قواعد القلب الإحدى والأربعون

هناك أيام تشعر معها بالاستثنائية.. منذ الصباح تجد في الشمس يقظة غير عادية، إشارات غير عادية، ابتسامات من الناس من دون أسباب واضحة.. ولكن في نهاية اليوم تعرف أن البشر والشمس كانوا دفوفًا لحفلة نبض متراقص ووليمة حب فينوسي..

هكذا كان يشعر عمر في بداية يومه.. كان يشعر أن اليوم يحمل بشارة غربة جديدة، تعويذة تقديرها «هي».. وجعًا مبنيًّا للمجهول تقديره «أنثى»..

ذهب عمر إلى المكتبة ليكمل بعض الكتب في مكتبته فهو يهوى القراءة كما يهوى الكحل في عيون النساء.. كان يقول إن القراءة وطن موازٍ له سلامه الوطني العقلي وسلامه وحربه وشخصياته وأماكنه.. وما بين وطنه الأم ووطن القراءة كان يقول إنه ما بين الوطنين كأنه «رهين» كما كان الشاعر القديم رهين المحبسين..

ذهب إلى المكتبة في الوقت الذي اختاره ولكنه لم يعرف أن الوقت هو الذي اختاره، فالأوقات أيضًا لها حرية الاختيار أحيانًا..

دخل إلى هذا العالم وألقى نظرة خاطفة حوله لم يجد غير مكان ضيق وشاب وامرأة لا يظهر منها غير طرف «الإيشارب» من فوق شاشة كمبيوتر فقد كانت منهمكة في شيء ما تشاهده حينها.. بدأ يقلب ما بين الرفوف يبحث عن بعض الروايات والمسرحيات دون مساعدة من أصحاب المكتبة.. لم يكن

الشاب الموجود حينها إلا أحد الزبائن، أخذ الكتب وغادر المكان ليمهد للقدر أن يطبق الأخشبين على قلب عمر ويقلب حياته في هذا «الزمكان»، على حد التعبير الشائع..

زمان ومكان.. وقلب سيتحطم.. هذه هي معادلة الملائكة الآن في تجربتهم المعملية التي يضعون فيها نبض عمر كأنه حامض ونظرة عيونها كمادة أخرى ليحدث انفجار معملي لا يبشر إلا بحب جديد!!

قالت في هدوء رزين:

- تحب أساعدك؟

آه كم يكره عمر هذه الجملة! فهو يريد أن يأخذ كامل حريته في اختيار ما يريد، ولا يحب أن يجد الوصاية من أحد على ذوقه الشخصي بهذه الجملة البلهاء في كل محلات الملابس، وأحيانًا المكتبات، «تحب أساعدك؟» وكأنه عاجز عن الاختيار مثلاً ولا يحكم تصرفاته.

نظر في عصبية خلفه وقال:

- لو ممكن.. «تمتمة غير مفهومة»..

error >> system halted

هكذا كانت إشارات عقله حين التفت إليها كما هي رسائل الكمبيوتر المزعجة.. لم يدرِ ما قاله في آخر الجملة، شعر حينها أنه تقمص شخصية إيليا أبو ماضي في قصيدة «لما رأيت الورد» أنشد جزءًا من شعر إيليا وقال:

- وَلِذاكَ قَد صَيَّرتُ قَلبي نَحلَة

يا جَنَّتي كَيما يَحومُ عَلَيكِ

روحي فِداؤُكِ إِنَّها لَو لَم تَكُن

في راحَتَيكِ هَوَت عَلى قَدَمَيكِ

من هي؟ صاحبة مكتبة أم جنية السطور والقدر المسطور؟

شعر بأن عينيها مشبعتان بعناوين الكتب، فهاتين العينين هما «النداهة»، كما هو اسم كتاب يوسف إدريس أمامه على الرف.. أو هما باختصار «قصة

مدينتين» رائعة تشارلز ديكنز.. نعم إنهما مدينتان، بل هما مهد حضارة قلبه القادمة..

قال في «لجلجة» واضحة:

- آه.. لا.. إيه.. يا ريت تساعديني..

وكأنه يقول لها ساعديني كي أحيا حياتي العادية بعد هذا اللقاء.. ساعديني على الخروج من بين أطلال قلبي آمنًا مطمئنًّا.. ساعديني أن أعبر ببراق حبي إلى سدرة منتهى رموشك العاصفة بروحي..

قالت:

- أنا عندي ليك اقتراح.. كتاب قريته وهانصحك بيه..

قال لنفسه تُرى هل هو كتاب الحب.. لا تنصحيني فأنتِ الحكمة وتمام الكلمة ونور الحقيقة والبيان.. إن من البيان لسحرًا وإن من عينيك لبدرًا..

قال:

- اسمه إيه الكتاب؟

- «قواعد العشق الأربعون».. لكاتبة اسمها إليف شافاق، عن الشاعر الصوفي جلال الدين الرومي وشمس الدين التبريزي.. بجد كتاب مدهش..

صال وجال في عقله وتقوقع داخله كما المجنون.. «قواعد العشق الأربعون»؟ أليس هو الكتاب الذي يبحث عنه منذ فترة؟ كيف عرفت ما يدور في خلده؟ هل هي ساحرة؟ نعم بالطبع أيها الأحمق إنها ساحرة أنت تقصد أن تقول هل هي عالمة ببواطن الأمور؟

جلال الدين الرومي.. يا له من صوفي عظيم وكأنه يرى أمامه الآن قوله حين قال:

«لا رفيقَ سوى العشقِ.

طريقٌ، دون بدءٍ أو نهاية».

كانوا قديمًا في المعارك يأكلون قلب عدوهم الشجاع لأنهم يعتقدون أنهم سيكتسبون صفة الشجاعة حينما يأكلون قلبه.. وكأن قلبه محمل بالصفات..

تمنى في هذه اللحظة أن يأكل قلبها نهمًا وعشقًا ليكتسب كل صفات الأرض.. ليصبح الأوحد والأجمل والأبرع والأشهى..

كأنه يريد أن يصبح سطرًا في «نشيد الإنشاد» ويراها أمامه «شولميت» الفاتنة.. أو يريد أن يصبح إحدى قصص «الديكاميرون» الإيطالية في كل ليلة قصة في هواها..

قال بعد وقت شرد فيه في النظرات:

- الكتاب ده موجود دلوقت.. أنا فعلا بادور عليه.

قالت وهي تبتسم ابتسامة تقتله:

- ياه.. أنا أقنعتك كده على طول؟ ما كنتش اتخيل إنك هتقتنع بذوقي بسرعة كده.

قال وهو يتمتم:

- ده مش اقتناع ده أصبح يقين..

مدت يديها تسحب الكتاب من فوق الرف، وهنا بدأ يشعر أمام هذا الجسد الممشوق أنه كما يقول التعبير بالعامية «اتقتل بالحيا»!!

وكأنها لم تكن تسحب «قواعد العشق الأربعون» بل تضع بيديها قواعد عشق جديدة لقلبه بماء الذهب الصافي..

قالت وهي تزهر حول روحه:

- اتفضل الكتاب.. إن شاء الله هيعجبك..

مد يديه ولامست أصابعه أصابعها وهو يشعر أنه «لا منتمي» إلا إلى عينيها.. كأنه «غريب» ألبير كامو، ولكنه يشعر فقط بنار الحب ولا يعرف ما سواها.. شعر عندما لامس أصابعها كما قال الشاعر إبراهيم ناجي:

أهاب بنا فلبّينا منادٍ ضمّ روحينا
كأنا إذ تصافحنا تعانقنا بكفينا
كأن الحبَّ تيار سرى ما بين جسمينا
يؤجج في نواظرنا ويشعل في دماءين!

قال:
- هاقراه وهأقولك رأيي فيه لما آجي المرة الجاية..
- من اختياراتك للكتب واضح إنه هيعجبك.. قريت أحلام مستغانمي؟
- ثلاثية ولا أروع.. أجمل جملة عجبتني لما قال لها: «دعي الوصايا العشر جانبًا واسمعيني.. لقد جئتك بالوصية الحادية عشرة فقط..
وقالت هي: هاتِ ما عندك أيها النبي المفلس.. أقسم أنني سأتبعك!».
- فعلا من أجمل المقاطع في الكتاب..
كان خجولاً أكثر من أن يقول لها إن أجمل مقطع في الكتاب يريد أن يقوله لها الآن: «أريد حق اللجوء العاطفي إلى جسدك»!!
قالت:
- وأجمل جزء من الثلاثية عجبك؟
- من دون تفكير طبعًا فوضى الحواس.. فكرته عبقرية..
- معاك حق.. وانا كمان شايفة إن ده أفضل جزء فيهم رغم أن كلهم روعة..
قال لنفسه: «طبعا لازم يعجبك.. انتِ أصلاً فوضى حواسي أو حاستي السادسة»..
حياها مودعًا بعد مناقشات حول عدد من الكتب وحول الأدب العالمي لزولا وبرنارد شو وأسلوبه الغريب الساخر العبقري وعدد من الكتاب وأعمالهم ثم خرج منتشيًا كأنه رأى الربيع لأول مرة مجسدًا في لحم ودم!!
غريب جدًّا تجسيد الفصول.. وإن كان سيلخص هذه اللحظة بلغة العصر وعلى طريقة «الهاش تاج» فسيكتب: «# نيرفانا - لحظة الكمال».
شعر أنه راقصها لدقائق في خياله على نغمات أغنية
«٢U Sinéad O›Connor - Nothing Compares».
ذهب إلى منزله حائرًا خائفًا مثل الفيلسوف لحظة ولادة فكرة مفجعة تقلب حقائقه الثابتة وآراءه اليقينية..
انكب على الأوراق لساعات وظل يعصر القلم بيديه.. لقد أنهى الكتاب

وشعر بعده أنه لا بد أن يضع قواعد قلبه هو، لا قواعد العشق الأربعين، بل أن يكتب قواعد إحساسه أو كما سماها قواعد قلبه الإحدى والأربعين.. وأنهى قواعده وذهب مسرعًا إلى المكتبة بعدها بأيام وهرع إليها ولم يجدها فنظر حوله بلهفة المشتاق ورآها قادمة من خلفه وهي دائمًا تأتي مفاجئة مثل المطر.. طرقت على كتفه وقالت في دلال:

- نحن هنا..

نظر إليها وكأنه وجد روحه المفقودة وقال:

- بجد أنا باشكرك على الكتاب.. كتاب كامل بمعنى الكلمة.. لدرجة إني اتأثرت بيه وكتبت قواعد أنا كمان..

- انت بتحب الكتابة؟

- أكيد..

أخذت الأوراق من بين يديه وبدأت في قراءتها لحين انتهائه هو من انتقاء كتب جديدة.. كانت تشعر به جيدًا، وهكذا حاسة المرأة العشقية دائمًا تعرف من هو العاشق القادم قبل حتى أن يسري العشق بين أوصاله.. وكانت تعرف أنه يريد أن يجعل من هذه الأوراق أول رسالة حب بينهما، فبدأت القراءة بنهم لقواعد قلبه الإحدى والأربعين:

القاعدة الأولى:

كل ما فعلته أمي لي أسلمه لحبيبتي.. فنحن البشر يا عزيزتي مجرد حاملي رسالة من جيل إلى جيل.. عطفها علي وأنا طفل أرده لحبيبتي ولعًا وعشقًا.. رعايتها لي أردها لحبيبتي هيامًا وقلبًا ساهرًا.. حتى حملها في.. أرده لحبيبتي، ولكن ولادة فيها وانتشارًا في تفاصيلها..

القاعدة الثانية:

بيتنا كعبة من حرير نعلق عليها معلقات الهوى والغرام.. فنحن نحج إلى عواطفنا والملائكة تحج حول أروحنا الهائمة فتكون علاقة حب متشابكة وكما نقدس نتقدس..

القاعدة الثالثة:

أريدك الوفاء كما أنا الوعد.. فأنا وعدك الذي انطلق في الحياة حيثما حل تحقق..

الإخلاص روح العشق.. فاجعليني كرجل أكون الوفاء بالوعد وأنتِ وعد بالوفاء..

القاعدة الرابعة:

اجعلي بيتنا مثل بيت الشعر.. أنا قافيته وأنت وزنه وقيمته.. فالقصيدة العرجاء تقتل الحنين..

القاعدة الخامسة:

العلاقة بين عاشقين لا أن أكون «كالخاتم في إصبعك».. بل أن تذكريني دائمًا بالخاتم في إصبعك.. فالحب ليس ردًّا للجميل.. بل هو انتشاء الجمال..

القاعدة السادسة:

الحب مثل رقصة «الليمبو».. أحيانًا لا نعبر به إلا بالكثير من التنازلات التي تحني الظهور.. والتنازل في الحب ليس ضعفًا بل سيادة..

القاعدة السابعة:

الغيرة هي التفاحة المحرمة.. فلا تقربي منها كي لا نهبط من جنة الحب إلى أرض البشر..

فالغيرة لذيذة ولكن أحيانًا تكون أول معاول هدم الثقة..

القاعدة الثامنة:

عدِّلي من صفاتي كما تريدين.. أنا لست كائنًا من صلصال.. ولكني مصنوع من عجينة قلبك فكيفما تريدين قلبك أريديني مثله وأنا سأقبل..

لكي يتقد الحب لا بد أن لا تنطفئ التضحيات..

القاعدة التاسعة:

اختياري ملابسك أحيانًا ليس أنانية.. فأنا لا أزين دميتي.. بل أشعل للعالم شمعة جمال جديدة في كل ما تلبسين.. فلا يتوازن الكون إلا باكتمال أناقة امرأة..

القاعدة العاشرة:

حينما تنظرين في المرآة أكون سعيدًا ولكني أقول لنفسي: ليست الفكرة في عدد أقلام «الروج» بل في عدد أقلامنا الخشبية التي سنرسم بها شمسنا القادمة.. فأنتِ لا تحتاجين إلى مزيد من الجمال ولكن يحتاج العالم إلى روحنا الجميلة معًا..

القاعدة الحادية عشرة:

إن شعرتِ في يوم أن الحياة الزوجية فيلم مكرر.. فاجعلي دائمًا الحب نهاية مفتوحة!!

القاعدة الثانية عشرة:

لا تجعلي الأيام فقط من يجعلك تحتاجين إلى حضني.. بل اجعلي حضني هو يومك وكل دفاتر مواعيدك..

القاعدة الثالثة عشرة:

أغلقي كل الشبابيك.. ليس المهم كم الدفء الذي يدخل المنزل.. بل صدقيني المهم كم الدفء الذي يخرج منه..

القاعدة الرابعة عشرة:

لن نجعل أبدًا سعادتنا في العملة فقط.. ولكن كل حياتنا ستكون عملتها السعادة.. فالمال إن أصبح هو الكافي والوافي.. فإن الطريق يقصر بين الأرواح..

القاعدة الخامسة عشرة:

أصدقائي لهم وقت معي.. وأصدقاؤك لهم وقت معك.. ولكن لا يجور ذلك على عهد صداقة قلوبنا الأبدية..

القاعدة السادسة عشرة:

الحياة الزوجية يجب أن تكون مثل حفل عيد الميلاد.. أنا الشمعة وأنت «التورتة الجميلة».. وهي ليست احتفالاً بعام مر.. بل استعداد لعام حب جديد..

القاعدة السابعة عشرة:

ولادتك ابني ليست حلمًا بأبوتي.. بل تحقيق لأمومتك.. فأنا لست إلا زارع الأحلام في عقلك وجسدك.. كما زرعتِ عشقك جنة عدن في روحي وعقلي..

القاعدة الثامنة عشرة:

لا تهتمي أبدا بعيون الناس.. فالعشاق لا يرون صورتهم الفعلية إلا في عيون من يعشقون..

القاعدة التاسعة عشرة:

كلما خرجتِ ودعيني.. فالشوق إلى قبلة لقائك ممتع مثل الشوق إلى همس حريتك..

القاعدة العشرون:

لا تجعلي للحروب في منزلنا مكانًا.. إلا الحروب العاطفية.. فالبيت الذي بدأ بسلام الأرواح ليس كالذي بدأ بسلام الأيدي..

القاعدة الحادية والعشرون:

لا يوجد للسر مكان بيننا عن ماضٍ أو حاضر.. ولنجعل معا مستقبلنا هو سرنا الأعظم.. فالسر بين العشاق خيانة ولو كان صغيرًا..

القاعدة الثانية والعشرون:

اجعليني مثل هدهد سليمان.. أخبرك بما تريدين ووحدك تفهمين لغتي.. فوحدهم الأنبياء يفهمون لغات الطيور.. حتى طيور الحب..

القاعدة الثالثة والعشرون:

إن قسوت عليك يومًا فادمعي أمامي.. فالدموع لغة المعجزات.. فالدموع تحول الحجارة أحيانًا إلى أمير..

القاعدة الرابعة والعشرون:

خرائط القلب لا تعترف بخطوط الحدود الوهمية.. فاخلقي مملكتك أنى تشائين.. فأنا مقتنع بهذا الاحتلال الكامل بلا ثورة.. فمدن الحب وحدها التي تثور لتطلب المزيد من الاحتلال..

القاعدة الخامسة والعشرون:

الحب ليس عادلاً أحيانًا.. فهو يقوم دائمًا بدور القاضي والجلاد.. ولكن رضانا يمنحه صفة العدل..

القاعدة السادسة والعشرون:

لا تغيري أبدًا لون شعرك.. فالحقيقة دائمًا لا تعرف لغة الصبغات.. وأنتِ حقيقتي الوحيدة..

القاعدة السابعة والعشرون:

الحزن كما الفرح فرض.. ولكن الحب هو تلك الابتسامة الغامضة.. فهو الفرح الحزين والحزن المبتسم.. فإن حزنتِ ففكري دائمًا في حبي لك..

القاعدة الثامنة والعشرون:

السماء والأرض على نفس الموسيقى.. فالملائكة تغني في المساء والنساء تغني في الأرض.. فعلى كل رجل أن يعرف قيمة امرأة تعيش معه.. فهي بديل الملائكة لهذه الأرض الفقيرة..

من لا يعرف قيمة امرأة.. لا يعرف قيمة الموسيقى..

القاعدة التاسعة والعشرون:

الحياة الزوجية ليست سجنًا.. فلا يوجد سجن في الحياة إلا الحبس الانفرادي..

القاعدة الثلاثون:

لا يوجد رجل ضعيف ولا امرأة ضعيفة.. ولكن يوجد من اختاروا الضعف لتسير سفينة الحياة.. وهو الضعف الجميل..

القاعدة الحادية والثلاثون:

سأقبل الزهرة التي أصالحك بها يومًا ما.. فالنساء مثل الزهور لا يعرفن ألوان الحداد ويتركن الباب دائمًا لكل احتمال..

القاعدة الثانية والثلاثون:

حينما ترشين العطور فاجعليها في كل مكان.. فأنا أريد تتبع أي شيء من رائحتك.. فهي طرق جديدة تخترعينها إلى جنتي.. فكم هو جميل أن يجلس الرجل بين مناجاة امرأة لعطرها..

القاعدة الثالثة والثلاثون:

لا تقرئي الفنجان لي.. فأنا عاشق.. والعاشق لا يستطيع أحد تقدير خطوته القادمة.. فأنا في حبك سيدتي تورطت مع القدر.. توقعي مني دائمًا الأفضل..

القاعدة الرابعة والثلاثون:

دعيني أبدل تاجك كل يوم مولاتي.. فالشموس على عرش الحب أشد لهبًا..

القاعدة الخامسة والثلاثون:

إلى نهاية عمرنا.. سأحبك بقسوة.. فأنا لا أعترف بمبدأ «العشق الرحيم»!!

القاعدة السادسة والثلاثون:

في الحب عيشيني مثل الخرافة.. وفي الأمل عيشيني مثل الحقيقة.. واجمعي من خرافتي وحقيقتي «كائنًا أسطوريًّا» يطير بك إلى الجنة المنتظرة..

القاعدة السابعة والثلاثون:

اجعلي قلبي ابنك.. وسأجعل من قلبك ابنتي.. لكي لا نكون معًا مجرد أب وأم.. بل نكون «أبا العشاق» وأمهم!!

القاعدة الثامنة والثلاثون:

إن فرشت لكِ الأرض زهورًا فامشي عليها بحذائك ولا تخافي أن تقتليها.. فالزهور تموت لأي سبب.. ولكنها لا تموت بكعوب النساء..

القاعدة التاسعة والثلاثون:

سأجعل من قلبي متحفًا مثل متحف اللوفر.. أعلق كل يوم لكِ صورة على نبضة من نبضاتي.. وأنحت لكِ كل يوم تمثالاً من شراييني.. وسأكون أنا زائر المتحف الوحيد.. ليكون جمالك أمامي ومجسدًا داخلي..

القاعدة الأربعون:

أعشقك حتى النهاية وحتى الكمال وحتى الجمال..!

أنهت قراءة الورقة ونظرت إليه بابتسامة موناليزا هادئة وقالت:

- بجد شيء رائع، بس فين القاعدة ٤١؟ دول أربعين بس..

ابتسم ابتسامة عاشق وقبل يديها وخرج من المكتبة ووعدها بلقاء قريب.. ولم يأتِ بعد.. ولم نعرف ما هي القاعدة الحادية والأربعون..

احتفظت بالورقة وأكدت لكل صديقاتها أنه هو من كتبها، ولكن لأن السنوات مرت ولم يأتِ قط فقد ظنوا أنها هي من كتبتها لنفسها!!

سنوات تمر وتمر ولا تعرف هي هل كان عمرًا حقيقيًّا أم مجرد طيف خيال عبر إليها من رغبتها في الوصول إلى الحب الحقيقي..

هل هناك عمر حقًّا؟ وهل كان متيمًا بها إلى هذه الدرجة أم أنه كان تجسيدًا لرغبات قلبها؟ هل كلنا نبحث عن الحب الأول بهذا الجنون أم نتركه ليأتي ويمسك بأيدينا ويعبر بنا الطريق؟

جاء أحدهم إلى المكتبة بعد سنوات وهي ما زالت تحتفظ بالورقة الغامضة وقال:

- لو سمحت حضرتك كان فيه كتاب قديم اسمه «قواعد العشق الأربعون» يا ترى موجود؟

- يااه إيه فكرك بيه؟

وقالت لنفسها:

- ما زلت في انتظار القاعدة الحادية والأربعين ولا أعرف هل ستأتي أم لا..

دخل أحد الأطفال إلى المكتبة وقال لها:

- ماما ماما أنا عايز آكل.

- حاضر يا حبيبي.. بابا جه من الشغل ولا لسه؟

- بابا جاي دلوقتي ومعاه عمر هيجيبه من المدرسة..

نعم أسمت ابنها الآخر عمر.. ربما طبقًا لوصية هذا الكائن الأسطوري كما أطلق على نفسه.. الوصية التي قال فيها:

«اجعلي قلبي ابنك.. وسأجعل من قلبك ابنتي.. لكي لا نكون معًا مجرد أب وأم.. بل نكون (أبا العشاق) وأمهم»!!

تُرى هل عرفت ما هي القاعدة الحادية والأربعون؟ أعطِ لنفسك فرصة.. وأعطِ لقلبك فرصة.. فالحب هو فرصتنا الوحيدة..

زينة وعرش الملك

خرج الملك في نزهته اليومية المعتادة بين المروج ليستمتع بالحدائق المعشوشبة وأزهار السوسن ليرى القمر ليلاً ويسأله مثل عادته: «هل غيرتك الحياة؟».

خرج في ملابسه البسيطة التي لا تظهر ملكيته ولا سطوته، فهو يخرج ليطمئن على أحوال الرعية في كل ليلة.. وبعد أن ترك الحديقة وخرج إلى وسط البلدة وجد امرأة باكية تجلس بجوار شجرة فحاول أن يهدئ من روعها وقال: «ماذا يبكيكِ يا امرأة؟».

التفتت تنظر إلى محدثها بعينيها العسليتين فقهره المشهد وتراجع إلى الخلف فجأة. فأحيانًا الجمال يقهر مثل الحقيقة.. لم ترَ عيناه مثل هذا الجمال الصاعق من قبل. قال لنفسه: «فبأي آلاء ربكما تكذبان»، عندما رأى معجزة تلك العيون الغارقة في المسرات والمثيرة للعبرات..

قال «في عجز وضعف أمام جمالها بصوت مرتجف»:

- ما.. ما.. ماذا يبكيكِ؟

- ربما الحياة وربما رحلة بحثي..

- وعن ماذا تبحثين؟

- عن الحياة أو الحب أيهما أقرب..

قال «في سعادة»:

- نفس رحلتي.. نفس إحساسي.

قالت «وهي تكفكف دمعها وشعورها أنها وجدت ونيسًا»:
- وهل تجد الحياة في الحب أم تجد الحب ضيفًا في الحياة؟
- الحياة امرأة حبلى متوترة يمسك بيدها اليمنى الحب ويمسك باليسرى الأمل فيخرج هذا الطفل المدهش الجديد.. انت الجديدة.. حياتك الجديدة..
- حدثني عن الحب..
قال «وهو ينظر إليها بلهفة غريبة»:
- الحياة جنسية والحب وطن.. الحب حرية مطلقة في قفص من حرير.. وهو ليس المعجزة بل يظل دائمًا مرحلة الاعتراف بها.. مرحلة لا تنتهي من الاعترافات.. الحب ليس هو حقيقة الوفاء، بل هو وفاء دائم للحقيقة.. حقيقته المطلقة وأبديته السرمدية.. الحب انفصام كيان إلى نصف عاشق ونصف يعشق أكثر.. الحب ليس أن تعيش كالملاك بل أن يأخذك الملاك كل ليلة وكل هلوسة مسائية إلى عالمه السعيد.. الحب ثلث من كل شيء.. ثلث الجمال.. وثلث السعادة.. وثلث الكمال.. ليخرج منها قلبًا صحيحًا..
الحب واحة قمرية تسابق فيها القمر للحظة الوصول إلى شمس وجودك.. الحب مثل استنساخ الروح، فروحك مجسدة في كل شيء وفي كل زهرة.. الحب بشارة اليقين وإثارة للأنين وكنزك الثمين.. الحب عذوبة الكلام ونيرفانا الغرام ووجد لا ينام.. الحب «إلياذة» قلب و«سونيتات» أمل..
- من كلامك أظنك عشقت من قبل..
- بل أتنازل للحب عن العرش الآن..
قالت «في تعجب»:
- أي عرش؟
قال «وهو يكشف عن وجهه»:
- عرش الملك..
صاحت في دهشة:
- ويحي.. الملك!! ظننتك عابر سبيل.. اعذرني.

- نعم أنا عابر سبيل هداني السبيل إلى أن أعبر شاطئ جمال على جفونك..
- وهل تفقد عرشك من أجلي؟
- بل أفقد نفسي من أجل عرشك الخالد..
قالت «وهي تبتسم»:
- أشفق عليك من الحب.
- القلب العاشق لا يحتاج الشفقة من كل القلوب ولكنه يحتاج الرحمة من قلب واحد..
- وهل صعقك الحب فجأة حين رأيتني؟ في لحظة واحدة؟
- الحب يأتي في لحظة من العمر ليهديك العمر في لحظة..
قالت «في خجل»:
- إنها قوة المرأة إذًا.
- الرجال ينحنون كعباد الشمس ثلاث مرات.. مرة للحب ومرة للجمال.. وكلهم ينحنون للمرأة شمس الحياة..
قالت «وهي تبتسم»:
- وكيف ينحني الملوك؟
- بثورة جمال تقتلع اليابس والأخضر.. بكلمات عذراء وثغر معسول وفجر يذوب في كأس عينيك المقدسة..
- سألتك من قبل عن الحياة والآن كلماتك جعلتني وكأنني أمتلك الحلم والحياة معًا..
- وهذا كل شيء تمتلكينه؟ فقط الحلم والحياة؟
- الحب ليس الحلم بامتلاك كل شيء.. بل أن يحصل كل شيء في كياني على حلمه الخاص..
- وكأن صوتك غناء رقيقًا.. زيديني من كلماتك العذبة..
- وكذلك يا ملكي الحبيب هو الحب.. الحب أغنية حرية نحن لحنها وقلوبنا كلماتها ومشاعرنا هي خطواتها الراقصة..

- حالة بعث روحي كاملة.. كل لحظة يزيد جنوني وأنتظر الجنة.. اسمعي إنه صوت الجنة يناديا..

- العشاق لا ينتظرون الجنة إنهم يصنعونها.. والحالمون لا ينتظرون الحقيقة إنهم يصنعونها.. والمخادعون لا ينتظرون كلمات الوعد لأنهم سيخدعون دائمًا.. إنها الحياة يا مولاي..

- غيرتني في لحظة واحدة، وما أجمل التغيير بالحب يا سري الجميل..

- التغيير كلمة الحب السحرية..

- هي الكلمة السحرية كي أغيرك.. أو أتغير من أجلك.. أو أعشق الاختلاف بيننا ولا أغيره.. في كل الحالات سأعشقك..

- آهٍ يا عمري.. أشعر أن غزلان الوادي تنادي نبضي كي نرقص على أجساد القصائد.. ما أجمل الغرام ولو أتى فجأة ومن دون مقدمات..

- ارتعشي من هذيان الحب كي تنثري مطر القصيدة المتوحد في شهد حسنك..

- لن يفرقنا الموت؟

- ولن تفرقنا الحياة.

في قصر أحد الملوك:

قال الملك:

- ما هذا الهذيان الذي قصصته لي؟ وهل تنازل هذا الملك الأحمق عن العرش من أجل امرأة تجلس تحت شجرة؟ أي جنون هذا؟!

رد عليه الوزير:

- إنه الحب يا سيدي إنه الحب.. لقد تنازل عن العرش من أجلها رغم رفض شعبه لهذا، وأتى ملك ضعيف وتكبد شعبه الهزائم في الحروب وقالوا إنه وزوجته ماتوا في إحدى الحروب ودفنا معًا..

- هل هذا الرجل موجود فعلاً؟

- لا أعرف يا سيدي ولكنهم قصوا علينا قصته وأعجبتهم كلماته لحبيبته.

قال الملك للحراس:

- أدخلوا زينة.

قال الحارس:

- أدخلوا السجينة زينة..

قالت زينة:

- ارحمني يا مولاي.. أقبل قدميك.. أتوسل إليك.. ارحمني من العذاب..

قال الملك لمن حوله:

- اتركونا وحدنا.

خرج الحارس والوزير وبقي الملك وزينة، قال لها:

- هل جننتِ لتعلني لي حبك على الملأ؟!

- إنه الحب يا مولاي الملاك الحارس للقلوب، لقد أحببتك ولا ذنب لي ولا لقلبي الشقي..

- وهل ظننتِ أنك ستنجين بفعلتك أيتها البلهاء؟

- ظننت عرش الحب أقوى من عرش الملوك.

- في القصص فقط أيتها الحمقاء السجينة.. أين الحب الغبي أمام المال والسلطان والعرش؟ أين هو؟

- هو أقوى منها جميعًا.

صاح الملك على الحارس:

- أيها الحارس خذ هذه البلهاء من هنا.. خذها إلى السجن مرة أخرى.

أتت حروب تلو حروب وزينة ما زالت سجينة الملك، وذنبها أنها أعلنت الحب رغم أنها جارية عنده فسجنها لأنها أعلنت ذلك أمام الملك كي تكون عبرة لغيرها من الجواري بعدم التجرؤ على الملك..

وكانت هزيمة الملك في إحدى المعارك وتم جرحه بأحد السهام وهو يهرب وسقط أمام عرشه، وهربت زينة من السجن في فوضى الأحداث والحرب الضروس التي دارت رحاها في المملكة، ووجدت الملك ينزف أمام كرسي العرش، فقالت له:

- ما بك أيها الملك الحبيب؟
- لقد جرحت في المعركة يا زينة.. من حقك ألا تنقذيني، لقد أهنتك كثيرًا وأعترف لك بخطئي، لقد أحببت المال أكثر من أي شيء يا زينة.. المال والعرش.
- سأوقف نزيفك ولو بعمري يا حبيبي.. فلتحترق العروش أمام عرش الحب..
خلعت جزءًا من ملابسها وضمدت به جراحه وهرعت مسرعة تنادي طبيب القصر فلم تجده بعد المعركة، فظلت ساهرة بجواره ترعاه حتى أسلم الروح أمام عينيها، وظلت تبكي بحرارة أمام كرسي العرش.. ولكن دموعها في هذه المرة ليست دموع ضعف، إنها دموع تثبت أن عرش الحب أبقى من عرش الملك.. نعم أقوى من كل عرش في الحياة.

يونيو ٢٠٠٧ في أحد «الكافيهات»:

قال سارة لخالد:

- جميلة جدًّا القصة يا خالد بجد تحفة..
- بجد عجبتك؟
- جدًّا أنا باعشق قصص الحب عمومًا، ودي جميلة قوي.
- طيب يلا نحاسب ونقوم عشان احنا لسه هنعمل الزيارة اللي قولتيلي عليها.
- بس أنا زعلانة منك بجد.
- ليه خير؟!
- فين الخاتم اللي قولتلي عليه امبارح؟ هو كلام وخلاص يعني؟

صراع حياة دائم بين الواقعية والرومانسية، ولن ينتهي.. سيظل هناك من يعيشون بالحب وسيظل هناك من يحبون كجزء من روتين الحياة.. وستبقى الواقعية المقيتة تبني عرشها أمام عرش مجاذيب الغرام..

رد خالد قائلاً:

- واحدة تزعل من حبيبها عشان الخاتم؟ آه.. يعني نرمي القصة دي لأن معادش ليها لازمة.. يلا بينا..!!

جياع المدينة يحكمون

مصر ٢٠٠٠:

ليلة قاحلة الظلام يجلس فيها حمدان العيسوي كعادته يمسح منابت عرقه ودموع وجهه وهو يرتجف وينتظر الوعيد وصخب الفزع القادم.. حمدان لم يعش طفولته بالشكل الذي عاش به الأطفال في سنه، ولكنه قاسى شتى أنواع التعذيب على يد والده الذي يعود من عمله كل ليلة خائر القوى ولكنه يجدد قواه برسم وشام الانتقام على جسد ولده حمدان..

لا يتورع الأب عما يفعل حتى ولو صدح حمدان بصراخه كالطائر النازف من عنان السماء يتهاوى على عش مكسور.. يرتجف حمدان حتى إن رجفته تهز المنضدة هزًّا.. يرى سن الخيزرانة مصقولاً بقطعة حديدية يتم تسخينها على نار هادئة.. عيناه تجولان في محجريهما ويتسمر بحدقة عينيه فجأة على سن الخيزرانة.. ويقول وهو يصرخ:

- بلاش يا أبويا.. اضربني زي امبارح بس بلاش تسخن الحديدة.. بلاش أبوس إيدك..

يقول له والده في عنف يهز أوصاله:

- إخرس يا كلب يا عرة الرجالة.. العيال يضربوك في المدرسة يا خرع يا إيحة؟ أمال هتبقى راجل ازاي في بلد الديابة؟ إزاي؟!

تنفجر أول نافورة دماء من ظهر حمدان وسط صرخة كتمتها الآهة وأعياها النحيب وأسقطتها سقطة الذل أمام الأب.. يرفع يديه مثل الغريق ويقول:

- أبويا.. أبويا..
ولكن الدماء تتسلل من وجهه إلى شفتيه ويظهر كأنه يخرج من أحد مشاهد أفلام الرعب.. ويصرخ أبوه:
- عشان تتعلم تعيش في بلد الديابة..
يخرج العيسوي من غرفة التعذيب وبعد دقائق يلقي لولده بزجاجة مياه قذرة غطاها التراب ويقول له:
- اشرب لحسن تموت.. ولا موت أهو تريحنا.. اتفووووه..
يجلس حمدان ويضم قدميه الداميتين في ذل وخنوع.. ينظر إلى منزله الذي اشترك مع جسده في صفات كثيرة من فقر وضعف وعوز ويأس.. ينظر إلى الجدران وكأنه يرى دماءه تسري عليها في كل مكان.. وإن نام لا يحلم إلا بالموت الذي يقترب منه وبسن الخيزرانة..

مصر ٢٠١١
جنازة العيسوي

يدخل حمدان في مشهد غير معتاد ومعه فرقة موسيقية وسط استياء الحضور ويبدأ في رقص مجنون أمام النعش.. ويقول في سخرية:
- إوعى يا عيسوي النعش يطير بيك على جهنم.. استنى لما أتف على وشك..
يقول أحد الرجال:
- لا حول ولا قوة إلا بالله يا ابني، احترم حرمة الميت.. ده أبوك الله يلعنك!
رد عليه حمدان:
- مش عاجبك امشي من هنا يا راجل انت.. الراجل ده أوسخ مخاليق ربنا..
يبدأ في الرقص من جديد مع عزف صاخب للفرقة الموسيقية، يحاول أن يغطي على صوت الحضور وهم يصيحون «لا إله إلا الله» ويحركون أصابعهم ويقولون «إنا لله وإنا إليه راجعون».

تدخل الراقصة فجأة ويجلس حمدان على ركبتيه ويقول:
- قشطة يا زيززززي.. يلا ارقصي رقصة لابويا قبل ما يروح جهنم، واهو هيشوف منك كتير، أهو يبقى متعود يا زيززززي».
يبدأ بعض الأقارب في الاشتباك مع حمدان أمام النعش وطرد الفرقة وتصاعدت حدة الشجار إلى أن أخرج حمدان «طبنجة» وأطلق عدة طلقات في الهواء وبدأت الفوضى تعم أرجاء المكان، وجرى كل من في الجنازة وسقط النعش على الأرض، وسقط منه الكفن وظهرت جثة العيسوي على الأرض..
أمسك حمدان يد والده وصاح في غضب وسخرية:
- سقَّف يا عيسوي زيزي هتبسطك على الآخر.. هزِّي يا زيزي.. إبسطي الحاج..

مصر ٢٠٨٠
القطامية

مدام شاهيناز:
- إيه الأصوات دي يا صافيناز هانم؟
مدام صافيناز:
- مش عارفة يا شاهيناز دي أصوات جاية من بعيد، الظاهر في ماتش، يمكن الألتراس ولا حاجة.
تقترب الصيحات الرهيبة التي أقلقت جفون الأشجار ورجت الأرض ومن عليها.. اقتربت جحافل الجياع من أطراف المدينة.. إنه يوم الحساب.. إنه يوم الغضب.. استمر الإهمال.. استمر الحكم الفردي وتحقيق مطالب الحاكم على حساب المحكوم طوال هذه الأعوام.. وبعد عدة ثورات ما زال الفساد يجري كماء النيل دون أن يوقفه سد في إثيوبيا.. بل إن منابع الفساد لا توقفها سدود!!
تتوقف مدام شاهيناز فجأة في رعب وفزع أمام رجل تمزقت ملابسه بفعل

الفقر وظهرت علامات الشيخوخة في وجهه قبل موعدها وقالت وهي تبكي:
- انت عايز مني إيه؟! عايزين مننا إيه؟ إحنا مالنا ومالكم عملنا ليكم إيه؟!
قال لها الرجل:
- شعري ابيضَّ قبل ميعاده.. ودي كفاية إننا نحاسبكم.
- الحكومة هي السبب.. إحنا عايشين في حالنا..
- انتو دوستوا علينا زيهم.. كلهم منكم ولخدمتكم.. كأنكم شعب الله المختار واحنا المغضوب علينا أو الضالين كمان.. النهارده حكمنا.. إحنا خلاص خدنا البلد.. خدي السماعة كلمي البوليس.. جربي كده شوفي بنفسك..
تمسك شاهيناز السماعة في تردد وقلق بالغ وتتصل بالنجدة ويكفهر وجهها فجأة وتسمع جملة مسجلة تقول: «أهلاً بكم في شرطة الجياع.. إذا كنت من الجياع القدامى اضغط رقم واحد.. إذا كنت أرستقراطي اقفل السماعة فورًا لأننا مش هننجدك.. هأو هأو».
خدي كمان كلمي نمرة المطافي وجربي بنفسك.. ترد عليها رسالة تقول: «أهلاً بكم في مطافي الجياع.. إذا كنت منهم وعندك أي حريقة اضغط رقم واحد.. إذا كنت مريش وصاحب قصر في القطامية إولع بجاز مش هنطفي نارك.. هأو هأو».
قال لها الرجل:
- شوفتي يا حلوة خلاص دي دولتنا مفيش حد يخلصك من إيدينا.. إديني الدهب ده اللي في إيدك اللي يسكن محافظة بحالها..
- يعني انتو حرامية.. ومعندكمش ضمير.
- ضمير؟ دي كلمة الأغنياء اللي زيك.. احنا اللي زيِّنا عمل ضميره مسحوق غسيل يغسل بيها هدمته.. وبعضنا عمل ضميره شوية مية نضيفة وشربها.. وبعضنا عمل ضميره أنبوبة غاز عشان يأكل عياله يعني ضميرنا خلاص بَح.. طار مع الأنابيب والسولار..
- والدين؟ يعني في أي شرع ده؟

- ما احنا جربنا حكم الدين وسابونا في عشش الفقر والهلاك لحد ما شوفنا جثث عيالنا حوالينا.. ولا نافع مع البلد دي دين ولا دنيا.. انتو كفرتونا.

تحاول شاهيناز الهرب مسرعة ويمسكها الرجل الجائع بعنف ويسقطها على الأرض يخمش يديها بأظافره ويسرق كل ما ترتديه من ذهب ويبدأ بفك أزرار ملابسها بشهوة عمر كامل، ويبدأ في شم رحيق صدرها ثم يسحب الجيبة لتكشف عن ساقين كأنهما من الزمرد ليزداد إثارة وهياجًا جنسيًّا، ويهجم بضراوة على فريسته ويمسك بيديها بقبضته المتوحشة التي لم تعرف معنى الرحمة، ويبدأ في مرحلة اكتشاف تخوم الجسد العاجي بعرقه الهاطل كالمطر من كثرة النزول والصعود.. لم يبرحها إلا قطعة لحم متهالكة كأنه تركها للصقور في معركة حربية.. وهي تبكي بحرارة وكأن كل ما تملكه من كبرياء قد سقط في تلك المنازلة الجسدية غير العادلة بين إنسانة طبيعية ووحش تملكه شيطان الشوق إلى قطعة لحم ولو حتى آدمية..!

سرقوا القصر.. حطموا الفازات ونهبوا الباقي.. لم يبقَ في القصر إلا شاهيناز وصافيناز التي تم اغتصابها على يد مجموعة كاملة فلم تكن بأفضل حال من شاهيناز.. لو حسبت ما حدث لها على طريقة معدل الإهلاك لقلت إن جسدها أصبح الآن أرضًا بورًا تم نهب كل خيراتها..

خرجت الجحافل من القطامية وذهبوا إلى مناطق أخرى مثل التجمع والرحاب وغيرهما من الأماكن التي اختاروها بعناية لأنهم رأوا أنها من بؤر الأغنياء في العاصمة..

العتبة «مقر حركة حكم الجياع»:

وقف الرئيس الجديد يعرض القوانين الجديدة لدولة الجياع:

«أيها الجائعون والجائعات.. لقد قتلونا لأكثر من قرن ولم يهتموا بنا.. قامت الثورات تلو الثورات حتى بلغ عددها حتى هذا العام ٤٠ ثورة ولم نرَ مكتسبات الثورات التي تحدثوا عنها.. إن ثوراتهم تغيير حاكم وليست

تغيير نمط الحياة.. إنها ثورة كراسي وليست ثورة معالجة المآسي.. إنها ثورات للوقوع في مشاكل دستورية وليست لمعالجة المشاكل الحياتية.. إنها ثورات لتجدد الصراع وليست لمعالجة الفوضى والضياع..

أيها الجائعون والجائعات مسموح لكم أن تتاجروا في أسواق الرقيق من جديد.. كل من يمتلك منكم نساء أرستقراطيات يستطيع أن يبيعهن في السوق لسيدها الجديد الجائع النهم.. وله الحق في نهشها مائة وخمسين نهشة حتى يبلي جسدها ويأخذ غيرها بعد أن يأكل خيرها!

أيها الجائعون والجائعات.. اسكنوا قصورهم وعيشوا حياة الرغد والترف.. كل منكم حاكم المدينة.. كل منكم حاكم المدينة لا يوجد حاكم ظالم أو عادل كلكم حاكم نفسه.. سأقولها مدوية الآن بقرار جماعي وبالإجماع تم إلغاء القانون والدستور.. والله الموفق».

يصيح الجميع: «يحيا العدل يحيا العدل»، وتسمع أصوات الصيحات الفرحة تعم البلاد والقرى بخبر إلغاء الدستور الذي ظلوا طوال مائة عام يعالجونه دون أن يلتفتوا لمعالجة آلام الناس وكأن الناس لا هم لهم في الشارع إلا الدستور، مع أن الطابور قبل الدستور!

وفي إحدى أسواق الرقيق:

«قرب قرب قرب معايا مدام شاهيناز، كانت ساكنة في القطامية، وعلى عينك يا تاجر.. السعر ٢٠ ألف جنيه خدها بضمان ١٠٠ نهشة.. جسد أصيل ويستحمل الشقا والتعب.. يلا مين يزود.. مين جعان؟ مين جعان؟».

«قرب قرب معانا الأستاذ لولو من مدينتي.. كان ساكن في فيلا وعنده عشر شقق.. فرافيري فرافيري يعني مين جعان مين جعان؟ ٥ آلاف جنيه عشان الحبايب ويعيش معاك، ومعاه طوق كلب تربطه في رقبته وكرباج أسواني».

ترى مشهد المدينة لناس تأكل في أي وقت تشاء دون حساب ولا تكلفة.. ترى إشارات مرور مكسورة في كل شوارع مصر وترى شحاذة سابقة تجلس في «ستار بكس» في الكوربة وتخدمها أهالي المنطقة في ذل وخضوع للحكم

الجديد الجائع.. تضع قدميها فوق المنضدة في مشهد مقزز ويظهر عليها علامات الجرب وهي ترتشف القهوة بصوت مقرف وتقول: «إيه القرف ده؟! هاتي يا بت شاي في الخمسينة اجري».

إنها ليست مدينة فاضلة.. إنها مدينة جديدة خالية من الفضيلة كما كانت سابقتها أيضًا.. أين الحل للوصول إلى الفضيلة بدلا من الفوضى الدائمة؟ أين هي الفضيلة؟ حكم جائع بلا أخلاق سيفنى كما انتهى حكم شبعان بلا ضمير.. إنها معادلة لا نصل بها إلى حل.. سنبقى دائمًا في لغة المعادلات.. دون الوصول لخلطة حكم مثالية.. وسيشغلنا الدستور عمن سيطبق عليهم الدستور.

مصر ٢٠٥٠.. قصر الملك

الحاشية: خير في إيه الملك ماله؟

نائب الملك: الملك مفزوع النهارده بشكل غير عادي.. ساعات يضحك وساعات يكشر فجأة.. بيقول جاله كابوس كبير.

يدخل الملك بشموخ وبعباءة مطرزة من الحرير وصولجان ذهبي وتاج من الماس.. ويقول:

- يلا اخرجوا من هنا سيبوني لوحدي.

يخرج الخدم الذين قدر عددهم بألف خادم في القصر الجديد.. نعم لقد عادت الدولة للملكية.. ما زالت الديكتاتورية الكاملة تحكم وبعد عشرين ثورة وصلت النتيجة إلى الملكية.. لقد عدنا إلى نقطة الصفر..

الملك يقول للنائب:

- كابوس كابوس رهيب.

- خير يا افندم؟

- حلمت إن البلد وقعت في ثورة جياع.

- يا ساتر يا رب.. ده الجياع كلهم في المعتقلات يا افندم أصلاً.

- ما انا عارف.. بس حلمت إنهم خرجوا وعملوا أسواق رقيق ونهبوا خير البلد واتحكموا فينا.

- ما عاش اللي يتحكم في الملك.. إهدا يا افندم وإن شاء الله كله هيبقى بخير.. أنا خارج أقابل سعادة السفير الجديد وأرجع ألاقي حضرتك بخير.. هاجهز لك جلسة المساج اللي بتحبها..

يخرج النائب ويظهر باب القصر الجديد الرهيب من خلفه وقد كتب عليه: «قصر فخامة الملك المعظم صالح حمدان العيسوي.. أدام الله عمره وأبقاه للوطن»..

نعم إنه الحاكم والملك الذي كان يحلم بثورة الجياع ولا نعلم هل هذا ما في اللاشعور ويريده بشدة للبلد كانتقام لما كان يحدث له كنوع من تعذيب الذات.. أهي خطة جديدة لإذلال المثقفين الذين أنهكوا حكمه بأن يترك عليهم الجياع، أم أنه يخشى حقًا هذا الكابوس نتيجة قمع الجياع؟

إنه المذلول ابن المذلول حمدان العيسوي الذي ضربه بقسوة في صغره بنفس الخيزرانة التي ضربه بها والده سابقًا.. بقينا في عُقد الحاكم التي تخرج على شعبه.. قامت ثورة الضمائر ليستمر للأسف حكم العُقد.. المرضى النفسيون ما زالوا يحكمون الدولة في عام ٢٠٥٠.. تُرى ما الحل للعقدة.. حاكم معقد وضمير محكوم..

بائع أمام القصر نفسه في عام ٢١٦٠ يصرخ ويقول: «ضمير للبيع.. ضمير للبيع يا أهل البلد»!!

«كل ما نريده ليس زيادة رصيد الثورات ولكن زيادة الاهتمام بأهل الثورة وفقراء العشوائيات، وأن لا يكون تعديل القوانين هو الشاغل بدلاً من تطبيق القوانين من أجل مصر أفضل قادمة لا محالة ولو طال الزمن».

الحب ومزمار فيثاغورس

«هناك نوعان من القلوب، قلوب شمسية تعرف أن الشمس أصل ضوء القمر، وقلوب قمرية يكشف القمر عن صوت عوائها القبيح مثل الذئاب.. وأنا أفضِّل أن يكون قلبي لوحة شمس لا تغرب».

موسيقى الروح؟ موسيقى الكون؟ هل سيحدث الانسجام بينهما؟ لا تتعجب يا صديقي إنه مزمار فيثاغورث.. نعم لقد وجدته.. كانت لفيثاغورث، هذا الفيلسوف والعالم، نظرية تقول بأن لحركات الأفلاك نغمات وأن للنفس نغمًا.. وهناك نظرية أخرى علمية تسمى نظرية الأوتار الفائقة توضح أن المادة في حالة اهتزاز دائم.. هل نعزف الموسيقى بأجسادنا؟

نعم أنا أصدق فأنا قد وجدت مزمارًا وتعلمت طريقته، أعزف به أجمل الألحان ليل نهار، وسأروي لكم كيف لا تنسجم موسيقى الأرواح أحيانًا في الحب مما يسبب انهيار العلاقات.. وليست كل علاقة حبًّا.. فهناك علاقات زائفة وهناك علاقة قائمة على الإعجاب فقط، بينما الحب خارج إطار كلمة «علاقة»، فهو «اتحاد» وإن لم يخرج من طور العلاقات فهو حب لم تنضج ثماره بعد.

كنت أراقبهم دائمًا منذ أن تعرفت إلى صديقي سليم.. نعم أنا تقريبًا شحاذ أحصل على قوت يومي ببعض موسيقى المزمار الذي وجدته، ولكنه كان متواضعًا جدًّا وكان كلما عاد من الجامعة نظر إليَّ ووقف أمامي وقال:

- هتعزف لنا إيه النهارده يا بطل؟

كان في ريعان شبابه لم يتجاوز العشرين، تشعر في قسمات وجهه بالطيبة والتحدي في وقت واحد، لم يكن قصيرًا ولا طويلاً، وكان معتدل القامة لا أراه إلا مبتسمًا، ولكني أعرف أنه كان مهووسًا بالموسيقى، ولذلك عندما وجدني كأنه وجد ضالته المنشودة.

بعد أربع سنوات تقريبًا، وفي سنة تخرجه، تغير تغيرًا جذريًّا.. لقد وطأ الحب رمال قلبه وترك أثرًا نافذًا لا يخرجه الجن ولا تذروه الرياح.. لكم تغيرت يا سليم!!

كان يحكي لي عن قصة حبه وعن صوفية الحب، وكيف أنهما يحبان هذا الحب غير المشروط، الحب الروحي الكامل العميق الذي تلبس له الأرواح الفساتين وتخرج في مواكبها أمام نبض القلب بكل فخر..

قال لي في نبرة يأس:

- الأشياء التي تموت في الحب لا تعود إلا بحب أقوى وأعتى.

- وهل هناك أشياء تموت في الحب دون أن يموت الحب؟!

قال سليم في نظرة واثقة متحفزة:

- هناك أشياء تموت في العشاق والحب خالد لا يموت.. الحب فكرة والعشاق صفة.. الفكرة لا تموت بينما الصفات قد تتغير!

لم أقابله منذ سنوات لأنني كنت في رحلة مع إحدى فرق المولد أعزف بالمزمار لكي أجد قوت يومي، وهو من حكي لي عن فيثاغورث وقال لي إنني أملك مزمار فيثاغورث، وإنني لا أعزف إلا لكي تنسجم موسيقى الأرواح والأنفس.. وعندما عدت إلى جوار منزله مرة أخرى سقط مني المزمار وداسته إحدى السيارات.. هل ماتت موسيقى الروح؟

وسأروي لكم القصة التي حدثت أمام شرفة منزل سليم أو سيرويها لكم كل شخصياتها على ألسنتهم وسأبدأها بالأم.. والدة راندا التي أحبها سليم منذ سنوات وهام بها عشقًا وجنونًا..

الأم:
- آه يا راندا، كم أحزن من أجلك يا ابنتي.. في كل ليلة نسير في كل الشوارع تخرجين معي إلى كل المناسبات الاجتماعية لعلك تجدين «ابن الحلال»..
نعم أعرف أنك حزينة جدًّا على فراقك لسليم، ولكن كل شخصية منكما كانت غريبة عن الأخرى.. إنه كان غريب الأطوار بلا شك.. يتحدث عن تعانق الأرواح وموسيقاها، وكيف أن نسمو بأرواحنا إلى ما فوق الحياة، كما قال نجيب محفوظ..
أعرف أنك تحبينه إلى أقصى درجة، ولكنه هجرك الآن.. إنه نذل جبان مهما بكيتِ أمامه يا صغيرتي لن يعود.. إنه مجنون مهووس بالروحانيات التي لا يأكل منها الناس لقمة عيش.. وأعرف أنه يحبك حتى العبادة، ولكنه وكأنه عابر سبيل يا بنيتي ولا يصلح أن يكون زوجًا.. إنه الزوج المثالي ولكن في المدينة الفاضلة فقط.. أما على هذه الأرض فهو من مجاذيب الهوى الذين يختبئون في قلوبهم من شر الدنيا ومن حقد العالم، وهذا النوع لم يعد يصلح في هذا الوقت..
آه يا راندا يا بنيتي لا أعرف سبب انزعاجك الغريب من «عقب السيجارة» الملقى على الأرض.. كلما وجدتِ «عقب سيجارة» بكيتِ وارتميت في أحضاني وأسمع نحيبك وخفقان قلبك المتدفق..
أعرف أنك لا تحبين المناسبات التي أذهب إليها وتقولين لي دائمًا: «ماما أنا مش بضاعة هتعرضيها على كل صحباتك.. أنا عايزة أحب واتحب.. فاكرة سليم يا ماما؟».
نعم يا بنيتي أتذكر سليم الغريب في دنيا الغرباء.. الذي هام بالحب حتى نسى الحياة نفسها.. أصبح عالمه هو عالم القلب النابض وليس عالم المادة.. لقد توحد في عالمه حتى أصبح وكأنه نبضة تسير على أرض مسعورة..
اتركي الماضي يا بنيتي ودعينا نبحث لك عن ابن الحلال!!

رائدا:

- آه يا سليم.. لماذا تركتني؟ هل أنت حقًّا من هؤلاء الأنذال كما تقول والدتي؟ أم أنت من مجاذيب الهوى؟ ولماذا تركتني يا قلبي وعقلي.. ألم تقل لي إن عيني أشهى من أنهار الخمر والعسل؟ لماذا تركتني فجأة؟ هل لأني عدت لأرض الواقع قليلاً؟ هل سنعيش في الحب دهرًا وننسى واقع الحياة الصعب؟ هل أمي محقة فيما تقول يا سليم؟ بالله عليك يا مهجة روحي قل لي كيف هانت عليك تلك الأيام؟!

أين ذهبت أشعارك التي مزقت بها كياني وأغرقتني في حبك؟ هل تحولت قصائد الحب إلى قصائد هجر ورثاء على الحب المفقود؟ ما الذي مات فينا يا سليم؟ هل فقدتك أم فقدتني أم فقدنا الحب؟

مرة أخرى أجد «عقب السيجارة» على الأرض وأرى نظرتك من الشرفة التي تقتلني وتشعرني بالذنب.. إنها قضية بلا قاضٍ يا سليم لا أعرف من منا المخطئ ومن منا البريء.. لا أعرف سبب افتراقنا ولكني لا أجد سببًا لعودتنا بهذه الحالة.. انزل معي إلى الأرض يا سليم.. كوكب الحب الذي تعيش فيه لا يتنفس فيه إلا أنت، أما نحن فنحتاج لمزيد من أكسجين الواقع.. ولكن رئتك أنت تتحمل فقط أكسجين الحب.. قلت لي مرات «لو عشت بلا حب مت كما يخرج السمك من الماء.. أنا لا أحتاج إلا الحب.. أنا الحب نفسه».

نعم يا سليم أشهد بعسلية عينيك وصفاء روحك أنك أنت الحب نفسه.. نعم أشتاق إلى رومانسيتك الباكية ووعودك التي تغربت في تفاصيلي وأشتاق إلى أصابعك التي تشتاق إلى مسح دموعي الآن وتشتاق عيناي إلى لمستها، ولكن سيبقى سؤالي دائمًا.. لماذا تركتني يا سليم؟ هل لأنك اعتبرتني من الماديين الذين تتحدث عنهم.. هل ستعود لنظرية نجيب محفوظ وتقول لي إنني في الحياة وأنت تحب ما فوق الحياة؟

أمي تقول عنك إنك مجنون، ولكني أقول عنك إنك غريب عن الحياة يا سليم.. لقد خلقت لتكون رائد مذهب الحب.. أو شيخ طريقة العاشقين..

فهل تعود قليلاً إلى الواقع يا حبيبي وكياني؟

سليم:

- آه يا راندا.. لكم تغيرتِ.. أين ذهبت راندا التي كانت تحدثني عن فناء أرواحنا في بعضها وذوبان قلوبنا لنصبح قلبًا واحدًا ينبض بالخيال؟! أين ذهبت لهفة أول لقاء ونظرة عينيك الخجولة؟! واليوم تتحدثين معي حينما قلت «أعبدك» وتقولين بلغة مادية خرقاء «وأين هي الشقة وكم مرتبك حاليًّا يا سليم»؟!

ألم تسمعي بجملة «للحب وقت وللموت وقت»؟ أتتحدثين معي عن دنياك الحمقاء وأنا أترهبن في عينيكِ؟ أتنتصر دنيا «تاييس» المادية على دنيا الراهب مرة أخرى؟ لا.. في هذه المرة سأنتقم.. لن تنتصر دنيا المادة على روحي الظمآنة للخلود.. لن تنتصر دنيا الماديات على دنيا سليم أبدًا يا راندا يا حبيبتي..

نعم أنا الذي ألقى «عقب السيجارة» وأنتِ تعرفين هذا جيدًا.. كلما مررتِ مع أمك تحت شرفة البيت أنظر إلى منظرك بازدراء وألقي عليك «عقب السيجارة» أو لكي أكون دقيقًا فأنا أقصد به أمك وليس أنت..

أمك التي تجرك إلى مزاد الرغبات وشهوة الأجساد الفانية.. مزاد علني في سوق الرقيق الجديدة في جميع المناسبات الاجتماعية لكي تجدي كما يقولون «ابن الحلال»..

لا يوجد ما يسمى «ابن الحلال» فأنا لا أعترف إلا بما يسمى «ابن الحب».. نعم إنها اللعنة.. نعم إنها نظريتي التي حدثتك عنها كثيرًا إن خسرتِ حبك الأول فستتعذبين طوال حياتك.. نعم إن الحب ينتقم وما أصعب انتقامه..

ابكِ الآن يا راندا أجد دموعك العاتية على خديك ولكني لن أشارك في هذا المزاد الغبي إلا بـ«عقب سيجارة» ألقيه عليك من شرفتي وأنا أنظر إلى منظر الأم التي تجر ابنتها لـ«ابن الحلال» وتهجر «ابن الحب»..

نحن أبناء الحب سنترك بنات الحلال فنحن نريد بنات الحب.. ولنترك بنات

الحلال لأولاد الحلال في دنيا مادية بحتة تبحث عن المادة الحلال ولا تبحث عن غيبوبة الهوى..

«عقب سيجارة» أشارك به في المزاد..

«عقب سيجارة» على رأس كل من داس الغرام بنعل المال..

«عقب سيجارة» لكل من قتل موسيقى الكون بآلات النفخ المادية..

«عقب سيجارة» لكل امرأة هجرت حبها لكي تزيد من وسع أربعة جدران..

«عقب سيجارة» لكل من قتل الروح بقنبلة البدن..

«عقب سيجارة» على رأس كل من قال عن العشاق غرباء عن الدنيا وهم أصل الدنيا..

نعم يا راندا ابكِ في حضن أمك.. فكلما مررتِ من أمام الشرفة سأرمي لكما ثمن حياتكما المادية.. «عقب سيجارة»!!

نعم هذه هي حكاية سليم.. لن تعرف من المخطئ ومن المصيب.. المادة الخالصة أم الصوفية العشقية التائهة في العالم.. هذه هي القصة التي رأيتها عندما عدت من المولد وحضرت فراق العاشقين..

قال لي وهو يحتضنني بعد عودتي:

- اعزف لي أي شيء الآن يا زمار فيثاغورث..

قلت له في حزن:

- المزمار اتكسر..

- لا يهم سنظل نعزف بقلوبنا.. فالكون هو الموسيقى والحب هو لحن حياتي.. ولن تنتصر المادة أبدًا.. وسنجد من يشاركنا في مدينتنا الفاضلة..!!

عمر طويل مر وعرفت أن سليم هاجر إلى الخارج ثم عاد إلى مصر وتوفي بمرض خطير ودفنه إخوته في مقابر العائلة.. ولم يتزوج.. وكان آخر ما كتبه كلمات نجيب محفوظ «إن الذين يحبون ما فوق الحياة لا يتزوجون»..!!

ولكن المقابر شهدت جملة غريبة مكتوبة فوق قبر سليم تقول «إلى أجمل مجنون عرفته في حياتي.. سأحبك إلى الأبد»..

كنت أقف هناك لزيارة قبره ولا أعرف هل كتبت هذه الجملة راندا أم حب جديد له؟ ولكن إن كانت راندا هي التي كتبتها فهي ما زلت تحبه.. لقد انتصر عالمه الروحي على عالم المادة إذًا ووجدت راندا ابن الحلال ولكنها لم تجد ابن الحب.. لقد انتصرت يا سليم.. لقد وجدت مدينتك الفاضلة ولكن بعد موتك.. أو موتك في ذات الحب..

يا لك من مجنون مثالي!!

خمارة الشيخ مرسي

حارة «الأمل» مكان مرسوم على الخريطة بأقلام العذاب التي لازمته سنين عددًا.. مقسوم فيها الرزق ومقسم على صاحب الخمارة وباقي الحارة.. تلك إذًا قسمة ضيزى.. أليس كذلك؟

سكان الحارة بمقياس الخير والشر هم على درجة كبيرة من الخير ودرجة أكبر من الأمل الذي يكتنفه اليأس في أوقات كثيرة.. كم أرادوا هدم الخمارة وبناء ما أسموه «قصر الأمل».. ولكن كل ما يحدث عندما يموت صاحب الخمارة أو يطرده أهل الحارة أن يأتي بسرعة صاحب خمارة جديد يعدهم بألا يجور عليهم..

صاحب الخمارة له القوة والسيطرة على الحارة بسبب سطوته ونفوذه منذ عدة أجيال، وسيطرته على الحارة لم تأتِ من فراغ، بل من بسطة رزقه وبعض أنشطته المحرمة وقوة حرسه المسيطرين على مفاصل حارة الأمل..

حدثت مشادة عنيفة بين صاحب الحانة السابق وأهل الحارة مما جعلهم في غضب عارم يطردونه بعد أن أسكرهم سنوات وأعماهم عن الحقيقة.. الحقيقة التي قال عنها إميل زولا إنها كعابر السبيل.. لا تعدو في هذه الحارة إلا أن تكون كلبًا ذليلاً..!

شيخ الحارة عبد المقصود أكثر من يسكر فيها.. ويا للعجب من شيخ يسكر وصاحب حانة لا يسكر أبدًا، فهو يخطط جيدًا للوصول إلى هدفه بالسيطرة الأبدية على الخمارة وإذلال الحارة وتنويمهم ورفع حصة السكر لهم كي لا

ينتبهوا إلى ما يخطط له..

وفي إحدى الليالي على مقهى «عبده حربايه»، قال زبون:

- يا عم عبده بيقولوا جابوا واحد جديد مسك الخمارة..

رد عبده عليه قائلا:

- وهي يعني هتخرب؟ ما طول ما فيها شيخ الحارة هيبارك في عمره زي كل يوم وكل ساعة ومعظم الحارة بتصدق بسبب فقرها..

- ده شيخ الحارة قال لهم إن الشيخ مرسي الجديد ده بينزّل الملايكة من السما.

- شيخ؟ هم جابوا شيخ بدل العسكري القديم؟ وهو فيه شيخ بيمسك خمارة؟!

- وهو يعني يا عم عبده فيه حارة شريفة تسمح إن يمسكها خمارة؟

- والله عندك حق.. ويقولك حارة الأمل.. أمل إيه بقى وزفت إيه.. يبقى الحال كما هو عليه..

أمام الحانة يقف الشيخ مرسي مصحوبًا بشيوخ عدة من «المهلباتية» و«النهيبة» باسم الدين، وتوجد لافتة معلقة على الحانة وهي مغلقة ومكتوب عليها: «مغلقة باسم الحارة والأمل.. لحين إشعار آخر»..

«إيّاكَ والخمرَ، فهي خالبة، غالبة، خابَ ذلك الغَلَبُ» (المعري)

قال الشيخ مرسي:

- إيه ده؟! مين معلق بيت الشعر ده على الخمارة؟! الناس دي اتجننت ولا إيه؟!

فقال أحد الشيوخ:

- والله يا مولانا إحنا هنعلق إن شاء الله بيت الشعر اللي بيقول: «ألا فاسقِني خمرا، وقل لي: هي الخمرُ/ ولا تسقني سرّا إذا أمكن الجهر» بتاع أبو نواس.

رد الشيخ مرسي:
- بارك الله فيك انت بدأت تعجبني.
- محسوبك.. المهم ناخد البركة من سعادتك وتشوفنا سعادتك بحاجة كده إن شالله «بار مان» تحت التمرين..
- أكيد أكيد.. طالما انت جاي من ناحية شيخ الحارة هاشوف طلبك.
- ده أنا جاي كمان من ناحية حبيبك «منفوخ البلتاجي» وحبيبنا الساحر «صهيون بديع».
قال الشيخ مرسي:
- جاي من طرف صهيون بديع شخصيًّا.. لا انت كده أكيد مستقبلك معانا مبهر ما تقلقش.
- وكل اللي مش هيشرب الخمرة بتاعتنا «كاااافر» بإذن الله، وما تقلقش من الفتاوي أنا مجهز رجالتنا كويس في الحارة..
- توكلنا على الله.. ده حتى ربنا وعدنا بخمر في الآخرة يبقى لازم نشربها في الدنيا، مش كده برضه؟
نظر الشيوخ لبعضهم البعض باندهاش وحيرة ثم هللوا وقالوا:
- أكيد أكيد كلام سعادتك حكم، والله يا شيخ مرسي انت علامة في الدين.
وداخل الحانة بعد شهور:
قال منفوخ البلتاجي:
- يا شيخ مرسي النوع اللي اسمه «ويسكي بوربون» خلصان والزباين طلباه..
قال له الشيخ مرسي:
- طيب والتكيلا؟
قال منفوخ البلتاجي:
- هاشوف لسعادتك في الكشوفات..
يدخل أحد الزبائن، قال مخاطبًا الشيخ مرسي:
- والنبي يا شيخ مرسي اديني بوربون.

قال الشيخ مرسي:

- خلصان يا سيدي شوف غيره.. وبعدين من هنا ورايح الضرايب هتزيد على الحارة، واللي مش هيدفعها إيه يا شيخ؟

رد أحد المشايخ:

- كافر ونجس.

قال الشيخ مرسي:

- سمعتوا يا زباييني الحلوين..

ردد الزبائن في ضجر وبصوت هادئ:

- عاش الشيخ مرسي.

قال الشيخ مرسي:

- بعد ما تخلصوا شرب هاقول لكم خبر هيفرحكم..

سأل أحد الزبائن:

- خبر غير الضرايب؟

قال الشيخ مرسي:

- لا أنا فكرت أرفع «الحد الأدنى للخمور» لأنكم بتتعبوا كتير ولازم تشربوا عشان تتوهوا شوية من تعبكم وتنسوا الهم.

قال زبون:

- قصدك ننسى الحارة ونسيبها لك.

قال الشيخ مرسي:

- بتقول حاجة يا أستاذ انت؟

- شكله كده أعوذ بالله من غضب الله كافر ومرتد وبيقول كلام في سره عن سعادتك.

قال الشيخ مرسي:

- أنا لازم أسأل مسيو صهيون أعمل إيه مع الناس دي لأنهم بدأوا يكتروا ويتمردوا عليا.

وفي ممر بين الخمارة والسيرك يسير الشيخ مرسي للوصول إلى صهيون.. والسيرك هو مكان حكم الحارة الآخر وبينهم نفق للمرور لأن الشيخ مرسي لا يستطيع اتخاذ أي قرار دون الرجوع الي وليّ نعمته..

وفي أثناء تقديم فقرة الساحر لصهيون يقاطعه مرسي صائحًا:

- والنبي عايزك في طلب..

قال صهيون:

- مش فاضي دلوقتي يا مرسي، ورايا فقرة الساحر.. فقرة السكينة اللي بعملها كل يوم.

- كان بس ليا سؤال..؟ أعمل إيه مع المتمردين أو حتى اللي بيحاولوا يقدموا لي نصيحة.

- قولت لك عند الآية اللي بتقول: «وأغلظ عليهم».. والآية التانية: «وأطيعوا أولي الأمر منكم والله والرسول».

- بس الآية بتقول: «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول».. قبل جملة أولي الأمر حضرتك يمكن عاكسها بس..

- إيه يا مرسي؟! جرى إيه؟! أما أقول لك الآية تسمعها وانت ساكت.

- تمام معاليك.. خلاص يطيعوا أولي الأمر الأول حاضر.. وكمان هاغلظ عليهم.

- سيبني بقى أكمل فقرتي.. إوعى يا مرسي من اللي بيقول رأيه.. أي حد عايز يقول رأيه في الخمارة إديله جرعة مضاعفة وارفع الحد الأدنى للخمور بسرعة عشان ما حدش يفوق، يبقى الصبح شغل ذل وبالليل خمرة لحد الفجر..

- تحت أمر معاليك.

ويبدأ صهيون في فقرة الساحر وبدأ يقذف السكاكين على أحد الواقفين على لوحة خشبية وهو مغمض العينين ويقول:

- آدي أول سكينة.. أوبا آدي التانية.. واااادي التالتة.. شوفتوا أحسن مني؟

يصيح جمهوره:

- انت البديع انت البديع..

والجمهور مكون من «بركة» و«عريان» و«ياسين» وغيرهم من أصدقائه الذين يعتبرونه الأب الروحي للخمارة والحارة معًا.. وبعض أفراد الحارة يجلسون ويشاهدون الساحر ويملؤهم الخوف من قوته التي يستعرضها عليهم..

ينهي بديع الفقرة ويحل محله «العريان» لتقديم فقرة «فين السنيورة؟» وهي إحدى الفقرات التي يقدمونها للخداع والغش بأوراق الكوتشينة..

صاح العريان:

- أهووووو فنطت الكوتشينة تعرف تقولي انت فين السنيورة..

قال زبون:

- هي دي؟

قال العريان:

- غلط.. مين تاني يقول لي فين السنيورة؟ ماتت السنيورة؟ في جيبي السنيورة؟ تحت رجلي السنيورة؟ فين السنيورة؟

كانت الحارة تتذمر ولكنها غير قادرة على مواجهة هذا الكم من الغش والخداع والسكاكين البديعية وخمر الشيخ مرسي الذي أعمى أبصارهم..

في الخمارة:

قال الشيخ مرسي:

- اشرب اشرب النهارده الحد الأدنى زاد وكل واحد ليه كوبايتين، وكمان ليكم هدية نبيذ معتق وشمبانيا للي عايز النهارده.. عايز سكر مبين.. عيشوا حياتكم صح وما تقلقوش من اللي بيتكلم ده، أنا شايف صباعين تلاتة بدأت تلعب في الحارة وأنا هاقطعها..

قال زبون في سره:

- والله ما في غير صباعك انت اللي عايز قطعه.

قال الشيخ مرسي:

- سامع صوت ؟

قال أحد المشايخ:

- ويل للقوم الكافرين يا شيخ مرسي.

قال الشيخ مرسي:

- هاتووه وسيبوا عليه الكلاب بتاعتنا.

تنقض فجأة على المعترض على ظلم الشيخ مرسي أربعة أجساد عملاقة متوحشة وثلاثة كلاب وولف ماركة اسمها «المغير» وشخص قصير القامة ترزي قوانين يردد ويقول:

- وكلللله بالقاااااانون يا حارة.. أي والله كله بالقاااااانون.. ولا صوت يعلو على القانون.. إديها يا شيخ مرسي «إعلان مخموري».

«إعلان مخموري رقم ١»

١- الشيخ مرسي هو صاحب السلطات كلها واللي مش عاجبه الباب يفوِّت جَمل.

٢- شيوخ الشيخ مرسي يركبوكم لحد نهاية الحكم ويكفروكم زي ما هم عايزين وما حدش يحاسبهم بالقانون لأن أنا القانون.

٣- الخمور إجباري من الساعة عشرة بالليل لحد الفجر.

٤- أصحاب الجبنة «النستو» المعفنين دول لازم يتربوا في المعتقلات لأن أنا جيت بالشرعية.

٥- مشاهدة فقرة صهيون بديع إجبارية بعد شرب الخمور.

والله الموفق..

سادت حالة من الذعر والقلق في الحارة بعد الإعلان المخموري الذي أعطى سيطرة واضحة للشيخ مرسي وأتباعه وكلابه.

سادت أصوات كبيرة في الميكروفونات في الشوارع تردد وتقول: «يلا ميعاد الخمر جه يا كفرة.. اللي مش هيشرب هنقيم عليه الحد.. لعنكم الله يا كفاااااااااار».

وسادت الجملة السلبية التي تقول: «العيب إن خرج من أهل العيب ما

يبقاش عيب».. تلك الجملة التي ألبست الحق بالباطل.. العيب لو خرج من أي أحد سيكون هو نفسه العيب.. أين الحقيقة التائهة في هذه الجملة التي تدعو الناس للخنوع والاستسلام لأهل العيب؟

أي حارة تلك التي أصبح فيها الشيوخ مثل الشروخ؟ تتصدع جدران الإرادة أمام كل شرخ منهم يهدمك ويكفرك..

أي حارة تلك التي أصبح فيها صوت «المسبحة» كدوي المدفع بعد عدة تسبيحات يصدر حكم بالموت عليك؟!

أي حارة تلك التي يحاول شيوخنا أن يجبرونا على كره ديننا حتى لا نستطيع حتى أن نفرق بين كره الشريعة وشريعة الكره؟

وأي زمن هذا الذي يتقاذفنا ما بين شيوخ السلاطين إلى سلطان الشيوخ؟

في قهوة عبده حربايه:

قال عبده:

- والله عال.. الشيخ مرسي خلاص أكلها والعة ولا ميت سنة بقى على ما ينزل من على كرسي الخمارة..

قال زبون:

- لازم الخمارة دي تتهد ويتبني قصر الأمل اللي كلنا عايزينه..

قال عبده:

- دي حكاية عايزة ناس فايقة وإرادة.. وانا يا دوب قهوتي بتفوَّق اللي بيخرجوا سكرانين من عند الشيخ مرسي، وبيرجعوا يسكروا تاني كل يوم ومش ملاحق أفوّق مين ولا مين..

قال زبون:

- لازم يبقى لينا صوت.. زي ما اللي قبله مشي من الحارة.. ده لازم يرحل.

قال عبده:

- طب وشيوخه؟

قال زبون آخر:

- فعلاً شيوخه هم مصدر قوته.. جايلنا بسلاح جديد وكأنه مكتشف دين الله اللي احنا عارفينه أكتر منه صاحب الخمارة النجس ده.

وفي الخمارة:

قال الشيخ مرسي:

- اشربواااا اشربواااا قوانين الخمر وعدد الكوبايات هيتضاعف عليكوا.. كل واحد له عشرين كاس لازم يخلصهم قبل ما يروح.

قال الزبائن:

- عشرين كاس؟ ده حرام ده احنا نموت.

قال الشيخ مرسي:

- هو ده اللي عندي خلاص.. إحنا بنعلي السقف على الآخر ويا عاجبكم يا تتحرقوا من هنا على مقصلة الشيوخ.

ومقصلة الشيوخ هي مكان مغلق بالقرب من الخمارة كالعادة يفسرون الآيات القرآنية على حسب أهوائهم المريضة ويكتبون فوق المقصلة «وترى الناس سكارى وما هم بسكارى»..

وهي مقصلة يعدم فيها المعترضين على الشرب والذين يرفضون الخمر، ويعدمهم الشيوخ وتجار الدين بأيديهم الواحد تلو الآخر ويقول الشيخ أمام المقصلة: «الفوقان ممنوع.. المسطول أمل الحارة في غد أفضل.. هكذا علمنا الدين..!!».

وفي الوقت نفسه الذي يرفع فيه الشيخ مرسي سقف آماله على حساب وجع الشعب وسكره.. يرفع أيضًا صهيون سقف لعبته وصعوبتها..

في الممر بين الخمارة والسيرك يمشي السكارى الخارجون من عند الشيخ مرسي إلى سيرك صهيون بديع ليشاهدوا مجبرين فقرة الساحر بالسكاكين لكي يخافوا، ويرهبهم الحاوي صهيون بديع بالنار الذي يخرج من فمه والسكاكين التي يقذفها على الناس بدقة فائقة دون أن تصيب.. ولكن الطمع والغرور هما من أسباب النهاية دائمًا في كل زمان ومكان..

في السيرك:

قال صهيون:

- قرب قرب قرب.. دلوقتي هارمي خمسين سكينة وانا مغمض عيني في كل مكان ومن غير إصابات..

رد الجمهور غاضبًا:

- هتقتلنا !! .. أرجوك اكتفي بعرض سكاكين زي كل عرض بلاش مخاطرة.

- اخرسوا واتفرجوا يا شوية حَوَش يا سكرانين.. آدي السكينة الأولى.. طررااااخ.

وتمر السكين بدقة بالغة دون أن تصيب أحدًا فيزيد غروره، ويرمي السكاكين بعنف وهيستيريا لكي يرهب أهل الحارة السكارى، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.. وتصيب السكاكين عددًا من الأطفال الحاضرين وتقتل رجالاً ونساءً من الحضور، وينقلب السيرك إلى مذبحة دموية بسبب أفكار صهيون القذرة التي طالها الغرور المميت..

تخرج أصوات الصراخ من السيرك ويسمعها من في الخمارة، ولكنهم لا يستطيعون الحركة لأن بعضهم قد مات بسبب جنون العظمة الذي أصاب الشيخ مرسي وقرار العشرين كأس خمر الذي لم يقدر عليه البعض وسقط مغشيًّا عليه ومات البعض الذي لم يتعود إلا على كأس واحدة قديمًا..

تعالت الصرخات من المتأوهين من الخمارة والقتلى في السيرك.. ظل العريان يصيح في جنون «فين السنيورة؟ فين السنيورة؟» وهو يرمي بأوراق «كوتشينته» في الهواء.. ويحاول أن يلهي الجمهور عن صهيون وهو يهرب من ممر الخمارة بعد قتله العشرات وخوفه من الفتك به..

خرج أهل قهوة «عبده حربايه» حاملين الشوم بعدما علموا بخبر القتلى من أهل الحارة، وصاح أحد مشايخ الشيخ مرسي:

- إنها الفتنة يا جماعة.. اتقوا الله.

صاح في وجهه أحد أهل الحارة:

- إخرس يا كلب.. انت الفتنة وأُس البلاء يا شيخ العار.. اتفووووه.
خرج خندق عساكر الحارة، الذي حاول الشيخ مرسي السيطرة عليه طويلاً، لمساعدة أهل الحارة في الإمساك بالشيخ مرسي قبل هروبه مع صهيون ..
وتم الإمساك بهم وسط أجواء زفة بلدي من أهل الحارة، وهم مقلوبون على ظهر حمار في زفة عار وذل نتيجة طغيانهم وتخديرهم للشعب..
ولم يبقَ إلا العريان الذي وقف يصيح:
- فين السنيوووووورة؟
وقفت شابة ترتدي الأحمر والأبيض والأسود.. صفعته على وجهه صفعة سقط من فورها على الأرض مستسلمًا ذليلاً..
قالت وهي تخرج من بين الضحايا وتقبل جبين كل شهيد:
- أنا السنيورة يا جبان اللي بتدور عليها..
وخرج أهل الحارة يحرقون زجاجات الويسكي التي خدرتهم طوال فترة طغيان الشيخ مرسي.. وأسكروا الشيوخ بالخمر وهم مكبلون بالأصفاد حتى سكروا وقال لهم أحد أفراد الشعب ساخرًا من هؤلاء الظلمة:
- هز يا وز يا شيخ يلا.. هز يا وز.
وفعلاً رقص الشيخ الظالم أمام الحارة وسط ذهول الجميع وهو مخمور، وسبحان المعز المذل.. والجزاء من جنس العمل..
وما زالت الخمارة مغلقة حاليًّا للتحسينات بأمر الشعب، على أمل بناء «قصر الأمل» في يوم ما.. من شهر ما.. في أمل ما..!

جدي الحبيب الحاج عبد الرؤوف

«لا شيء يقتل السعادة مثل الذكريات السعيدة»

أندريه جيد

حكمة غريبة أليس كذلك؟ لا شيء يقتل السعادة مثل الذكريات السعيدة.. حينما قرأتها لأول مرة قلت «غريبة»، وحينما تأملتها عدة مرات بعد ذلك أدركت مدى عمقها..

هذه القصة لها عدة عصور.. عصر قديم وعصر حديث وعصر الحقيقة.. عصر الطفولة وعصر الألم.. وحين يلتحم داخلي كل عصر منها يخرج مني إعصار تنهدات على ما فقدنا وما فقدت البشرية.

العصر القديم:

كانت أكبر أيام سعادتي في أيام جدي عبد الرؤوف.. كنت أذهب من المدينة إلى قرية صغيرة نائية لزيارته ولا أشبع من القرية ولا منه أبدًا.. فرغم صعوبة الحياة هناك فإن وجوده فقط حولي يهبني السعادة والإحساس بالخير والطيبة في هذا العالم، وأن الإنسان له معدن آخر غير معدن الشر الواضح عليه والجاثم على نفسه..

هذا الجد الطيب كنت أقول عنه دائمًا: «لو لم يدخل الجنة فمن سيدخلها؟».. كانت كفَّاه مثل التعبير الشعبي هي «كفوف الراحة» لأهل القرية جميعا..

كانت احتفاليات رجوعه من الحج في القرية أشبه باستقبال الفاتحين.. وهو ينظر بكل تواضع إلى الناس وهم يتراقصون من حوله استقبالاً له وترحيبًا بعودته، وكنت أرى هذا كله بعيني وأنا طفل صغير ولا أعرف سر هذا الرجل..

في إحدى المرات أيام الطفولة وفي أثناء وجودي حول سرادق عزاء لأحد أفراد الأسرة في القرية سألته: «هو انا هادخل الجنة يا جدو؟»، قال باختصار وهو يبتسم: «كلنا هندخل الجنة»!!

كان أحد أهالي القرية يمسك يدي ويحاول تقبيلها لأني من أفراد أسرة الحاج الذي يعشقونه ومستعدين لأن يهبوه حياتهم من فرط الخير الذي يقوم به.. إنه ملاك في صورة إنسان.. حاول الرجل تقبيل يدي وقال لي بصوته القروي الرخيم: «جدك ده راجل بركة.. أي والله راجل بركة»..

ثم بدأ يرقص من جديد حول احتفالية الرجوع من الحج من أهالي القرية.. لم أفهم سر سعادة هذا الرجل برجوع جدي بهذا الشكل المدهش، وكأنه أخوه مثلا أو أحد أفراد عائلته، بل إن حتى أفراد العائلة الواحدة لا يفرحون أحيانًا بهذا الشكل.. إنه يشكل لهم الحماية والأمن والخير والبركة، وكل ما تستطيع تخيله أنه ما يجعلهم يتنفسون في هذه القرية ويشعرون بكلمتهم أن «البلد ليها كبير»..

وكأن جدي هو تجسيد لبيت شعر أبي العلاء المعري حين قال:

أبَينا سوى غِشّ الصّدور، وإنّما

ينالُ، ثوابَ الله، أسلمُنا قلبا

وكأن كل الناس غيره كنت أراهم على صورة البيتين اللذين يقول فيهما الشاعر:

ذَهَبَ الْوَفَاءُ ذهَابَ أمس الذَّاهِبِ

فَالنَّاسُ بَين مُخَاتِلٍ وَمُؤَارِبِ

يُفْشُون بَيْنَهم الْمَوَدَّة وَالصَّفَا

وَقُلُوبُهم مَحْشُوَّة بِعَقَارِبِ

كان باختصار تستطيع وصفه بجملة: «رجل لكل العصور».. يكفي أن أجلس على أريكتي وأتذكره وأغمض عينيَّ وأغوص في بحار «النوستالجيا» والشجن وأيام الطيبة والخير والحس الصوفي..

كم يفتقر هذا العالم الحزين إلى رجال من معدن الحاج عبد الرؤوف.. هذا العالم الذي استولى عليه الشر وهمهمت فوق رأسه البغضاء والتنافر..

كان رجلاً لا يفارق سجادة الصلاة بشكل غريب.. كان يضحي من أجل جدتي بالغالي والنفيس ولا يبخل عليها بعاطفته في أثناء مرضها.. كانت قصتهما لو كانت في العصر الحالي لكتبوا عنها ألف رواية، وكيف كان لا ينام الليل كي يطعمها إذا أشارت بيديها أو أشارت إلى زجاجة المياه ليرويها.. وكنت وأنا طفل صغير أسهر حولهما وأرى هذه الصورة التي ما زالت تداعب خيالي من حين لآخر عن جمال الدفء الأسري وعلاقة الزوج بزوجته والتضحية المدهشة التي لم أفهمها صغيرًا وأبكتني كبيرًا حينما كنت أتذكرها..

جدتي حين انتابها المرض وأصابها ما أصابها أصبحت تتحدث بصعوبة ولا تتحرك من مكانها، وكان الجد عبد الرؤوف بمثابة كل شيء لها في الحياة، أصبح ذراعها التي تأكل بها وتشرب، وقدميها اللتين تتحرك بهما..

في إحدى المرات سهرت معهما ليلاً لعلي أخدم جدتي أو أساعدها في أي شيء تريده، ولكن رحت في سبات عميق، ولم أفق إلا صباحًا، أما جدي فكانت عيناه دائمًا في احمرار دموي لأنه لا ينام الليل في خدمة زوجته أو ما بين خدمتها وسجادة الصلاة..

هل رأيت رجلاً لا يفارق سجادة الصلاة من الصباح إلى المساء، حتى أنه يشاهد نشرة الأخبار وهو قابع فوقها؟ كنت أقول لنفسي وأنا طفل: «الراجل ده زي الرسول؟»، وأسأل من حولي: «هو جدو رسول؟».. فيضحك البعض ويتغامزون على سؤالي الغريب.. ولكني لم أفهم لماذا لا يفارق سجادة الصلاة؟ سمعته في أحد الأيام في الغرفة المجاورة وأنا في القرية في فترة طفولتي وهو

يدعو بصوت مرتفع والكل نائم.. سمعته وهو يدعو لجدتي بالشفاء ويدعو لبقية أفراد الأسرة أن لا يصيبهم مكروه أبدًا.. يدعو حتى البكاء وأنا أتلصص عليه من خلف باب الغرفة، وسألته في إحدى المرات وقلت:

- جدو هو انت بتصلي كام ركعة في اليوم؟

- مش بالعدد يا حبيبي.. المهم القلب.. حب ربنا.. مش هيسيبك.

أذكر أني كنت أعشق الدجاج.. أفتح «الثلاجة» ليلاً وآخذ قطعة الدجاج الكبيرة التي طبخها عم علي الطباخ وآكلها ليلاً وجدي يعرف أني آكلها في السر ويضحك في سره.. ثم يسألني في الصباح: «الفرخة عاملة إيه في بطنك؟»..

وأنا أخبط على بطني عدة خبطات ويزداد صوت ضحكاته وفرحته بأحفاده وبعائلته التي تعيش في خيره..

لو عرف أحد تجار الدين في هذه الأيام كيف يستطيع شخص أن يحبب الناس في الدين بالخير والمعاملة النبوية وترغيبهم في الحياة وفي الجنة لخجلوا من أنفسهم.. شيوخ العار لهذه الأيام الذين لا يتوعدون الناس إلا بجهنم الحمراء لأي سبب.. وهو يقول لطفل بسهولة: «كلنا هندخل الجنة».. هي لم تكن فتوى، ولكنها كانت جملة جعلتني أصلي كثيرًا وأنا صغير.. أصلي في كل مكان ولأي سبب.. أصلي لله وللحب إلى خلف جدي في جماعة لأني أشعر بروحه الطاهرة تهفهف حولي وتزيد من جمال الصلاة.. وفي هذا العصر أنقطع عن الصلاة وأعود إليها على فترات ليس كأيام جدي أبدًا.. ما أجمل أيامك يا جدي!!

كان يذهب معنا أحيانًا إلى المصيف في رأس البر في سيارة «بيجو» قديمة، وكان يعشق هذا الهواء النقي الجميل ويتأمل البحر ويمشي بعصاه الغليظة على رمال الشاطئ، ولكنه يعود إلى قريته بحب أكبر.. إنه يعشق مكانه حتى الثمالة.. إنه يشعر أنه أحد أعمدة هذه القرية ويجب ألا يفارقها.. إنه معجون بطينة هذه الناس وقلوبهم ولا يريد أن يهجر هذا المكان.. جدي هو مكان وزمان.. ولم يبقَ من أثره شيء في شر البشر حاليًّا..

في أسرتي أساطير.. نعم أساطير وخرافات كثيرة، ولكن جدي الحاج هو الحقيقة الوحيدة بالنسبة إلي.. هو الذي فهمت منه معنى التضحية والإخلاص والصفاء وصوفية القلب..

أسرة غريبة مباركة في أيام جدي قديمًا.. حتى أخته الحاجة فاطمة.. كانت من فرط بركتها في القرية يذهب إليها الناس بالأطفال تبصق عليهم فيتم شفاؤهم.. نعم إنها غريبة حقًّا.. نعم سيقول البعض خرافات، ولكن كان أهل القرية يعتقدون فيها كأغلب القرى.. وهي لم تكن تحصل على أجر مقابل هذا، بل كانت لا تريد هذا إلا تحت ضغط الناس وإصرارهم على أن ينالوا البركة من الحاجة فاطمة..!!

ولهذا أعشق الأساطير والخرافات في وقت واحد.. وأصدق بركة الحاجة فاطمة وإن لم أرها بعيني، ولكني رأيت الحاجة بنفسها أمامي سنوات كثيرة، وكان ملائكة الخير حولها مثل جدي الحاج..

من هؤلاء الناس؟ من أي معدن هم؟ ما هذا النبع الخيِّر الذي لو انفجر في وجه الشيطان لصار ملكًا كريمًا..؟!

كان رجلًا غنيًّا ولا يهتم بالمال أبدًا.. كانت علاقته بالطباخ والخادمات علاقة إنسانية لن ترى لها مثيلاً.. يجلس معهم ويستمع لمشاكلهم، بل يتشاجر معهم أحيانًا ويرسل إلى بيتهم ليصالحهم وكأنهم أصدقاؤه وليسوا عمالاً عنده..

كان يعطينا المال حتى ولا يعرف قيمته بالضبط، وكنا نضحك أحيانًا لأن جدي الحاج لا يشعر بتغير الزمن وارتفاع الأسعار، فمن الممكن أن يعطيك عشرة جنيهات في زمن لا تساوي فيه شيئًا، ولكنه يعتقد أنها تساوي الكثير، ولكنه كان كريمًا بسخاء ودائمًا ماله داخل محفظته للجميع، وحتى لبعض أهل القرية..

يحكى أن جدي الحاج أول من حصل في القرية على جهاز التلفاز، وكان الناس في عجب من هذا الجهاز السحري الغريب.. ولكنه لم يبخل به على

الناس بل وضعه في الشرفة في الدور الأول وجلس أهل القرية مبهورين يشاهدون هذا الشيء عند الترعة المجاورة للبيت.. كانوا يشاهدون المباريات ونشرات الأخبار في عدة ليالٍ من الأسبوع وسط فرحتهم ومباركتهم، بينما كان الكثير من الأغنياء الآخرين يشاهدون وحدهم ولا يهمهم إلا أنفسهم.. إنه الإيثار وحب الآخر.. إنه تغليب المشاركة على شهوة الامتلاك.. إنه الحاج عبد الرؤوف..

حين ماتت جدتي من المرض تغير لون جدي، وأصبح نحيلاً جدًا.. ولكنه لم يفارق سجادة الصلاة.. تلك البقعة التي ينادي بها العالم أجمع.. ويقول فيها «هنا الحقيقة وهنا الحب وهنا السعادة»..

انتابته الأمراض وضعفت مناعته بعد فترة وجلس فوق بقعته الشريفة.. فوق سجادة الصلاة.. يصلي عددًا من الركعات لا تتخيلها، وقال لي في مرة: «صلِّ للناس كلها».. لا أفهم هل كان يصلي جدي للبشرية؟ وما زلت أسأل كل أنواع الخرافة.. هل جدي رسول؟

حين مات جدي على سريره في المستشفى بالمنصورة كان يوم القيامة بالنسبة إلي.. أصبحت أفكر ألف مرة في أسباب السعادة وفضائل الخير وكيف ألبس أثواب القديسين وكيف أدهن بالخير جلدي ولحمي وعظامي.. ألا أذم أحدًا أو أفعل أفعالاً شائنة كتلك التي يقوم بها البشر بألسنتهم وخصلة الكره فيهم.. أحاول أن أجعل جدي قدوتي.. أن يتجسد الخير في صورتي ولا يصدر عني الشر نهائيًا.. رغم أننا في عالم الشر نفسه..

تغيرت القرية بعد سنوات.. لم تعد مثلما كانت عليه.. لم أذهب إلى هناك منذ سنوات فكل ما كان يربطني بها هو هذا الرجل.. الذي أنظر إليه بفخر وعزة.. وأقول إنه رجل المعادلات الصعبة.. رجل قلبه كحمامة السلام ودمه كأنه منقوع الشربات.. إنه فرحة عمري.. أيام طفولتي بل أجمل أيام طفولتي.. كنت أبكي يوم فراق جدي ليس لأني فارقت الجسد ولكن لأن هذا العالم فارق الإخلاص إلى الأبد..!

العصر الحديث:

من هؤلاء؟ لماذا يتشاجرون دائمًا؟ منذ أن قدم الوافدون الجدد إلى المنطقة وأصوات صياحهم لا تنقطع.. سكان جدد نسمع أصواتهم من بعيد دائمًا.. مشاجرات وعنف أسري لا أعرف أسبابه.. حاولت أن أفهم وأميز هذه الأصوات لأفهم لماذا يتشاجرون.. وليتني ما عرفت.. إن المرأة التي تصرخ هي في حقيقة الأمر تصرخ في وجه امرأة عجوز تعيش معها، والرجل بكل ضعف وهوان وجبن يحاول الدفاع عن المرأة من بعيد دون جدوى.. إنها تصرخ فيها وتقول: «انت ما بتفهميش؟! بقول لك سيبي الطبق».. والرجل يصيح: «حرام عليكي بقى سيبيها».

ما فهمته من الحكاية باختصار أن حماتها تعيش معها، وهي تعاملها بقسوة، وهي مريضة تتحدث بصعوبة.. آه شتان الفارق بين معاملة المرأة العجوز أيام جدي الحاج وهذه الأيام.. إنها تصرخ في وجهها بدلاً من أن تساعدها وتسهر على راحتها.. إنها تنهرها وتكسر الكوب أمام عينيها، أو هذا ما أسمعه من صوت كسر زجاج، لا أعرف هل هو كوب أم طبق..

كل يوم وكل ليلة تحدث مشادات بعضها خفيف وبعضها عنيف.. وهذا الرجل الضعيف لا يدافع عن أمه.. كيف مات قلبه لدرجة أن يرى أمه وهي تنهار في عجزها أمام زوجته.. أنا أكره هذا النوع من الرجال.. بل إنني أقسم أن زوجتي المحتملة لو فعلت هذا لأمي في يوم ما لأخرجتها من البيت بلا رجعة.. مهما كانت عاطفتي تجاهها.. فإذا قتلت داخلنا عاطفتنا تجاه أمهاتنا فاعرف أن جميع عواطفك الآن كاذبة.. حبك لزوجتك لو قتل حبك لأمك فأنت حيوان بلا قلب وتدعي الحب ولست بعاشق.. فكل حب فيهما مرتبط بالآخر.. بقلب واحد ونبع واحد..

الزوجة هي شريكة الحياة، ولكن فكر من وهبك هذه الحياة أصلاً؟

الزوجة هي التي خطفت قلبك، ولكن فكر من أهداك هذا القلب ومن زرع

ما في داخله غير أمك؟
هل تكره أمك التي تحبك دون أسباب مهما كانت الأسباب؟ أي رجل هذا؟
في آخر معركة بين الزوجة الشريرة وحماتها.. سمعت أصواتًا كثيرة ولغطًا كبيرًا.. سمعت الأبناء يصرخون ويقولون: «ماما ماما» بصوت جهير في وضح النهار، ولا أعرف أي تفاصيل أخرى فالصوت يأتي من بعيد..
إنه الزوج كان يضرب زوجته «علقة ساخنة» أظن رغم عنفه البالغ معها فإنها كانت الشيطان بعينه.. لا أحترم من يتطاولون بالأيدي على المرأة، ولكن عن أي امرأة أتحدث؟! إنها تجسيد لـ«عزازيل» نفسه.. إنها الشر المستتر بلمحات الأنوثة الخاطفة.. إنها التي قلبت الابن على أمه في فترة ما..
هل أفاق الزوج أخيرًا واستيقظ ضميره؟ هل عرف قيمة أمه المريضة وعرف قيمة رد الجميل إليها؟
استيقظت المنطقة في أحد الأيام القارسة البرودة على صرخة وعويل.. وعرفنا أن هذه الأم قد وافتها المنية.. استراحت من عناء الدنيا.. استراحت من زمن النخاسة وجبروت الشر.. فهل ماتت غاضبة وحانقة على ابنها؟
لقد مررت بسرادق العزاء.. وأنا لا أذهب كثيرًا لأداء واجب العزاء.. مع أني أكره المناسبات التي يمجدها الغير بغير سبب مثل العزاء والأفراح.. ولكني ذهبت لأرى كيف يبكي هذا الرجل الآن بحرقة على أمه التي أغضبها وترك زوجته تنهش لحمها أمامه.. كيف يندم الآن ويقتله الندم على كل لحظة لم يرضِ فيها أمه المريضة..
دخلت السرادق ورأيته يبكي.. وكأني أقول في سري: «ابكِ أيها الشيطان، يا من ساعدت زوجتك على قتل أمك.. ابكِ أيها المسخ المكابر اللقيط».
تذكرت السرادق القديم في طفولتي عندما قال لي جدي: «كلنا هندخل الجنة».. وقلت لنفسي: «لا يا جدي فيه ناس أصلاً أرواحهم مصنوعة من نار»!!

عصر الحقيقة:

مرت الأيام وأنا ألعن هذا الرجل الذي يسكن بجوارنا.. الرجل الذي رأيت فيه أحقر الصفات.. الرجل الذي بنى لزوجته تمثالاً فوق أنقاض أمه.. وتركها تستبيحها بشتى الأساليب والطرق.. يا للشيطان حين يشم رحيق كفر البشر..!!

وكانت الفاجعة بعد عدة أيام.. عرفت الحقيقة التي مزقتني حيًّا.. الحقيقة التي نهشت في عظامي حتى نحلتها.. عرفت أن التي ماتت منذ فترة وكان سرادق عزائها في الشارع لم تكن أمه.. بل كانت أمها هي.. نعم إنها أمها المريضة التي كانت تعيش معهما تحت سقف واحد، ولم يكن بيد الرجل حيلة إلا أن يدافع ولو قليلاً عن حماته.. إنه ضرب زوجته في يوم ما لأنها تسيء إلى أمها هي وليس إلى أمه.. يا للعار.. يا للسقطة البشرية..

ما هذا الجو الملبد بالنجاسة وطينة الخبال؟ أي شر هذا في هذه الدنيا؟! هل كلامك صحيح يا أيها الفيلسوف شوبنهاور؟ هل الإنسان رديء إلى هذا الحد؟ نعم إنه رديء إلى أبعد الحدود؟ الله قد خلقه وكرمه ولكن الإنسان اختار ثوب الرداءة..

إنها كانت تضرب أمها وأنا ظننتها تضرب حماتها وتسبها.. لقد تحول الموقف فجأة.. الرجل الذي ظننته شريرًا اتضح أنه في غاية الطيبة.. والمرأة التي ظننتها شريرة اتضح أنها من وقود جهنم.

كان هذا عصرًا جديدًا في حياتي.. لم يكن العصر القديم أيام الحاج عبد الرؤوف ولا العصر الحديث يوم أن كنت أسمع المشاجرات الغريبة، بل هو عصر جديد.. إنه عصر الحقيقة.. حقيقة البشرية.. حقيقة الرذيلة والفضيلة.. حقيقة الشر أو على حد تعبير الكاتب الفرنسي إميل زولا: «الوحش داخل الإنسان».. نعم الآن فهمت كيف يعيش الوحش داخل الإنسان يا زولا.. الآن رأيته..

وضعت صورة جدي الحاج عبد الرؤوف خلفية لجهاز الكمبيوتر الخاص بي

وسألني في يوم أحدهم: «مين ده؟ دي صورة قديمة قوي».
قلت في سري لنفسي: «صورة قديمة بس تنفع لكل عصر.. تنفع لكل زمن.. خصوصًا زمن الشر»..
رحمك الله يا حاج عبد الرؤوف.. لم أعرف للخير مكانًا من بعدك في هذا العالم المليء بالصراعات والعنف والحروب والدمار.. لم أعرف السلام إلا بين يديك..
وحينما زارني في الحلم منذ فترة.. ولهذا كتبت هذه القصة.. سألته مثل أيام الطفولة وأنا نائم في الحلم: «جدو هو انت رسول؟».. أمسك يدي وابتسم ولم يجب..
عرفت في الفترة بين زمن جدي الحاج وهذا الزمن الكثير: عرفت شر النساء في أمثلة كثيرة من حولي وكيف يقلبن حياة الآخرين جحيمًا.. كرهت فجأة الحياة الزوجية بسبب ما رأيته من قصص النساء وقصص الزوجات اللاتي يظهرن أزواجهن بمظهر تمثال الشمع.. وسأعيش وحيدًا لسبب واحد.. وهو أن نفسي لن تخدعني أبدًا ولكن كل من حولي يحملون قدرًا من الخداع.. إن لم يحملوا ما هو أصعب من الخداع..
نعم وكأني أصبحت مريضًا بالخوف منهم.. بفوبيا الشر.. فوبيا الأشرار.. أكرهه حد الموت.. أستغيث بالحاج عبد الرؤوف ليخرجهم من الوحل وعبوديتهم لذواتهم.. ولكنه لا يجيب.. إنه في السماء يبتسم.. لا أعرف هل يبتسم لأنه يرى مستقبلاً أفضل للبشرية أم يسخر من زماننا هذا.. لا أعرف!!

محمود بفستان الفرح والطرحة

كن ساكنًا في ذا الزمان بسيره
وعن الورى كن راهبًا في ديره
واغسل يديك من الزمان وأهله
واحذر مودتهم تنل من خيره
إني اطلعت فلم أجد لي صاحبًا
أصحبه في الدهر ولا في غيره
فتركت أسفلهم لكثرة شره
وتركت أعلاهم لقلة خيره

من أشعار «الإمام الشافعي»

«الفرح قرب أنا قلقان».. هكذا ظل محمود يشكو لصديقه خالد قبل يومين من فرحه هو ويارا..

قال له خالد:

- ما تقلقش من حاجة.. كل حاجة معمول حسابها.

- إلا الناس ما بيتعملش حسابهم.

- الناس؟ انت بجد بتفكر في الناس؟ يا حبيبي كده كده هيتكلموا عن أي حد حتى لو من جواهم.. ما سمعتش عمر الخيام وهو بيقول: «عاشر الناس

على ريبة».

- الناس عمرها ما بتلاقي الكمال إلا في عالمها بس إنما دايمًا تنعت باقي الناس بالنقص وكأن كل واحد ملك في عالمه والباقي لا يصلحوا إلا حاشية في بلاط سعادتهم.

- بص.. انت هتعمل اللي عليك وربنا يسهل والفرح يطلع ممتاز إن شاء الله.

لم يذق محمود طعم النوم من يومين لأنه يريد أن يكون الفرح مثاليًّا، ليس من أجله بالطبع فالرجال عادة لا يهتمون بهذه التفاصيل، والأفراح عمومًا تفاصيل أنثوية.. ولكن من أجل يارا حبيبة عمره التي سيصبح زوجها بعد حلم سنين طويلة ومشاكل كثيرة وعقبات كانت في الطريق كما هو حال الدنيا..

وقبل الفرح بيوم محمود يدخن سيجارة على كرسي في غرفته يُطرق الباب، يقول محمود:

- ادخل.

تدخل كليوباترا، وتقول:

- أهلاً انت بتشرب إيه؟

- باشرب كليوباترا.

- إيه يا أخ ده؟ الملافظ سعد.. انت بتهيني.

- انتِ مين؟ ودخلتي هنا ازاي؟ أنا مش مركز ومسقَّط أساسًا ومش شايف قدامي.

- أنا الملكة كليوباترا.

- يلا يا هبلة يا أم بدوي من هنا.

- أم بدوي؟ مين أم بدوي دي؟

- والله على رأيك.. مش عارف إيه الشتيمة دي ولا فاهم معناها.. إيه يعني لما أقولك أم بدوي؟!

- وبتتجرأ وتشتم ملكة وأنا جاية أساعدك؟

- ملكة مين يا ماما.. ده بس أكيد عشان أنا مهيِّس ومطبَّق.. انتِ مجرد حلم مش أكتر.

- ليه يعني هو مش انا طلعت لتوفيق الحكيم كذا مرة في قصصه ومسرحياته وكنت شخصية مهمة عنده؟

- طيب ده توفيق الحكيم أنا مال أمي بقى؟! روحي اطلعي له هو.

تخلع جزءًا من ثوبها وتضعه على الشماعة وينكشف جزء من جمال فرعوني يبهر الأعين، يقول محمود:

- قشطة قوي.

- قشطة؟

- ملبن كمان.

- انت جعان؟

- آه صحيح هتفهميها ازاي دي.. لا يا ستي ده كلام بنعاكس بيه هنا في بلدنا مش عارف ليه دايمًا بنعاكس بالأكل، وساعات بنقول بسبوسة وحاجات من دي.

- واضح إنكم همكم على بطنكم شوية.

- انتِ بتستعملي «فير آند لفلي» ولا ده بياض طبيعي يعني؟

- «فير آند لفلي»؟ إيه الهبل ده؟

- طيب أنا عايز أفهم انت جاية لي يعني روح مثلاً ولا انتِ عايشة أساسًا في عالم موازي مثلاً والحوارات دي؟

- أنا مش فاهماك بس انا عايشة طبعًا وباحب جديد كمان.

- أنطونيو.. آه..

- انت تعرفني كويس؟

- انت عبيطة ولا إيه؟ ده انت من أشهر الشخصيات في العالم ومعمول عليكِ أفلام بقى وإليزابيث تايلور شخصيًا ممثلة في الفيلم، وكمان أشهر مسرحية شعرية لأحمد شوقي اسمها حتى «مصرع كليوباترا».

- يا ساتر.. مصرع؟ ليه كده؟
- آه ما انت هتموتي منتحرة بعيد عنك، وهتتنفخوا انت وأنطونيو في موقعة كده اسمها «أكتيوم البحرية».
- انت بتفوِّل في وشي؟ أنا الحق عليَّ إني جاية أساعدك.
- يا ستي اعتبريني بقرا ليكي الفنجان وخلاص، أنا آسف لو زعلتك، ربنا يديكي طولة العمر، المهم هتساعديني ازاي بقى وانا فرحي بكرة وخايف يطلع مش كويس قدام الناس.
- ما هو ده اللي جيت لك عشانه.. انت تعرف عني إني كنت باهتم بكلام الناس؟
- لا ما شاء الله ده انتِ مطرقعة رسمي يعني وتستخبي في سجادة وتنزلي تفرقي القمح ع الناس في الشارع.. لاسعة لاسعة يعني.
- عشان كده جيت أنقل لك فكرتي أنا شايفاك قلقان وجاية أقول لك إن بالعقل أو بالجنون الناس مش هترضي أبدًا عن حد، ده طبع بشر أنا عارفاه كويس.
- يعني أعمل إيه يا مزة انتِ؟
- مزة؟
- أمال انتِ مش شايفة نفسك ولا إيه.. ده انتِ من ساعة ما دخلتي عليا وانا هاموت عليكي.
- هاعمل لك محضر تحرش.
- هههه حلوة، ووقعي عليه باسم الملكة كليوباترا.. وبعدين ما انت ياما اتحرشوا بيكي يعني هي جت عليّ.. انتِ بصراحة لوز قوي.
- رجعنا للأكل تاني وطريقة الجعانين دي.
- طيب خلاص قولي لي إيه العمل واعمل إيه عشان أرضي الناس؟!
- لا أنا مش جاية أخليك ترضي الناس، أنا جاية أبين لك الناس على حقيقتهم حتى أقرب الناس ليك.

- يعني انتِ جاية تكشفيهم قدامي مش تساعديني في إرضائهم.
- مش انت عارف إن إرضاء الناس زي ما قال لقمان الحكيم لابنه: «يا بني لا تعلق قلبك برضا الناس ومدحهم وذمهم، فإن ذلك لا يحصل ولو بالغ الإنسان في تحصيله بغاية قدرته»؟
- طيب هنعمل إيه دلوقتي؟
- هات خطيبتك يارا عشان نتفق هنعمل إيه في الفرح.
- هاكلمها على الموبايل وكلميها انتِ.
- الموبايل؟؟
- يا ستي ارحميني بقى اتفرجي وانتِ ساكتة.
تجلس كليوباترا مذهولة مما يحدث ويبدأ محمود في الكلام مع يارا، قائلاً:
- إزيك يا يارا يا حبيبتي.. بصي أنا عندي ليكِ مفاجأة.
- مفاجأة إيه يا حبيبي؟!
- هاخلي كليوباترا تكلمك.
- كليوباترا مين؟!
يقول محمود هامسًا لكليوباترا وهي مذعورة من التليفون:
- كلميها كلميها ما تخافيش.
أخذت كليوباترا التليفون وقالت:
- أهلاً.
سألتها يارا قائلة:
- انتِ مين وبتعملي إيه عند جوزي في وقت زي ده؟! ده احنا الفجر.. ده أنا هاخرب بيتكم.
- إهدي بس أنا جاية من زمن تاني وجاية أساعدكم.
- لا لا مش هتدخل عليَّ التمثيلية دي.. زمن تاني إيه؟ ليه يعني مدحت صالح؟
قالت كليوباترا لمحمود:

- مين مدحت صالح ده؟
- ده واحد كان عايز يعيش في كوكب تاني.
- وعملها فعلاً؟
- بلا خيبة عملها الروس والأمريكان وكل الجنسيات واحنا مش عارفين نطلع القمر ولا نطلع السطوح حتى.. البلاد كلها طلعت الكوكب التاني ومدحت صالح فنجري بُق.
قالت كليوباترا ليارا:
- أنا مش مدحت بتاعك ده، بس أنا جاية أقول لكم على فكرة.. صدقيني أنا كليوباترا بجد.
قالت يارا:
- كليوباترا آه ويا ترى عادي ولا سوبر؟
- يا يارا لو مش مصدقاني تعالي شوفيني بنفسك.
- عمومًا قولي لسي محمود بتاعك إن مفيش فرح لأنه بيخوني من قبل الفرح.. أمال بعد كده هيعمل إيه؟!
أغلقت يارا الخط في غضب، وأدارت كليوباترا وجهها لمحمود في خجل لذيذ وقالت:
- زعلت!!
- هي قفلت السكة في وشك؟!
- سكة إيه؟
- يييي.. يا ستي فلقتيني إوعي.. بصي قوليلي الفكرة بتاعتك وانجزي عشان ألحق أصالح يارا.
- بص.. انت هتلبس فستان الفرح وهي هتلبس البدلة السودا، وهتشوف من الناس كل حاجة.
- أنا ألبس فستان؟ انتِ فاهماني غلط خالص.
- اسمع كلامي بس.. الجنون بيطلع كل اللي جوه قلوب الناس، حتى لو أقرب

الناس ليك هيبين لك كل اللي في صدورهم وهتعرف معادنهم الحقيقية.
استيقظ محمود فجأة من غفوته وأمسك هاتفه واتصل بيارا، قال لها:
- يارا انتِ زعلانة مني؟
- وازعل منك ليه واحنا بكرة فرحنا؟!
- عشان موضوع كليوباترا اللي كلمتك.
- كليوباترا؟ هههه انت كنت بتحلم ولا إيه؟
- مفيش كليوباترا؟
- لا لا ده انت حالتك صعبة، لازم تنام شوية عشان تبقى فايق في الفرح يا حبيبي.
- انتِ فستان فرحك ييجي مقاسي يا يارا؟
قالت يارا ضاحكة:
- آه ييجي مقاسك يا كتكوتة.
- طيب هاتيه بسرعة عشان أقيسه.
- انت بتقول إيه يا محمود؟ إيه الجنان ده؟ فستان إيه اللي تقيسه؟!
- أنا عارف إن كل بنت بتحلم بيوم فرحها عشان الفستان الأبيض، لكن ما يمشيش معاكي البدلة يعني؟!
ردت يارا ساخرة:
- آه.. ويا ترى هتعمل شعرك عند أي كوافير؟
- يارا.. صدقيني ده الحل.. أنا عارف إنها فكرة غريبة، بس صدقيني لازم أنفذ الحلم ده واشوف الناس على حقيقتها.
- انت بتتكلم بجد بقى!
- جد الجد كمان.
وبعد ساعات من النقاش حول الموضوع، ولأن يارا بطبيعتها غريبة وغامضة ومجنونة في بعض الأحيان، وليست بنتًا تقليدية، فقد وافقت على فكرة محمود أو فكرة كليوباترا حسب كلامه.

وفي يوم الفرح:

جاء الصوت في ميكروفون القاعة:

- يا جماعة معلش العريس والعروسة اتأخروا شوية بس هو العريس بيعمل شعره عند الكوافير والعروسة بتحط جيل وتربط الكرافتة.

قال أحد أقارب العروس:

- بيقول إيه المجنون ده؟!

وقال أحد أقارب العريس:

- يا عم ده باينه شارب حاجة، بيقول لك العروسة بتحط جيل.. ليلة من أولها سُطل.. صباح الفل يعني.

يدخل محمود ويارا ويقوم من في القاعة عن بكرة أبيهم فاغرين أفواههم مما يرون.. محمود بفستان الفرح ويارا ببدلة سوداء وكرافتة ويبتسمان للمعازيم في مشهد لم يره الناس من قبل.. مشهد عارم بالجنون ولكنه عارم بحقائق أكبر أو كشف خبايا الناس وبواطن نفوسهم وسرائرهم..

قالت ليندا:

- واااو واااو فكرتي طلعت صح.. أنا كنت شاكة من الأول إن محمود «جاي»، بجد مش متفاجئة خالص يعني.

وقال إبراهيم السني:

- أستغفر الله العظيم يا جماعة، لعن الله المتشبهين بالنساء يا أخي.. أعوذ بالله من غضب الله.

وقال سعيد الثوري:

- ثورة جديدة على قيود المجتمع وسلطته ورجعيته.. يا سلام عليك يا محمود، أنا لازم أكلم الصحافة تيجي تصور فورًا.

وبعد نصف ساعة من دخولهم القاعة وانسحاب نصف المعازيم، سألت المذيعة أحد أصدقاء محمود:

- يا ترى حضرتك بصفتك واحد من أقرب أصدقاء العريس شايف اليوم ده

ازاي؟
رد صديق محمود:
- والله محمود ده مجنون وفضحنا، وأنا كنت شاكك فيه من الأول، وأنا غلطان إني جيت الفرح ده من أساسه.
وسألت آخر:
- وحضرتك من عيلة العروسة تحب تقول إيه؟
- أحب أقول إنها عيلة واطية ومعندهاش دم ولا أخلاق، وطول عمر أبوها أصلاً راجل مش محترم وسيرته على كل لسان، وما حدش عارف بيجيب الفلوس منين.
قالت المذيعة:
- يا دي الفضايح ده الفرح كله بقى فضايح في فضايح وخوض في أعراض الناس وتشكيك فيهم.
تمر الدقائق ولا يقترب من محمود في ثوب الفرح إلا صديق واحد وهو خالد فقط ويقول له:
- ايه يا عم ده؟! منظرك نكتة بس انت صديقي ومش هاتخلى عنك في يوم زي ده حتى لو كل دول باعوك، انت سامع بيقولوا إيه عنك؟
قال محمود وهو يغير وضعية الطرحة:
- آه سامع، وكنت عارف إن ده هيحصل.. النهارده يوم المنخل.. يوم التصفية.. أعرف مين أصدقائي ومين اللي مشاعرهم عادية ومين اللي بيضمروا العداء وبانوا في أول موقف.
قال خالد:
- انت عارف مين اللي دخل الصحافة؟ صاحبك الثوري.. حب يعمل سبق ويظهر في الأضواء حتى لو على حساب فضيحتك، المهم يسبق ويعمل السبق ده.
- مش بس كده، ده حتى صاحبي السني ماشي في كل مكان يقول عني آيات

قرآنية بدل ما ينصحني في السر مش العلانية، لو كان فعلاً همه مصلحتي مش إظهار خشوعه وإيمانه وهو عمال يبص بعينيه على كل فساتين البنات حواليه ومش ملاحق.

- حتى ليندا صاحبة يارا وصاحبتك بتقول إنها كانت عارفة إنك شاذ من زمان وحاسة بده.

- أنا أقنعت يارا بالفكرة وهي وافقت لأنها كانت عارفة برضه إنها هتكشف بنات كتير من صاحباتها اللي عاملين نفسهم مخلصين وبيحبوها، واهي ليندا أول واحدة اتكشفت وطلعت كل الشر اللي جواها.. فاكر جبران كان بيقول إيه عن الناس وشرهم وكيدهم؟ اسمع ما قال:

الخيرُ في الناسِ مصنوعٌ إذا جُبروا
والشرُّ في الناسِ لا يفنى وإن قُبروا
وأكثرُ الناسِ آلاتٌ تحركها
أصابع الدهر يومًا ثم تنكسرُ
فلا تقولنَّ هذا عالمٌ علمٌ
ولا تقولنَّ ذاك السيد الوَقُرُ
فأفضل الناس قطعان يسير بها
صوت الرعاة ومن لم يمشِ يندثر

قال خالد:

- والله فكرتك مجنونة لما لبست الفستان يا محمود، بس بجد كشفت حاجات كتير.

- دي فكرة كليوباترا.

- كليوباترا مين؟

- كليوباترا الملكة المشهورة.

- ماشي يا سيدي، عمومًا أنا مصدقك لأني صديقك وانت مش هتضحك عليَّ.

- انتَ الصديق المخلص اللي طلعت بيه من الدنيا يا خالد ربنا يخليك ليَّ.

وأمسك محمود الميكرفون في مشهد غريب وخلفه يارا ترفع له «ذيل الفستان» ويقول لكل المعازيم:

- أنا في يوم تاريخي زي ده عايز أقول لكل اللي حاضرين النهارده: «الأصدقاء الحقيقيون هم إخوة أزماتنا غير الأشقاء.. هم المصدقون برسالتنا في الحياة ولو كانت غريبة كرسائل النبوة في بدايتها.. مصدقين خرافاتنا قبل حقيقتنا.. جنوننا قبل واقعنا.. لا يفضحون في العلن ولا يلعنون في السر.. قلوبهم أنقى من حبات اللؤلؤ وفي طهر ماء زمزم.. الأصدقاء مثل العشاق يتقاسمون الحقيقة ويقسمون بسيف نبلهم الزيف والخداع.. هم شراعنا في مركب الحياة كلما هبت الرياح أعانتنا على الحركة ولم تغرقنا معًا.. الصداقة مثل الحب رقصة العمر التي لم يطلبها منك أحد..

اليوم رأيت فيكم الحقيقي والمزيف.. الطاهر والنجس.. الرجل والمخنث.. وأحمد الله على أن زوجتي وشريكتي وافقت على الفكرة لنكشف معادنكم وتنجلي لنا سرائركم..

اليوم يوم الجنون..

الجنون هو مصباح الحقيقة..

واليوم عرفت حقيقة أمركم وضغينة قلوبكم..»

واختم بقول الشاعر **أبي العتاهية** حين يقول عن البشر:

طولُ التعاشرِ بين الناسِ مملولُ
ما لابنِ آدمَ إن فتشْتَ معقولُ
للمَرْءِ ألوان دُنْيَا: رَغْبَة وَهوًى
وعقلهُ أبدًا ما عاشَ مدخُولُ
يا راعي النّفسِ لا تُغْفِلْ رِعايَتَها
فأنتَ عن كلّ ما استرْعَيتَ مَسئولُ
خُذْ ما عرفتَ ودعْ ما أنتَ جاهلُهُ
للأمْرِ وَجهانِ: مَعرُوفٌ، وَمَجهولُ

وَاحذَرْ، فلَستَ من الأيام مُنفَلِتا
حتى يغُولَكَ من أيامكَ الغُولُ

خرج محمود ويارا مسرعين من القاعة والقاعة في حالة صخب واختلاف شديد بين المعازيم حول الموقف بين مؤيد ومعارض وصديق وعدو..
وخرجت وراءه مسرعة المذيعة التي استدعاها صديقه الثوري ليقوم بسبق يضيف له رصيدًا من الشهرة..
قالت المذيعة وهي تركض:
- أستاذ محمود أستاذ محمود.. كلمة أخيرة لينا..
ينظر محمود إلى المذيعة التي يرى فيها وجه كليوباترا ويقول باندهاش:
- انتِ؟!
ردت المذيعة:
- شوفت بقى فكرتي؟
قالت يارا لمحمود:
- انت عارفها يا محمود؟ مين الصحفية دي؟
قال محمود وهو يبتسم:
- ما تقلقيش يا يارا الخبر مش هينزل في الصحافة ولا حاجة.. دي كليوباترا.. سرنا الكبير.
تغمز له كليوباترا وتختفي فجأة.
قالت يارا:
- أنا مش فاهمة حاجة، بس المهم إن ده أسعد يوم في حياتنا.
- وأغرب يوم في حياتنا!!

خوازيقك يا وطن

ما أصعب الخيانة خصوصًا خيانة الزوجة المسيطرة القوية.. تشعر بأنك كنت جزءًا من فيلم درامي كنت تبكي منه سنوات، وفي النهاية يتضح أن البطل هو أنت!!

صاح عبد المجيد باشا لنفسه وهو في غرفة المكتب ذات الأثاث القديم المطعم بالأرابيسك: «أنا مش لازم أسكت أكتر من كده، أنا خلاص عرفت إنها خاينة».

يحاول أمجد تهدئته قليلاً وأن يتمالك أعصابه ولكن بلا جدوى.. وأمجد هو صديقه الذي يستشيره دائمًا في كل أموره، وعلاقتهم كانت منذ أيام الطفولة حتى بعد الزواج كانا دائمًا ما يزور أحدهما الآخر وتعارفت الزوجتان أيضًا فيما بينهما، ولعب الأطفال معًا..

قال أمجد «وهو يخفي توتره»:

- طيب ما عرفتش هي بتخونك مع مين؟

رد عبد المجيد بعصبية:

- أبدًا.. مش عارف مين الكلب ده.. أنا مش قادر أتخلى عنها يا أمجد، بسمة دي كل حياتي، وعلاقتنا أكتر من مجرد زوج وزوجة..

كان عبد المجيد مضطربًا مرتعد الفرائص وهو يتحدث كي لا يظهر ما يخفيه داخله من علاقته المازوخية المجنونة ببسمة.. بكرباجها والحديد الدائري وبعض الكلابشات وكاتم الفم..

كانت علاقة فرويدية مريضة بكل المقاييس.. كانت بسمة هي الأقوى فيها

وهي الطرف الذي يستطيع أن يخون بينما عبد المجيد مجرد عبد لأهوائه المكبوتة المجنونة..

قال له أمجد:

- طيب خلاص إهدا بس وكل حاجة هتتحل.

- أعمل إيه دلوقتي؟ أنا مش هاقدر أسيبها لغيري وفي نفس الوقت ماقدرش أطلقها..

قال أمجد وكأنه وجد فرصته:

- تمام قوي، طالما مش هتطلقها ولا هتسيبها لحد غيرك يبقى مفيش غير حل واحد..

- إيه هو بقى؟

- القتل.. القتل يا عبد المجيد القتل..

قال عبد المجيد «في غضب عارم»:

- انت اتجننت يا أمجد.. أقتل بسمة؟ أنا باعبدها.. دي بتعذبني كل يوم بـ.... إحم.. باحبها.. دي هي عذاب حياتي كله ماقدرش اقتلها..

- بدل ما تشوفها في حضن واحد تاني صدقني، فكر في كلامي وأنا عندي الراجل اللي هينفذ لك العملية.

- عمري ما عرفتك بالشر ده يا أمجد..

- الدنيا الوسخة بتغير يا عبد المجيد يا صاحبي.

وفي شقة بالمهندسين قالت بسمة لأمجد:

- يعني هو عرف الموضوع خلاص يا أمجد؟ طيب هنعمل إيه؟ أنا خايفة نتكشف..

- عيب عليكي، سيبيلي أنا التخطيط وادِيني القَطَّة دي من بقك اللي بيشر عسل.

- يا أمجد أنا باتكلم بجد، عبد المجيد مش سهل، ولو اكتشف أن صديق عمره بيخونه هيقتلك، وانا خايفة عليك أكتر مني.. أنا باعبدك يا أمجد..

رد أمجد «حانقًا عليها»:
- يووووه مش كل شوية تقوليلي باعبدك أنا قرفت منك مش عايز ذل أكتر من كده إبعدي عني يا شيخة.. انتِ تروحي تذلي الراجل وتيجي هنا تتذللي ليا انتِ مريضة أنا قرفت منك.
قالت بسمة «في خنوع تام»:
- مابشوفش غيرك أرجوك اضربني جامد.. اشتمني.. إعمل أي حاجة وانت قاعد معايا..
ما الذي يحدث تحديدًا؟ بسمة تذل عبد المجيد.. وأمجد يذل بسمة؟
هل تنتهي لعبة الذل المتبادل؟ وهل تشابكت العلاقة بين التضحية والذل كأرابيسك مكتب عبد المجيد!!
هل للحب كرامة أم للعشاق كرامة أم الحب في مجمله ذل بلا كبرياء؟
هكذا يفكر المرضى في العلاقات المازوخية.. كلما زاد الذل زاد الحب..
كما في رواية الكاتب «مازوخ» واسمها «venus in furs».. علاقات منحرفة في كاملها، وبعض علماء النفس قالوا إن أصحاب هذه العلاقات قد يكونون مصابين بخلل عقلي وليس كلهم.. إنها المازوخية (masochism).
أكمل أمجد حواره وقال:
- شوفي أنا عامل خطة ما تخرش المية.
قالت بسمة «وهي تقبل أطراف قدمه»:
- قول يا أمجد هتعمل إيه أنا سامعاك.
- أنا قولت له إنه هيقتلك وانا هاجيب له الراجل اللي هيعمل كده.
تفاجأت بسمة، ولكن من فرط الذل لم تترك قدم أمجد وقالت:
- إيه الكلام ده يا أمجد؟ إزاي يعني؟
- أنا هاجيب له حمادة.. وانتِ ما تعرفيش حمادة ممكن ينفذ الخطة ازاي في مصلحتنا.
- إزاي؟

- حمادة ضعيف قوي قدام الستات والفلوس في نفس الوقت، يعني تقدري تقولي إنه عبد المجيد التاني جوزك اللي بتطلعي عليه عقدة ذُلك ليَّ عليه هو.. يعني هيبقى لعبتك.. في اللحظة اللي هيحاول يقتلك فيها مجرد ما انتِ توري له الكرباج هيقع تحت رجليكي.. عيب ده انا منقيه بصعوبة يعني وعارفه من زمان وعارف عنه كل وساخته.

- طيب هنستفيد إيه منه؟

- هنحول الموقف كله لصالحنا.. انتِ بتقولي إن جوزك بقى بخيل لما عرف خيانتك رغم عبادته ليكِ.. هناخد من حمادة مقدم العملية اللي هيدفعه عبد المجيد له تحت تأثيرك وتأثير قوتك وكمان هتقنعيه بالكرباج إنه يقتل هو عبد المجيد بدل ما يقتلك، وصدقيني حمادة الذليل هيعملها.. انتِ مش عارفة هتعملي فيه إيه..

- أنا هاحاول ويا ريت الخطة تنجح واورث ثروة عبد المجيد ونعيش ملوك..

وفي أحد البارات التقى عبد المجيد بحمادة، رحب به قائلاً:

- أهلا يا سيدي.. انت حمادة؟

رد حمادة «خائفًا مرتجفًا»:

- آه أنا.. إسكت إسكت لحسن حد يكون مراقبنا.

- يا نهار اسود انت خايف من أولها؟! أمال هتقوم بالعملية ازاي؟! هو مش أمجد قال لك على كل حاجة؟

- أيوه ما تقلقش طالما فيها فلوس أنا هاعمل لك كل حاجة.

- خد العنوان أهو.. وانا هاسيب البيت تمامًا واسافر عشان أبعد عني الشبهات والجو هيخلى لك واقتلها براحتك.

- نص مليون مقدم زي اتفاقنا والنص التاني بعد العملية.

- وهو كذلك اتفضل الشيك.

وبعد عدة أيام في منزل عبد المجيد باشا، يتسلل حمادة على قدميه ممسكًا بسكين ويدخل من أحد الشبابيك بسهولة غريبة، وكأن الموقف معد سلفًا..

وعند دخوله يجد بسمة بنصف ملابسها تمسك الكرباج بيديها وتنير إضاءة حمراء شهية لا يجد أمامها حمادة بضعفه وهوانه إلا الاستسلام، ورمى السكين على الأرض وبدأ في البكاء تحت قدميها..

قال حمادة «باكيا»:

- انتي مين انتِ إلهة الجمال؟ أنا ماقدرش أعيش من غيرك لحظة.. اضربيني بقسوة.. عذبيني يا ملكتي عذبيني..

- قوم يا كلب.

- خدامك..

- أنا عارفة جوزي كان هيعمل إيه.. مش عايز تاكلني هَم؟

- أنا أعمل أي حاجة عشانك أنا خدام تراب رجليكي.

- انت هتديني الشيك اللي اداهولك جوزي وكمان هتقتله هو لما يرجع.. فاهم؟ هتقتله وساعتها هنكون سوا على طول وهاعذبك زي ما انت عايز..

- اتفضلي الشيك.. أيوه هاقتله الكلب ده هاقتله ونعيش سوا يا ملكة أحلامي..

تضربه بسمة بالكرباج بعنف فيخر حمادة على الأرض صارخًا أمام قدميها ويصرخ بحبها وحياتها.. تمسكه بعنف وتضع رأسه بين قدميها وتضرب مؤخرته بفرشاة غليظة مرات ومرات حتى تحمر تمامًا ويصيح من فرط اللذة: «يا أحلى عذاب في حياتي.. موتيني موتيني».

احمرت أذناه من فرط الشبق وهو يرتع وسط ردائها الأسود الجلدي الذي يظهر جزءًا بارزًا من صدرها الذي يتراقص من خلف ملابسها مثل قطعة «الجيلي».. وكلما مد يديه ليأخذ حقه في هذه الحفلة الصدرية الشهية ضربت يديه بدلال على طرف أصابعه بعنف ليصيح وهو يكاد يبكي: «عايز حتة عايز حتة».

وبعد عدة أيام ينشر في كل الصحف عنوان كبير: «مصرع عبد المجيد باشا في حادث غامض في منزله»..

وتختفي بسمة عن الأنظار بعد انتهاء التحقيقات وإثبات براءتها وتبدأ في إجراءات الوراثة وتخرج منها بمصنعين و٥ ملايين جنيه وقصر تسكنه..

قال لها أمجد:

- جيبتي الفلوس اللي قولتلك عليها؟

- الخمسة مليون جنيه تحت إيدك يا مولاي خدهم حطهم في حسابك أنا مش عايزة إلا إني أعيش تحت رجليك إن شالله تاخد حياتي.

- حبيبة قلبي..

البعض يظن هنا أنها مسألة انتقام قدري أو صعقات مهبلية حادة ولكن.. الموضوع أعقد من هذا..

في إحدى الحارات بشارع الهرم:

صوت صاخب جدًّا لأغنية المطربة rihanna، s&m، وهذان الرمزان في الأغنية اختصار للسادية والمازوخية في العلاقات.. فهي أغنية وقحة بعض الشيء.

قال أمجد:

- مولاتي ملكة الملوك.. فينوس الجميلة أنا أخدمك وأفرش لك بعمري الأرض سنين وورد..

ردينة تمسك بالكرباج وتقول لأمجد:

- جيبت الفلوس يا كلبي؟

- جيبتها يا قطتي الجميلة.. هَوْ هَوْ هَوْ.. أنا كلبك الوفي.. إرمي لي العضمة في بقي.

تضربه ردينة بالكرباج بقسوة ويصرخ أمجد ويخلع ملابسه ويزداد وجعه من الكرباج وهو في نشوة السعادة أمام ردينة المسيطرة أو ردينة الـ«dominant».

هربت بسمة من حمادة الضعيف.. وهربت بسمة من عبد المجيد الضعيف.. وهرب أمجد من بسمة الضعيفة.. والآن ستهرب ردينة من أمجد الضعيف

الذليل وتحصل في النهاية على كل المال والثروة.. ولا يبقى للباقين سوى سلسلة المهانة والذل..
يأكل بعضهم بعضًا ويقتل بعضهم بعضًا ويسرق بعضهم بعضًا في سلسلة الهوان ولا يبقى إلا ردينة..
لا يمس أحد ردينة فهي ملكتهم جميعًا للأسف الشديد..
كلهم ضعاف وخانعون أنجاس ويضعون رءوسهم في الرمال أمام الكرباج السادي المتوحش وهو بأجسادهم وكراسيهم المازوخية يقبلون الذل..
ماما أمريكا.. ردينة.. وجهين لعملة واحدة..
جماعات أصولية ذات عقول مازوخية تحب عبادة الغير تحت رداء عبادة الله..
تحب أن تضرب بالكرباج كما تضربهم ردينة بالكرباج الغربي..
نعم إنها ليست قصة جنس.. إنها قصة وطن متجنس!!
إنها قصة من باعوا الوطن باسم الدين وباعوا الدين باسم الكرباج المهبلي..
إنهم مثل «العميل المزدوج» يلعبون على كل الحبال ولا يعرفون أنها تذوب من تحت أقدامهم..
ويظل الشرف كلمة مضحكة في أفواه الشرفاء من يصيحون في الشوارع من فرط الغضب «خوازيقك يا وطن.. خوازيقك يا وطن»..
وتنكسر ثورة.. ليحتار الثائر هل أمام هؤلاء الجبناء يصبح الوضع «انكسار الشرف» أم «شرف الانكسار»!!
وتخرج ردينة هاربة إلى المطار وتهرب الأموال.. تنزل بجسدها المذهل قليلاً إلى الأسفل فيظهر «التاتو» على خصرها.
عربي بجلباب يقول:
- يا هلا وغلا يا زينة والله شو المكتوب ع التاتو يا حلوة؟
ترد عليه ردينة:
- مكتوب «الكرباج هو الحل» يا شيخ العرب.

- والله زين زين كم بدك وتكربجيني يا حلوة؟
وينادي الميكروفون في المطار:
«على السادة المسافرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية التوجه إلى صالة ٢١١».

طائرة ورقية على خريطة الملائكة

«نقطة الماء المستمرة تحفر عمق الصخرة».

ابن حزم

أسرة مصرية تقيم في فلسطين.. أنا وابني وزوجتي المعتقلة منذ سنوات، وإن تسألوني عن سبب اعتقالها أقل لكم «وطن مكلوم وضمير عربي مهزوم».. هل يسأل احتلال عن سبب؟ هل يسأل القاتل عن ضميره؟

لم يبقَ لي منذ سنوات إلا ابني جاسر بعد غياب زوجتي «دينا».. كنا أسرة مسلمة وفي الوقت نفسه نسكن بجوار كنيسة ولنا عدد من الأصدقاء المسيحيين، وكنا نقرأ معهم الإنجيل أحيانًا..

«دينا» كما هو اسم ابنة يعقوب.. كانت تترهبن حواسي كلها أمام نظرتها.. كنت أشعر بقول برنارد شو يدق في قلبي حين قال: «هذا هو سحر المرأة الشيطاني أنها تجعلك تريد الدمار على يديها»..

كنت أشعر أنها «ما شاء الله» معلقة على رقبة ملاك حين قابلتها أول مرة.. هي صراع بين منقول الجمال ومعقوله.. واحتراق أوراق ابن رشد لإثبات رجوح كفة العقل للتدبر في عينيك..

إن رآها البعض لم يصدق ملامحها وقال: «إن هي إلا أساطير الأولين»!!

هي المساحة القاتلة الفاصلة بين صبايا وصبابتي.. وبين شجني وسجني.. هي خارطة الحسن التي وضعتها الملائكة للسيطرة على قلوب العالم.. كنت

أقول لها:

دينا.. سأجعل منك خارطة ملائكة.. أسافر فيك إلى القاهرة وأعود وأقول «عيناك هبة الليل».. وأسافر إلى ست الدنيا بيروت لأعود منها بالدنيا نفسها.. وأسافر في عينيك إلى باريس لأعتق روحي في زجاجة ذهبية من خمر حضورك.. وأسافر فيكِ إلى المغرب لأعود مسحورًا مقهورًا..

آه يا حبيبتي سأحبك خارج قلبي وخارج عقلي وخارج روحي فلن أبقى في مكاني لأعشقك فقط «فلا كرامة لعاشق في وطنه»!

هل أنتِ عصفور الجنة الذي ظننته في طفولتي أنني لو آذيته سيقودني إلى النار؟

هل أنتِ الجنة المحترقة أم النار اللطيفة أم مساحات غرام أزلية فيما بينها تسحق ذراتي ومدارات وجودي؟!

آه يا حبيبتي حين أراك كأنني أرى حواء تتشكل أمامي مثل ما في «سفر التكوين»: «فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي.. ولحم من لحمي.. هذه تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت».

كأني أصيح فيك مثل ما في «نشيد الإنشاد»: «لقد شبهتك يا حبيبتي بفرس في مركبات فرعون.. ما أجمل خديك بسموط وعنقك بقلائد.. نصنع لك سلاسل من ذهب مع جمان من فضة».

آه يا حبيبتي لم يبقَ منكِ إلا ابني جاسر الذي أهيم بحبه وأرى في كل تفاصيله شروعًا في وجودك يا أخت روحي..

جاسر الذي يفتقدك كل ساعة وكل لحظة مثل افتقادي إياكِ.. اليوم يا حبيبتي مسابقته الأخيرة في لعبته المفضلة «الطائرات الورقية».. هل تذكرين هذه المسابقة التي يبرع فيها ابننا في كل عام؟ الآن وصل لمرحلة تصفيات نهائية وزين طائرته وجهزها وقال إن الفوز سيكون لكِ أنتِ.. إنه مصمم على الفوز اليوم من أجلك..

دخل جاسر بطفولته وبراءته الحاضرة وقال لي:

- بابا.. إحنا مش هناخد ماما وننزل مصر؟ أنا ماشوفتش مصر من زمان..

احتضنته بلهفة وقلت له:
- أنا لما أشوف أمك كأني شوفت جمال وتاريخ مصر.. نفسي ربنا يجمع شملنا تاني يا جاسر.. وهيحصل أكيد.
جاسر تعود أن يذهب مع أصدقائه إلى الكنيسة المجاورة لنا ليدعو لأمه في الكنيسة أمام الشموع، وهو مسلم وكأنه مثل ابن عربي حين قال:
«لقد صارَ قلبي قابلا كلَ صُورة
فمرعى لغزلان ودَيرٌ لرُهبانِ
وبيتٌ لأوثان وكعبة طائفٍ
وألواحُ توراة ومصحفُ قرآن
أدينُ بدين الحبِ أنّى توجّهتْ
ركائبهُ، فالحبُّ ديني وإيمَاني»
عاد جاسر مرعوبا إليَّ واحتضنني وبكى، وكان بكاؤه غزيرًا كالمطر من الخوف وقال:
- بابا بابا إبعده عني أنا مش عارف هو عايز إيه إبعده عني أرجوك..
قلت في فزع:
- مين يا جاسر قول لي مين؟ مين اللي خوفك كده؟!
- راجل يا بابا بجلابية بيطاردني في كل مكان ويقول لي: «قول لأبوك ييجي يتحنى بالأربع دروس هيعيش سعيد بعمر مديد».
- مين الراجل ده يا جاسر تعرف شكله؟
- يا دوب بيقول لي الكلام ده ويمشي يا بابا، وما باشوفوش إلا عند الكنيسة وحواليها.
حاولت أن أهدئ من روعه وأنا أدمع، وكم دمعنا في حياتنا، ولكن هناك مرات تكون مميزة في حياتك الدمعية، وأذكر أني دمعت من قلبي في ثلاث مناسبات: حينما قابلت حبيبتي لأول مرة، وحينما قرأت في معلقة امرئ القيس قوله:

أغَرَّكِ مِنِّي أنَّ حُبكِ قَاتِلِي
وأنَّكِ مَهمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ؟
وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلاَّ لتَضْرِبِي
بسَهمَيْكِ فِي أعْشَارِ قَلبٍ مُقَتَّلِ

والمرة الثالثة حينما ضممت جاسر الآن وهو مرتجف خائف حزين مهموم.. ذهبت معه في اليوم التالي إلى الكنيسة يدعو ويصلي إلى الله وينادي ويقول: «يا مريم يا أم النور.. أعطيني أمي أعطك حياتي وروحي..
يا مريم يا أم النور.. دليني إلى طريق نورها بنورك ووجودها بأبدية وجودك».
ظهر الرجل فجأة ورآني مع جاسر فحاول الهرب مسرعًا.. جريت وراءه وكانت مطاردة حول أسوار الكنيسة حتى أمسكته وقلت في غضب:
- من أنت أيها الجبان؟ هل أنت من يخيف ابني أيها الخرف القاسي القلب؟
قال الرجل ببرود:
- تعالى اتحنى بالدروس الأربعة.. دروس هتعيشك سعيد بعمر مديد.
- انت راجل بتخرف ولازم تتعالج، مش عارف ازاي سايبينك في الشارع ترعب الناس وتروعهم كده.
أشار فجأة إلى طائرة جاسر الورقة وهي تحترق بجوار الشموع في أثناء دعاء جاسر لأمه وقال:
- أهاااا الدرس الأول.. الدرس الأول في النار دي.
هرعت إلى الطائرة أحاول إطفاءها وسط هلع ابني جاسر الذي ظل يحضر هذه الطائرة للمسابقة لمدة طويلة، والآن حلمه في المسابقة يحترق أمام عينيه بلا جدوى..
احترقت الطائرة بكل جزء فيها وصاح جاسر حزينًا:
- لماذا يا أم النور لماذا يا مريم يا سيدتي؟

ذهبنا إلى البيت تحمل قلوبنا الضغينة لهذا الرجل العجوز محاولين إلصاق التهمة به رغم أنه كان بعيدًا عن المشهد، ولكن قلت في نفسي:
- ربما هو ساحر مجنون، أنا أشك في أمر هذا الرجل فهو ليس طبيعيًّا أبدًا.
قال جاسر:
- بابا أنا كده هاخسر المسابقة؟
- ما تخافش إحنا بنحاول نعمل اللي علينا ونعمل طيارة بسرعة، مش هتكون بنفس الإمكانات بس خلي عندك أمل.. ساعات القدر بيهزمنا.
- والقدر يهزمنا ليه؟! هو مش موجود عشانّا أصلاً عشان يكون قدرنا لينا وبس؟
قلت وأنا أتذكر دينا:
- أو عشان يكون قدرنا «دينا» وبس.
نظرت من الشباك وجدت الرجل يجلس أمام بيتنا في الأسفل وينظر إلي بتمعن ويحدق في وجهي ويقول:
- الدرس الثاني.. آه وآه من الدرس الثاني.
في اليوم التالي بدأت المسابقة، خرجت جميع الجنسيات إلى سطح العمارة الذي تنطلق منه المسابقة.. شباب من فلسطين ولبنان والأردن ومصر وجميع الجنسيات العربية.. وانطلقت إشارة البدء وارتفعت الطائرات في الهواء ترفرف وترفع علم كل بلد، وكانت طائرتنا ضعيفة تتأخر في الترتيب كلما اقتربت حتى انتهت المسابقة، وحصلنا على المركز السابع، وظل جاسر حزينًا طوال اليوم وهو لم يتعود إلا على المركز الأول في هذه المسابقة..
وعلى حد تعبير نجيب محفوظ في قصصه أشعر أني الآن «أذهب إلى موطن الحقيقة الباكية».. حزين على ابني وحزين على فراق زوجتي ولم يجتمع الشتيتان بل افترق داخلي كل منهما يقطع في نياطه..
ذهبنا إلى الكنيسة مرة أخرى.. ما زلنا لم ننكسر، أو لم ينكسر الإيمان فينا بمعجزات مريم.. وظللت أصرخ أمام الشموع وتأرجح ظلال هيبتها على

معالم وجهي في ظلام خفيف وقلت:
- يا مريم يا أم النور.. أنيري لي طريقي.. أنيري بقداستك شموع روحي لأنير طريق دينا..
يا مريم العذراء يا من وهبك الله عذرية الجسد وأفضتِ على الدنيا بعذرية الروح والحب.. كما احترقت طائرة ابني واحترق قلبي.. احرقي قلوب الأعداء وأعيدي لي زوجتي سالمة..
يا مريم.. يا مريم.
ظللت أدعو طوال اليوم إلى أن ظهر القس وقال لي:
- يا ابني انت تعبت نفسك النهارده، أكيد الرب هيحقق حلمك بس اصبر تنول.. الله محبة يا ابني.
خرجت من الكنيسة إلى المسجد ودعوت الله وعدت إلى الكنيسة، وهكذا ظللت أدعو الله في كل مكان وفي كل مناسبة..
وفي أحد الأيام بعد نحو يومين من خسارة المسابقة سمعت طرقًا على الباب، قمت لأفتح وتفاجأت بالرجل العجوز وفقدت أعصابي وأمسكته من ياقة الجلباب وقلت في غضب:
- وكمان جاي لحد هنا يا حيوان يا نجس؟! انت السبب بوشك النحس لما خليتنا نخسر المسابقة واتحرقت الطيارة..
نظر إلي الرجل بصبر يصل لدرجة البرود وقال:
- الدرس الثالث والرابع على الباب.
- انت لسه هتمثل عليَّ الجنون؟ انت عايز إيه مني يا أخي؟ دمرت حياتي منك لله.
وفجأة تدخل دينا بعد الإفراج عن بعض الأسرى في السجون بعد سنوات فراق.. وقفت مصعوقًا تسرح عيوني في تفاصيلها الذائبة في نفسي بالفطرة وكأني أستعيد فهمي لكياني..
احتضنتها كما لم أحتضنها من قبل بطريقة صوفي يحضن آخر نهر من النور

أمامه قبل فراقه.. نظرت إلي عيني وبكت وقالت:

- وحشتني.

قلت دامعًا:

- أنا لو مت قدامك دلوقتي أموت شهيد اللحظة.. أيوه العشاق شهداء لحظتهم.

قال الرجل الذي تركته بجواري:

- الدرس الثالث والرابع.

قلت له وأنا أمسح دموعي:

- بص يا شيخ أنا آسف إني اتعصبت عليك، بس انت وشك طلع حلو، طالما رجعت ليا مراتي أنا أعمل لك اللي انت عايزه..

رد الشيخ:

- يبقى اسمع مني الأربع دروس.

- دروس إيه يا شيخ اللي انت عايز تقولهم من ساعة ما قابلتك؟!

- الدرس الأول حين أحرقت بإهمالك طائرتك الورقية.. تواكلت على الدعاء وظننت أنك في مكان مقدس لن تخسر شيئًا مع أنك في قلبك المقدس خسرت كل شيء من قبل.. الله يقول لكم ادعوه وتمنوا أمنياتكم واشربوا من نور جلالته ولكن لا تخسروا نور أنفسكم واحذروا من تصاريف القدر..

- والدرس الثاني يا شيخ؟

- حينما بكيت مع ابنك طوال ليلة المسابقة وضيعت وقتك في البكاء وكان هذا الوقت كفيلاً بأن تصنع طائرة عظيمة تكسب بها المسابقة.. الدموع يا بني تأخذ ولا تعيد.. تضيع العمر ولا تضيف إليه إلا قطرات يأس.. احزنوا فإن في الأحزان كما في الفرح بركة.. ولكن لا تجعلوا من حزنكم فارسًا يهزم فارس الفرح فيكم..

الله هو الأمل لقد خلق الملائكة بيضاء ولم يخلقها بأجنحة سوداء لأن الله يحب الأمل.. ويحب أن يرى فيكم الأمل.. الله هو الحياة والأمل..

اجعلوا أحلامكم مثل الطائرة الورقية وإيمانكم الرياح التي تحملها عاليا في السماء..

قالت دينا:

- رائع يا شيخنا والدرس الثالث؟

- أنتِ يا بنيتي الدرسين الثالث والرابع.

- أنا؟

- لقد قلت لك حين حضرت إن معي الدرسين الثالث والرابع وبعدها دخلت زوجتك..

إن الدرس الثالث أن الله يتجدد داخلكم مثل الإيمان.. يجدد داخلكم الأمنيات والأحلام كما تجددون الطلب والرجاء.. حرمك من أمنيتك الصغيرة وأعطاك أمنيتك الكبيرة..

الله والقدر شركاء في حرمانكم من أحلامكم وشركاء في أن تؤمنوا بالحلم كما تؤمنوا بالله..

أما الدرس الرابع فهو.. حواء.. اعرف يا بني أنها دائمًا.. حواء.. أغلى وأحلى ما ترنو إليه النفس ويلتقي عنده الحاضر والمستقبل والأمس..

اعترفت له بجميله وحضنته وعشت سعيدًا مع زوجتي.. وجاء ابني جاسر من المدرسة فرحًا سعيدًا وحضن أمه وبكيا طويلاً.. وعشنا من بعد الدموع أسرة سعيدة متماسكة لا يفك رباطها شر ولا غدر..

وتوتة توتة فرغت الحدوتة..

هكذا يظن القارئ الآن أني أسخر منه أو أستهين به بسبب هذه النهاية.. ولكن بالله عليك هل تريد حقًّا النهاية السعيدة التقليدية الرتيبة المملة؟

لعلمك يا صديقي.. أنا لم أذهب إلى فلسطين، ولم أتزوج دينا، ولم أنجب جاسر، وليس لي أبناء أصلاً.. ربما تكون الحقيقة هي هذا الشيخ الحكيم وما قاله فقط!

ربما..

شخصيات بالونات أفرقعها في الهواء وعلى أجندة كلماتي..
أرمي القلم وأستعيد فنجان القهوة..
وأشغل أغنية تناقضي وجنوني..
وأسمع أغنية لمريم صالح «أنا مش باغني»، وانا أتأمل في الفنجان.. وتظل الأغنية بكلماتها تقول:
«أنا مش باغني أنا مش باقول..
أنا مش بانام.. أنا مش باقوم..
أنا بالأخص وع العموم أنا ليا حاجة وكل يوم
أنا بيت في بيت أنا رص رص
أنا دوشة
أنا دوشة دوشة أنا هس هس أنا كله
أنا كله كله أنا نص نص
أنا عو عو أنا ياما ياما
أنا حق
أنا حق حق أنا خم خم أنا أعمى
أنا أعمى أعمى أنا بص بص
أنا عندي عندي هناك هناك
أنا جرح جرح علاج علاج أنا عيشة
أنا عيشة عيشة وعيشة عيشة هلاك».
- ايه اللي انت عملته في القصة ده؟؟ دي كانت ماشية زي الفل..
أنظر إلى القلم بسخرية وأقول:
- طززززز.
أرأيتم كيف يعطي الكاتب أحيانًا قصة عن الأمل في لحظات يأس وذكريات حزينة؟
الكتابة حالة إعياء صاخب تنتاب صاحبها، وما إن ينتهي مما يكتبه لا يريد

أن يعدل سطرًا حتى ولو كان محض جنون..
اعذروني إن أزعجتكم بالجنون، واسعدوا أن أمدتكم القصة في نصفها الأول بسيل من الحلم والأمل.. نحن نعيش للحلم والأمل.. رغم لحظات اليأس العابرة..!

مولد العروسة باربي

«كان راجل طيب».. تنطلق من وسط صيحات ترج الشارع وتقول: «الله حي الله حي»، ولافتات كثيرة مكتوب عليه بخط ذهبي: «مدد يا رسول الله محمد»، و«مدد يا مولانا الغريب»..

والغريب هو صديقي منذ الطفولة.. الغريب قصة ماضٍ ومستقبل.. قصة تتناقلها أفكار أجيال دون أن تسأل عن مصدرها وأصلها، وفي وسط هذا الصخب ومن أخرجوا المارد من قمقمه لا أستطيع أن أشد بالحقيقة في وسط أغصان من لهب ستحرقني أولاً!!

محمود الغريب صديقي منذ أيام «الحضانة».. توفي بسبب المستقبل والحاضر والماضي معًا.. نعم لا تتعجبوا.. كلهم مسئولون.. هذا المستقبل الذي أغراه بتباشير منه والحاضر الذي أعياه والماضي الذي قتله عشقًا وكمدًا.. كلهم مسئولون أمامه.. أمام محكمة قلبه وعقله..

الحب والصوفية.. ربما يكون عنوان آخر لقصتي ودعوني أولا أقص عليكم القصة، إذ لا فائدة من أن أقول العنوان دون أن تعرفوا حكاية محمود الغريب أولاً..

محمود كان صديقي منذ سنوات طويلة، لم أعهده إلا باسم الثغر متفائلاً، لم يكن حسن القسمات إلا أن ابتسامته تطغى على بعض جوانب قبحه لم أره حزينًا إلا مرة واحدة تقريبًا في المرحلة الثانوية وكانت صاعقة، قلت له:

- محمود.. مالك انت بتعيط؟ أنا أول مرة أشوفك بالحالة دي!

- سيبني يا أخي أنا تعبان قوي، بجد مش عارف أعمل إيه.

- مالك يا محمود إحنا صحاب عمر، وحق صداقتك لتقول مالك إيه اللي

حصل لك؟!

- أنا تقريبًا.. باحب.

تعجبت كثيرًا لأني لم أكن ذقت الحب بعد.. هل الحب هو أول طريق الحزن؟! محمود الغريب الذي لم يسمع عن لغة الدموع الآن يبكي بسبب الحب.. يتشنج وكأنه طفل يموت في حضانة فصلوا عنها الكهرباء، أو قطة تخرج منها الروح على قارعة الطريق.. أهذا هو الحب؟ ولكن ألهذا السبب قال جبران إن الحزن أسمى من الفرح؟! أم لأنه كان مائلاً للحزن والكلمات الدافئة الناعمة؟!

محمود الغريب يبكي.. يا لعجائب الدهر.. يبكي من دون سبب.. دموع عاشقة تسبح للهوى آناء الليل وأطراف النهار..

سافر إلى الإسماعيلية بعد مشاكل مع أسرته لأنه كان يريد الارتباط بسلمى في أول المرحلة الجامعية وترك لهم المنزل وعاش وحيدًا عائلاً لنفسه بوظيفة ضعيفة المرتب كان يصرف منها على نفسه وعلى تعليمه.. هو لم يهرب من أسرته في المقام الأول، بل بسبب سلمى، وهروبه من حبها، فأحيانًا الحب لا يعطينا إلا مفتاح الهروب فإذا هربت منه ضعفًا فلن تعود إليه إلا قويًّا غليظ القلب.. هروبك من العشق هو مرحلة خلق القلب الشيطاني.. فالقلوب ملائكة وشياطين.. من يستسلم لحبه يعِش بقدر الحب، ومن يهرب من الحب يعِش بقدر ينسجه لنفسه ويطرزه بالشر وبقتل حواء داخله انتقامًا.. ولكن ممن تنتقم والحب لا يعرف لغة المنتقمين.. فالحب تسامح ورحمة..

قابلت محمود الغريب منذ سنوات، وكانت آخر مرة، وأسميتها مرحلة «المرايا».. نعم كانت مرحلة الجنون الكامل، وكأن الحب ينتقم منه بدلاً من أن ينتقم هو منه.. هرب من سلمى لأنه شعر بضعف وعدم القدرة على صنع قصر الأحلام لها، أي وقع في خطيئة العشاق.. وخطيئة العشاق كما أراها هو تصور المحبوبة «عروسة باربي» يرى أنه لا بد أن يبني لها القصر الكبير الذي لن يقدر عليه، مع أنها إن كانت تحبه فستبني معه قصورًا من

حرير..
ويرى أن السيارة آخر موديل أنسب لساقيها العاجيتين مع أن قدميها على بساط الحب أجمل.
ويرى أن سريرًا من المال أجمل من سرير من الزهر والهيام..
وهذه العروس الدمية قد تكتب قدر البنات.. فستجد لعب بعضهن وهن صغيرات رغبة في أن تدلل مثلها.. تنظر إلى الدمية نظرة الطامعة في ما تملكه من حذاء وقصر وسيارة ونظارة؟
وستجد بعض البنات كانت تبحث لها عن فارس أحلام تضعها معه في القصر الكبير..
وستجد بعضهن يكسرن القصر ويمزقن ملابس الدمية، وهي شخصية كاسرة للقلوب، مداهمة خطرة لقلوب الرجال..
قلت له عدة مرات: «صدقني سلمى ليست النوع الذي يريد القصر».. هي امرأة إن لم تجد فيها السكينة إلى كلماتك والنظرة الرقيقة لخصالك وحركاتك واليد الحنونة التي تربت على أحلامك فلا تعتقد فيها..
وإن وجدتها كذلك فهي شريكة حياتك.. فأنا لا أحب جملة «شريكة عمرك» فالعمر مجرد سنوات، بينما المرأة تكون شريكة الحياة بشكل كامل بكل ما فيها من أحلام وأحزان.. بينما العمر سنوات محسوبة بالأرقام.
وجدته يقف خائفًا مرعوبًا أمام باب منزله عندما وصلت إليه في آخر زيارة منذ سنوات، قلت له في استغراب:
- مالك يا محمود؟! انت واقف برة ليه ومرعوب كده؟!
- بقول لك إيه أنا عندي شعرة بيضا مش كده؟
- شعرة بيضا إيه يا أخي خضيتني.. طيب خش جوة نتكلم..
ودخلنا إلى الشقة وأغلقنا الباب وظل واقفًا لا يريد التحرك وقال:
- أنا خايف قوي من المراية دي.
- مراية إيه يا محمود؟! ما لك يا ابني النهارده ده بدل ما تقول لي ازيك؟!

ده أنا لما كلمتك في التليفون بعد ما عرفت رقمك بالعافية من معارف ليك قولت هتاخدني بالحضن على طول.. بقى دي مقابلة يا محمود؟! مكانش العشم..

حاولت بهذه الجملة أن أخرجه مما كان فيه لأنني كنت فعلاً في حالة فزع روحي هائل.. حزين على صاحب عمري أن يصل إلى هذا الحد وتلك الحالة الغريبة.. ولكن كلماتي لم يكن لها أي صدى فمحمود لم يشعر بي تقريبًا كل نظراته كانت إلى المرآة التي يتحدث عنها وقال:

- مش عايز تشوف مستقبلك؟

قلت في تعجب:

- انت بتقرا الفنجان؟!

- يا أخي مابهزرش.. المراية دي قالت لي إن فيه شعرة بيضا، وانت بتقول مش شايفها، يعني هي بتوريني مستقبلي مش اللي شايفه دلوقتي..

- طب وريني بقى شعرك تاني كده..

وبدأت أفحص في شعره لعله يشعر بي ويترك قضية المرآة هذه ولم أرَ أي شعرة بيضاء، بل شعره كان أسود بالكامل، حتى في المكان الذي أشار إليه.. قلت:

- يعني انت شوفتها في المراية دي بالذات؟

- أيوه شوفت شعرة بيضا واضحة جدًّا بس مش عارف ده سنة كام بالظبط مش عارف..

قلت «في حدة» محاولاً استعادة صديقي القديم:

- يا أخي فوق بقى.. سلمى ماسابتكش لمنظرك ولا لفقرك ولا لأي سبب، انت واهم بيه، انت اللي هربت.. فوق بقى وعيش الواقع..

قال «وهو يرتعد وكأنه أصاب بالحمى»:

- سلمى؟ سلمى لا لا لا.. أنا توبت.. توبت خالص.. سلمى؟ لا حول الله.. سلمى تلاقيها ماتت.

قلت «في غضب بعشم الصداقة وضربت يده في قسوة»:
- توبت؟ الله يخرب بيت توبتك يا أخي.. هو في غيركم اللي بيتوبوا عن أجمل حاجات في الحياة اللي مضيعين أجيال بحالها.. اللي تاب عن مبادئ حزبه وهو عارفها من الأول عشان يثبت إن حزبه شرير وهو اللي صح ويتوّه العالم عن مين فيهم الصح والغلط ونقع في مرحلة إحباط وتوهان وانعدام مستقبل..
واللي بيتوب عن ذنوبه فجأة وهو مجرم من جواه فيحتار الناس بين خيره وشره ويخلق المنطقة الرمادية القذرة.
واللي بيتوب عن حبه ويكسر قلب ويدفن قلب تاني بالحيا..
توبة إيه يا أبو توبة.. يلعن أبو توبتك على توبة اللي زيك..
- اسكت اسكت انت مش شايف اللي أنا شايفه، أنا عندي شعرة بيضا.. أيوه واضحة.. وانت جاي تكذبني وتقول لي سلمى وزفت.. يلعن أبو سلمى.
قلت «في غضب عارم» وأنا أهزه من ملابسه محاولاً أن أفيقه:
- لا مش يلعن أبوها.. سلمى حبتك بجد واديك شايف حالتك أهو، عملت إيه بالهروب الكذاب ده؟ أديك رحت في ستين داهية.. أديك اتجننت وحالتك بقت تصعب على الكافر.. عايز تهرب من الحب يا متخلف؟ عايز تهزم أقوى مخلوق من خلق ربك؟ انت مين عشان تهزم الحب.. هه؟ قول لي انت مين عشان تهزم الحب يا جبان يا ضعيف يا مخنث بيحاول يغتال كيوبيد؟
- كيوبيد كيوبيد.. آه عايز اقتل كيوبيد الجبان.. كيوبيد بتاعك ده كان بيخاف من أمه وماعرفش يصارح بحبه حبيبته «بسايكي»، ولا ناسي يا اخويا؟ كيوبيد ده جبان.. جبان وبيهرب.
- آه وفي الآخر انتصر واتجوز اللي بيحبها.. كيوبيد نفسه اتصاب بسهمه.. كيوبيد جرح قلبه وحب.. القدر والحب لعبة مشتركة عمرك ما هتهرب منها..
- إبعد عني.. إبعد أو تعالى أوريك مستقبلك في المراية.. شايف؟ بقوا

شعرتين.. شعرتين لونهم أبيض مش واحدة.. هات الأجندة.. إكتب إن ده هيكون في سنة ٢٠٥٠ تقريبًا..

قلت «في حزن»:

- فوق يا محمود.. سلمى مستنياك وبتسأل عليك.. انت اللي ضيعت كل حاجة.. كل حاجة..

خرجت من المنزل حزينًا لحالته وغير متعجب من انتصار جديد للحب وسحق قلب وكيان جديد بسبب لواعجه.. أذكر أنني في تلك الليلة كانت أولى ليالي انتشائي وشربي لألوان الدخان السبعة أو تسميها «شلة الأنس»..

جلست أهلوس وسط موجة عارمة من الضحك وأنا أقول في «الملهى الليلي»، رغم أني لأول مرة أذهب إليه، بصوت عالٍ:

- والمراية بتوريك مستقبلك.. قرب قرب تبقى راجل بشنبات أو بنت منفوخ لها.. تنفخي فوق ماشي تنفخي تحت ماشي كله بالسليكون بيفك.

لم تكن لدي فكرة عما قلت هذه الليلة، ولكن البعض حكى لي ما قلته تأثرًا بمأساة محمود الغريب التي لم أحكها لأحد واحتفظت بها لسلمى وحدها التي ذهبت إليها ذات يوم لأحكي لها قصة محمود، ولكن القدر لم يمهلني ولم يمهل المسكين ووجدتها تفتح لي الباب حسب العنوان، ولكنها تزوجت ونظرت إلي باستغراب ودمعت عيناها لأنها تذكرت في وجهي أيام محمود الغريب وشقاوته «بتاعة زمان»..

تلك الدمعة التي ترقرقت في عينيها دون رد فعل هي أقوى دليل على حبها المحفور وخيبة أملها في محمود الذي هرب من العالم من أجلها واختبأ في مكان لا أحد يعلمه ولا حتى أهله.. أنا فقط الذي أعلم مكانه..

قالت لي وهي تنتحب ولا تستطيع أخذ نفسها:

- هو كويس؟

وكأن قلوب العاشقين متصلة على الدوام.. تعرف جيدًا في نظرتي البائسة أن هناك خطبًا ما مس محمود الغريب، أو ربما تكون حلمت به كما تشعر الأم

بولدها أو المعشوق بمعشوقته بالاتصال الروحي الكامل..
- هو تعبان يا سلمى.
قالت سلمى «في خضوع»:
- كنت حاسة.. والله كنت حاسة إن في حاجة.
- لسه فكراه يا سلمى؟
- هتصدقني لو قولت لك إني مش شايفة غيره في الدنيا؟! إتجوزت لأن ده مصير، إنما ما حبيتش غيره لأن ده قدر ومكتوب..
خرجت من عند سلمى أتذكر تلك الجملة التي تلخص حال الهجر: «إتجوزت لأن ده مصير، إنما ما حبيتش غيره لأن ده قدر ومكتوب».. رأيت نظرتها وأقسم لكم ما لم أره في ملامح درامية شتى.. نظرة العاشقة الحزينة تبلغ في سموها نظرة الأم لأول بسمة طفل.. أو سمو نظرة الملائكة للأنبياء..
وبعد ما حدث ظللت مترددًا لفترة ولكنها ليست طويلة لأني كنت أفكر فيه باستمرار، لأنه صديقي الأقرب، وقلت لأهله كل الحكاية وأعطيتهم العنوان ليتصرفوا معه ويحاولوا إخراجه من حالته..
وبعد سنوات طويلة ذهبت إلى الإسماعيلية لأرى ماذا حدث وكيف يعيش محمود الآن، وهل عاش معه أهله أم لا.. ويا لدهشتي مما رأيت.. رأيت الباب مفتوحًا في شقة محمود الغريب ويدخل إليه عشرات الوافدين بالدور، وحينما سألت أحدهم:
- هو إيه اللي بيحصل؟ في إيه يا أستاذ؟ هي مش دي شقة محمود الغريب؟
رد الرجل:
- أيوه يا بيه هي.. ده راجل بركة وعنده مراية بتورينا كل اللي هيحصل قدام في المستقبل إن شاء الله.
لم أتمالك نفسي من الغضب وصحت في الجميع:
- يا مجانين يا ولاد الكلب.. تصديقكم للخرافة بيأكدها.. طول ما في المجتمع أمثالكم عمره ما هينضف أبدًا.. إطلعوا كلكم برة.. يا محمووووود انت فين

يا محمود؟ طلع الناس دي برة.. المستقبل مش عايز متلصصين عليه يا ولاد الكلاب.. إطلعوا برة.. سيبوا صاحبي في حاله.. سيبووووه.

خارت قواي تقريبًا من كثرة الصياح الذي جعل الناس تهرول خوفًا من الفضيحة أمام أهاليهم أو منطقتهم أنهم كانوا في شقة محمود الغريب الذي قال البعض عنه إنه مجنون في الشارع..

ذهبت إليه وجدته بلحية كثيفة وجلباب أبيض ويقول لي:

- انت جيت؟ شوفت؟ مش قولت لك.. أنا شوفت سلمى وهي بفستان الفرح.. شوفت سلمى وهي بفستان الفرح.. هي اتجوزت صح؟ أكيد.. قول لي قول لي.. المراية دي عمرها ما كدبت علي.

لم أعرف كيف تركه أهله في تلك الحالة، وهل حاولوا ويئسوا، أم تركوه في حالته المستعصية إلى أن أصبح الموقف عبثيًا ومزعجً؟

انتشرت الخرافة في كل مكان.. المراية التي تُرِي المستقبل.. طوابير من المريدين لمحمود الغريب على الأبواب الموضوع ينتشر وذاع صيته.. يتلصصون على المستقبل والمستقبل يريد من ينظرون تجاهه لا المتلصصين عليه..

ما أسهل انتشار الخرافة في مجتمعنا.. المجتمع الذي نهشته خرافة السياسة ونهشه الحكام المرتزقة الفاسدون والوزراء الفاسدون ورجال الدين كهنة الأموال والثمرات وليس الأنفس حتى..

الخرافة تحاول أن تبقيهم متيقظين.. ليخرجوا من إطار اليأس إلى الحياة ولو كذبًا.. نهش فيهم الفقر فنهشوا لحم الخرافة ودافعوا عنها إلى أن تجسدت حاكمًا ملائكيًا أو وليًا من أولياء الله أو عالم دين كما يسمونه..

نظرت إليه نظرة أخيرة.. احتضنته وقبلت جبينه وقلت له:

- ما تشغلش بالك.. سلمى بتحبك هي قالت لي.. صدقني بتحبك.

نظر إلي وخلع طاقيته وهرش في شعره الطويل المجعد الذي لم يحلقه منذ سنوات، واحمرت عيناه ونظر إلى المرأة ولم ينظر إلي مرة أخرى..

كان هذا آخر لقاء بيني وبينه إلى الأبد.. كنت دائمًا ما أتذكره..

قالت لي زوجتي:
- طيب عملت إيه إمبارح في العزا بتاعه؟ شوفت أهله؟
- ماشوفتش أهله، لكن شوفت الإعلام والرايات وواحد قال بالحرف الواحد: «الشيخ الغريب ده بركة عرفنا كل اللي هيحصلنا في عمرنا.. راجل كأنه القدر».
- أستغفر الله العظيم.. إيه اللي حصل للناس؟ كأنه القدر؟ وهو بيعرف القدر ازاي؟ دول مجانين.
- مش بس كده الناس كلها عملت «حضرة» وزار وبخور وبقى مقام، وشقته مفتوحة طول اليوم والمراية موجودة والناس بتلمسها وتحسس عليها..
في آخر أيامه - الله يرحمه - بيقولوا قعد يبص للمراية تلات سنين وما يتحركش والناس تجيب له الأكل لحد عنده ويقولوا: «الشيخ الغريب في لحظة تجلي بيشوف المستقبل».
- مات قدام المراية؟
- آه فعلاً ده اللي حصل، ولسه الناس بيصدقوا حكاية المراية بشكل غريب، ومهما قولت لهم بيقولوا علي كافر بمعجزات الله، ومجموعة منهم كانت هتضربني..
- وشوفت الدفتر اللي اداهولك البواب في العزا حسب الوصية؟
- فعلاً لما جالي البواب وقال لي ده وصية المرحوم إنه ساب لك الأجندة دي خدتها بسرعة، بس ما قريتش منها غير صفحتين لسه هاكملها دلوقتي.. يا ريت تعملي لي فنجان قهوة عشان أكملها.
ذهبت الزوجة وجلست أقلب في صفحات الدفتر التي كتبها محمود ورتبها بالتاريخ، لأنه كان طوال عمره منظمًا في أموره.. وبدأت أقلب الأوراق سريعًا ووقفت عند صفحة «سلمى وعريسها».
سقطت من فوق كرسي المكتب في حالة صدمة وهلع وفزع، جريت في أرجاء المنزل مثل المجنون، كدت ألطم خدودي مما قرأت.. لقد وصف المنزل الذي

تسكن فيه سلمى، ووصف زوجها بشكله ولون شعره وكل تفاصيله، والأكثر رعبًا أنه حدد تاريخ العرس، بينما كتب ما كتب قبل الفرح بشهر كامل..
كنت أجلس مع سلمى وزوجها في العزاء، وقالت لي بنفسها إنها لم ترَ محمود الغريب منذ أن قابلتها آخر مرة ولا يعرف أنها تزوجت ولا يعرف أخبارها، وتأكدت من كل مكان ومن كل مصدر أن محمود الغريب لم يتحرك من أمام المرآة في أي وقت.. فكيف عرف تاريخ الزواج؟!
أمسكت الدفتر مرة أخرى وأنا أكاد أجن ونظرت إلى الصفحة الأخيرة لأقرأ فيها ما أبكاني.. وقال في آخر المذكرات: «إنت ما صدقتش إنها معجزة لسه؟ أنا سيبت لك الدفتر ووصيت البواب يديهولك عشان تعرف إن كل حاجة كنت شايفها.. وتعرف إن المراية كانت بتقول لي كل المستقبل.. هي مش معجزة مراية.. إنما معجزة قلب».
دخلت زوجتي وقالت:
- القهوة أهي.. إيه ما لك انت بتلبس بسرعة ورايح على فين دلوقتي؟!
قلت في ابتسامة:
- رايح مولد الشيخ الغريب.. دي مش معجزة مراية.. دي معجزة قلب..
وما زال محمود الغريب كذبة في عيون البعض ومعجزة في عيون مصدقي الخرافات وحقيقة في عيني أنا فقط.. من عرف قصته وعاش كل تفاصيلها..
ولكن ما أثار ثائرة الشجن داخلي نظرة سلمى إلي وهي في المولد تشارك في مولد الشيخ الغريب حبيبها السابق.. وكأنها تريد أي شيء من ذكراه ولو لم تبقَ إلا الخرافة..
حتى لو لم تبقَ إلا الخرافة!!

إيزيس تقابل رادوبيس في كوستا

«الحياة مثل فن الأوريجامي..
الأجمل فيها أن تصنع مركبًا ورقيًّا وتنتظر الحب عند مشهد غروب».
قصة داخل قصة داخل قصة.. هذا هو الوصف الأسهل من دون تعقيد لهذه القصة الغريبة.. تتحدث القصة وتتحدث رموزها ويتحدث الجنين الذي يرقد باسمًا في رحمها..
رادوبيس تحاور إيزيس:
رادوبيس هي عاهرة فرعونية قديمة، كانت تقدم لها القرابين من وزراء وكبار التجار، وكانت تعيش في قصر كبير كأنها ملكة متوجة كما هي متوجة بالفعل في عرش قلوب الرجال جميعًا، دار بينها وبين إيزيس هذا الحوار الخيالي في عقل الكاتب:
- إيزيس أشعر الآن بشعورك حين يقدسك الجميع ويقدمون لك القرابين تحت قدميك بذل وهوان.. إحساس رائع وصعب أيضًا أشعر بشعور متناقض حيال هذا.
- لا تقارني نفسك بي.. أنا ربة القمر والأمومة وأنتِ لست إلا عاهرة يشتهي الرجال ما بين فخذيها وصدرها البض الرجراج..
- أنا لست حلمًا في قلوبهم.. أنا واقع شهي ولمحة من جنتهم التي تعدينهم بها في نهاية الطريق.. أنا الواقع وأنتِ احتمال.
- كلهم يريدون الوصول إلى عالمي.
- وكلهم بالفعل على بابي.
- جميعهم يتذللون كي أحتويهم.

- وجميعهم يتذللون كي أحضنهم وأضمهم إلى صدري ويبكوا كالأطفال من

جمالي.
- أنا ربة من الأرباب.
-وانا أصل بهم إلى نشوة كالربوبية.
- لا تقارني جمالك بعظمتي.
- لن تكتمل قصة حب إلا بالتحامنا معًا.. أنا الجسد وأنتِ الروح.

الزمان: الخامسة عصرًا.
المكان: كوستا.
الحدث: لم يحدد بعد.
ذهب عمر إلى قدر جديد.. هكذا أستطيع أن أصف ما غير حياته في لحظة.. وما أكثر اللحظات التي تغير حياة البشر والتي تنثرها الملائكة كأنها أزهار في فرح موكب شمس..
وقف ينظر بعينين لامعتين إلى المكان يبحث عن هند التي تنتظره والتي لا يعرفها إلا من خلال حوار واحد اتفقوا بعدها على مقابلة ليقدم لها عملاً مسرحيًّا تحدثوا حوله لتقوم بتمثيله في مسرح الجامعة..
وفجأة وجد ضالته تلوح بيديها مبتسمة كالأطفال، صاعقة كالقدر، عميقة كالرغبة، مجنونة كالنشوة..
وقف مرتبكًا أول الأمر وقال لنفسه:
- أهذه هند التي خلقت لهذا العصر، أم هي من غياهب الماضي وعصر المعلقات؟!
قبل أن نوغل في الحديث دعوني أحدثكم عن عمر..
عمر شاب في عقده الثالث، قصير القامة نسبيًّا، ذو شعر ناعم طويل، معتدل القسمات عريض الجبهة.. عاش في قصة حب لفترة طويلة وكان يؤمن بفكرة أن الإنسان إذا فقد حبه الأول فقدْ فقدَ «إيزيس» بداخل المرأة وتبدأ رحلة بحثه عن «رادوبيس» فقط.. أي أنه يؤمن أن الحب الأول هو الروح والجسد،

بينما ما بعده هو مجرد نزوة أو رغبة زواج..
يؤمن بأن الله خلق الرجال نوعين: نوع من الرجال يتزوجون، ونوع يعيشون للكتابة عن تجربة حب.
وكان يعرف جيدًا أنه خلق ليعيش عالم النوع الثاني.. لم يعرف أن القدر والمصير قد لا يحدده تصنيف، وأن البشر لا يمكن حصرهم في نوعين فقط، فالحياة مليئة بالمفاجآت كما يقال..
قالت هند «بصوت ناعم رقيق»:
- أهلاً أستاذ عمر أنا عرفتك على طول، شكلك لسه بتشبه عليَّ.
رد عمر «متورد الوجنتين»:
- لا طبعًا أنا عارف حضرتك، بس كنت محتار شوية.. إحم.. قصدي يعني ماشوفتش صورة ليكِ قبل كده.
قالت هند «مبتسمة»:
- إيه حضرتك دي؟ انت بتكبرني في السن جدًّا.
عمر «قال لنفسه»:
- أنا أحدث فيكِ رهبة «إيزيس» ومضطر أقول حضرتك.
- بتقول حاجة؟
قال عمر «متلعثما من فرط جمالها»:
- لا أبدًا أنا باقول نطلب حاجة ونبدأ نتكلم في تفاصيل العمل على طول..
- أوك.. زي ما تحب.. أنا متأكدة إنه هيكون عمل متميز.
لم يعرف عمر ماذا أصابه في تلك اللحظة، هل تعرفون إحساس من ينام على السحاب؟ لا لا هل تعرفون إحساس السفر عبر الزمن أو عبر الأنوثة؟
هل تعرفون إحساس أن تكون رضيع زهرة وتضمك الزهرة بعاطفة أمومة؟
لم يفق من خمر عيونها إلا وهو يقلب الأوراق التي يقدمها لها ويقسم أنه في هذا الوقت قد سمع صدى صوت وكأنه يأتي من رحالة فقدوا الطريق على جبال ماسية خلف رموشها!!

قالت هند:

- انت ليه متوتر قوي؟

رد عمر «محاولاً إخفاء شعوره»:

- أبدًا أنا بس خايف العمل ما يعجبكيش ولا حاجة.

- مش ممكن طبعًا.

عمر «يخاف أن تكون قد شعرت به»:

- إيه اللي مش ممكن؟

- إنه ما يعجبنيش.. لأني قريت لك أعمال كتيرة جدًّا.

عمر «يتنفس الصعداء»:

- آاه متشكر جدًّا.. طيب اقري كده أول صفحتين، دي ملخص الفكرة.. هي مسرحية قصيرة حوالي ٢٠ دقيقة.. وعشان ما تحتاريش فيها هي فيها أكتر من إسقاط.

- جميل جدًّا.. اسمحلي أقراها بصوت عالي ويبقى احنا بنراجعها مع بعض برضه.

- اتفضلي.

ملخص مسرحية قصيرة من إلقاء هند سالم، من تأليف عمر:

يفتح ستار المسرح على مسرح.. ليس غريبًا أن تفتح عالمًا على عالم أجمل منه.. ولكن أحيانًا عندما أفتح عالم روحي على عالمي لا تكون مفاجأة سعيدة، فروحي تمطرني بأسئلة شديدة السمية:

تقول لي الروح:

- لماذا تكتب؟

- كي أجد سببًا لتكبري.

- ولماذا تتكبر؟

- كي أكتب بسلاسة.

- هل أعيش داخل مجنون؟

- ربما نصف مجنون ونصف عاقل، ولكن عاشق كليًّا.
- هل تفقد الأمل أحيانًا في حياتك؟
- سؤال جميل، ولكن دعيني أقول لك هذه النصيحة التي أسير عليها في حياتي: قبل أن تفقد الأمل اسأل نفسك هل امتلكته حقًّا؟ قبل أن تقول «ضللت الطريق» اسأل نفسك هل اهتديت إليه حقًّا؟ قبل أن تقول تحجرت مشاعري اسأل نفسك هل شعرت حقًّا؟
- هل تخاف من أن يطبق عليك الوداع عدالته؟
- لا يوجد وداع عادل.. فكلمة وداع تناقض الرحمة ولكن العالم قاسٍ.
- أنا أتحدث عن العدالة لا الرحمة.
- حسنًا ستبدأ المسرحية واحكمي بنفسك أين العدالة في هذه القصة؟
- دعنا نرى.

يغلق ستار المسرح ويفتح من جديد ويبدأ الفصل الثاني:

عرض وجمهور وشاب وفتاة يقفون أمام لوحة رملية يرسمون أشكالاً على الرمال، كان المسرح ممتلئًا عن آخره، تصفيق حاد يرج القاعة ونظرة حادة من صاحب المسرح الذي يجلس متنكرًا وسط الجمهور لمتابعة العرض المنتظر..

صاحب المسرح رجل سمين غليظ الملامح غائر العينين بنظارة ضخمة تغطي جزءًا كبيرًا من وجهه، بثياب فخمة وسيجار لا ينطفئ أبدًا مثل قلبه المليء بالحقد على دينا وصادق اللذين يقومان بالعرض على المسرح..

صاحب المسرح لا يريد لهذه العلاقة أن تتم بأي شكل من الأشكال، وعندما سأل أحد أصدقائه عن سبب كرهه لهذه العلاقة قال في جحود وعناد:

- لا أريد المزيد من الصدق لهذا العالم وهؤلاء أصدق مما يجب.

صاحب المسرح شخصية غريبة، نشب أظفاره الحادة في حرير الحب الذي يغطي به دينا وصادق قلبيهما..

فترة طويلة من الخصام والتجافي بين دينا وصادق بسبب الدسائس والمكائد

من صاحب المسرح وتقليب القلوب على عدة أحوال..
لم يجد صادق فرصة أجمل من هذه كي يحاول أن يتقرب من دينا مرة أخرى وهما في ذروة النجاح أمام الجمهور ويحاول منذ فترة أن يقنعها أن المكائد هي السبب وأن كل ما قيل غير صحيح ولكنها كانت تبعد عنه لأنها مجروحة بقدر حبها له..
لم تنظر إليه وهما يقومان بالتحية الأولى للجمهور، وضحك صاحب المسرح وقهقه بصوت عالٍ وهو يرى أن الخطة تسير على ما يرام وسيفترقان كغيرهما بلا عدل ولا سبب مقنع حتى، وما أكثر ما ترى في هذه الدنيا من لحظات وداع بلا سبب مقنع أو عادل..
الخروج عن النص أو الخروج عن الرسم كان سمة المشهد الآن، كانت لهم رسومات معينة لا بد من نقشها على الرمال، ولكن بدأ صادق بالخروج عنها تمامًا وبدأ برسم قلب وبجواره علامات تعجب وكأنه يسأله ماذا حدث لحبنا الخالد؟
كانت دينا ترى في حبهما الجريمة الكاملة، وهو وصف محبب لها، أي أنه شيء عبقري وكامل ولغز غير قابل للحل، وكانت تقول له دائمًا:
- حبنا جريمة كاملة مكتملة الأركان ولا أجاثا كريستي ممكن تحط له نهاية.
ولكن صاحب المسرح كان يطلع على ما يشعران به وكان يقول لنفسه:
- لا أعترف بالجريمة الكاملة.. فإذا كانت كاملة فكيف عرفتموها إذًا؟ إنها إذا كانت كاملة فلن يعرفها إلا صاحبها فقط.
بدأت دينا في محاولة العودة للرسم المنصوص عليه ورسمت قطرات المطر.. ولكن صادق ما زال مصرًّا على أن يخرج عن النص ورسم خنجرًا كبيرًا سامًا على أنه سلاح جريمتهما الكاملة، وحوله المزيد من علامات التعجب، وكأنه يسألها ماذا حدث لجريمتنا؟ ماذا حدث للحب؟
حاولت دينا صده في البداية، ولكن تلاقي عيون العشاق وبداية نظرات العتاب من أصعب مراحل الحب وكأنهما يتذكران ماضيًا كاملاً في لحظة

ويخافان سقوط حياتهما في دوامة مستقبل جائع للعاطفة والحب والرغبة..
بدأت هي الأخرى في الخروج عن النص ورسمت خنجرًا مكسورًا.. وكأنها تقول له: «أنت لا تحبني يا صادق».
رسم صادق شخصًا مجنونًا وبجواره شخص سمين بنظارة.. يخبرها أن هذا جنون أن المشكلة الكبرى في صاحب المسرح..
رسمت بسرعة على الرمال خنجرًا أكبر في جسد صاحب المسرح تخبره أن الحب أقوى منه.
رسم كرة أرضية يجلس عليها صاحب المسرح.. يحاول أن يخبرها أنه أقوى من خناجر الحب، لأنه بلا قلب..
وقف الجمهور متعجبًا ويصفق بحرارة لصدق هذا العرض الرائع والأسئلة والإجابات، حتى وإن فهموا منها القليل، ولكنهم يحاولون أن يفهموا الإسقاط ويعرفوا أن العرض الآن أصبح حوارًا كاملاً بين عاشقين، خصوصًا أن صاحب المسرح يصيح أن ما يحدث هو خروج عن روح العرض وخروج عن أي نص..
ترسم دينا بسرعة على الرمال ميناء يحترق وكأنها تقول له: هل نعود ونحرق هذا الوداع ونحرق خلفنا السفن؟!
رسم بسرعة سفينة تحمل صاحب المسرح بعيدًا مقيدًا في الأغلال وتسقط نظارته في البحر.
ضحكت دينا ورسمت بسرعة مجرمًا خجولاً وكأنها تقول إن الجريمة الكاملة في حبهما ترى اكتمالها الآن بعد أن كادت تنكشف..
ابتسم لها وطبع قبلة على جبين هذا المجرم الوسيم الخجول على الرمال.
اهتز المسرح بالتصفيق الحاد وصياح: «براافو»، وظنت دينا وصادق أنها النهاية السعيدة، ولكن صاحب المسرح هرول بجنون وهو يرج كرشه السمين الضخم إلى خشبة المسرح ولكم الملقن على المسرح وذهب إلى قرب الرمل وصفق بيديه لحراسه وأمسكوا صادق وسط صراخ من دينا وكأنها تفقد الآن حبيبها للأبد وطلب من الحراس خرطوم مياه..

حاولت دينا الدفاع عن آخر رسم على الرمال دون جدوى فقد أغرق العرض وتشوه الرسم من شدة المياه المنطلقة من يد صاحب المسرح وقذفه الجمهور بالطماطم، بعد أن كان يصفق، بل حاول البعض الصعود على المسرح لضرب صاحبه، ولكن الحراس العمالقة كانوا يمنعون الجميع.

خرج الجمهور غاضبًا حزينًا من نهاية العرض الرائع.. وافترقت دينا وصادق للأبد.. لم تعد تراه ولم يعد يراها..

وما أسوأ أن يكون صاحب المسرح بيديه الغليظتين يبني على الرمال قصرًا صغيرًا من القلوب ويغمس فيه سيجاره البغيض.. ويكتب كلمة النهاية..

وفقد صادق «إيزيس» التي كان يراها متجسدة في داخل دينا، ولم يبقَ أمامه إلا نساء بهيئة «رادوبيس»، ليس إهانة لهن، ولكنه لم يعد يرى في المرأة إلا جانب الرغبة وليس جانب الحب والرهبة..

كوستا:

قالت هند:

- روعة يا عمر بجد.. أنا هاقراها كاملة لكن الفكرة عجبتني جدًّا، برافو عليك، تسلم إيدك، أنا فهمت انت تقصد مين بصاحب المسرح.

قال عمر وهو «ينظر إلى عينيها»:

- كل واحد ممكن يفهمه بطريقة، هو يقدر يحمل أكتر من معنى لكن تفتكري إيزيس ممكن ترجع؟ حتى لو ظن البعض أن رادوبيس هي الباقية؟

قالت هند «في خجل وهي تفهم ما يلمح له»:

- هي غايبة من كام سنة؟

رد عمر «فجأة وهو ينظر إلى الأرض»:

- معلش يا هند ممكن تسيبيني لوحدي دلوقتي.

قالت هند «في قلق»:

- إيه أنا قلت حاجة زعلتك؟!

- لا صدقيني مش الفكرة بس محتاج أقعد لوحدي شوية، يمكن بس افتكرت موقف كده وهنتقابل تاني بكرة نشوف هنبدأ ازاي على المسرح والتنفيذ الفعلي.

هند «تشعر بحبه» قالت:

- بس أنا شايفة إن المسرحية كده ممكن يتعدل فيها حاجات كتير، خصوصًا النهاية.

- أنا مش عارف ازاي ده حصل.. ده بيحصل فعلاً.

- هو إيه اللي بيحصل؟

- فعلا المسرحية كلها ممكن تتعدل..

هند «تبتسم له في إعجاب» وتقول:

- وهتسميها إيه بقى؟

قال عمر «مشيرًا لها أن تجلس بعد أن كانت راحلة»:

- هاسميها «إيزيس تقابل رادوبيس في كوستا»..

ابتسمت هند وتشابكت الأيدي فجأة بلا مقدمات واستعرت نظرات العيون.. حالة التحام وجداني كامل وكأن محاولة إنكار عمر لوجود الحب الثاني قد تلاشت وصار يؤمن به فجأة..

ومات صاحب المسرح في غمضة عين وانتصرت إرادة العشق من جديد.. ونقش على قلبه.. «مرحبًا بإيزيس من جديد في عالمي الذي هجرته ربة القمر»..

«استربتيز» ميس ياسمين

«لا أحد يستحق الثقة.. ولكن كثيرون يستحقون العطف».

نجيب محفوظ

كان ياما كان.. بداية قديمة جدًّا لأي قصة ولكنها ما زالت محببة لبعض الأطفال، ولكنها غير مناسبة أبدًا لهذه القصة الحقيرة، أليس كذلك؟ هل حكم أحدكم على هذه القصة أنها رخيصة لمجرد قراءته العنوان؟ هذا هو حال المجتمع الذي يقع فريسة لكلمة أو إشاعة دون قراءة ما بين السطور.. «استربتيز» هل لهذه الكلمة وقع أو صدى رومانسي مثلاً؟ إيحاء جنسي؟ خاطر ورغبة؟

ربما تصدم البعض أيضًا البداية بهذه الكلمة سيئة السمعة، ولكني أرى أن لها وقع الحقيقة.. مجتمع يمارس «الاستربتيز» كل يوم.. «استربتيز سياسي وثقافي واجتماعي وديني».. مجتمع يخلع «البرا» ويلقيها في وجه المندهشين من أفراده دون علة تذكر.. وما زلت أسمع صوت التصفيق الحاد:

- «براااااافو» هايل.. صدرها حلو قوي زي الملبن..

ثم فجأة:

- أستغفر الله العظيم، حي على الفلاح يا أخي!!

قصة «صاصا» لا تختلف كثيرًا عن قصة ازدواج شخصيتنا جميعًا.. اعذروه.. هناك بعض الشخصيات في القصص يكتبها القاص لكي يعذرها المجتمع.. أما أنا فأخلق بيدي تلك الشخصية كي يحاكمها المجتمع، ولا يأخذ أيضًا بالظاهر.. فأنا أكره كلمات مثل: «الظاهر، والمظاهر، وشكله كده» فهي تدل على الاستسلام لما نراه أمامنا.. والظاهر لم يعبر أبدًا عن حقيقة، فدائمًا كلمة

السر هي الباطن.. فهل سمعتم شعر عنترة بن شداد وهو يقول: «إِنَّ الأَفاعي وَإِن لانَت مَلامِسُها * عِندَ التَقَلُّبِ في أَنيابِها العَطَبُ».. هذا بالضبط بيت الشعر الذي يدلك على خفايا النفس البشرية وشرها الداهم..

«صاصا» رجل في الخمسينات.. ابيض جزء من شعره وما زال الجزء الباقي أسود فاحمًا.. كبير الأنف عريض الجبهة مليء لحم الخد.. قصير القامة، ولكن جسمه من بعيد قوي الهيئة مشدود البنيان..

كان يخرج كل ليلة ليقلب رزقه.. وكلمة «يقلب رزقه» توحي بأنه ذاهب إلى عمله، ولكن عند «صاصا» كل جملة لها إيحاء ودلالة جنسية.. فمثلا جملة «يقلب رزقه» أي يبحث عن عاهرة جديدة.. جملة «العربية غرزت في الرمل» معناها أن الليلة كانت صاخبة وممتعة جدًّا.. كلمات مثل «ليمونة أو رمانة» توحي بسن العاهرة وحجم صدرها..

كالعادة يذهب إلى أحد الموالد.. لا يحب الذهاب إلى الكباريهات، فهو دائمًا يعشق البنت الشعبية رغم أنه ماديًّا قادر على الذهاب إلى أغلى كباريه أو حتى «نايت كلاب»، ولكنه يريد امرأة جاهلة بكل المقاييس لدرجة أن لا تتعرف عليه.. فلا يعرفه غير عم «عطعوط»، وسمي كذلك نسبة إلى العط أو تمرسه في العهر بدرجة قدير جدًّا.. فهو من يدله كل ليلة إلى مبتغاه وطريقه إلى الجنة الأرضية..

وفي إحدى الليالي قال له عطعوط:

- إيه؟ لقيت ليلتك فين ولا لسه؟ مش قولت لك «ميس ياسمين» النهارده؟

- آه أنا اتأخرت يا عطعوط يا دوب ألحق المولد دلوقتي.. وهي هترقص إمتى؟

- بص هي هترقص في الآخر، استنى الساحر والحاجات الأولانية، أو الأحسن تحجز بدري وتخش لها الأوضة، أنا موصيها عليك، قول لها من طرف عطعوط النمرود.

- والله الواحد مش عارف يودي جمايلك فين يا عطعوط.

- يا راجل ما انت بتودي الجمايل كلها على المنطقة السفلية.. هههههه.
- يا راجل يا عطاط انت يا بتاع المزاج كله.. ويا ترى دي ليمونة ولا رمانة؟
- تفاحة.. حاجة كده جديدة في السوق.. ميس ياسمين هتخليك تقول آمين.
- آمين يا عطعوط آمين.

وفي أحد الأحياء الشعبية في القاهرة بعيدًا عن «صاصا» كان منزل ناجي، الشاب المصري الثوري الحر، سمعته الذهبية هي طريق وصوله إلى منصب رفيع في الحزب، فهو شاب محترم جدًّا، الكل يشهد له بحسن السير والسلوك.. جلس يخطط كالعادة لإحدى المظاهرات، ولكن جاءته مكالمة مفاجئة من مجهول، قال له:

- أستاذ ناجي من حزب الثورة؟
- أنا أيوه مين معايا؟
- بص.. مش مهم أنا مين أنا معايا ورق مهم جدًّا، ولو قابلتني في شارع الهرم قدام كباريه النجمة الساعة ٧ هتاخده كله.
- كباريه إيه يا أخي أعوذ بالله، يعني خلاص الأماكن خلصت؟
- معلش يا سيدي هو بيتي قريب من هناك، وبعدين ده يا دوب هنقف قدامه دقيقتين والمكان زحمة، يعني أمان ماتخافش.
- والورق ده بخصوص إيه يعني؟
- هتعرف لما تيجي.. بس حاجة هتغير مستقبلك.

«يغلق الخط»

- ألو ألو..

احتار ناجي كثيرًا في أمر هذه المكالمة وحاول أن يستشير أمه دون أن ينشر الموضوع أكثر من اللازم، قال لها:

- محتار يا أمي والله مش عارف ده عايز إيه وورق إيه اللي يقصده.
- ما تروحش يا ابني أنا قلبي مش مطمن، انت عليك العين وليك ألف عدو.
- بس مش يمكن ورق فعلاً يقلب الموازين ومهم زي ما بيقول؟

- حاذر من الطمع يا ابني ده قل ما جمع.
- مش مسألة طمع.. بس يمكن حاجة هتفيد البلد.. عمومًا يا أمي ما تقلقيش أنا مش هاروح، خلاص مفيش داعي للمخاطرة.
قال ناجي هذه الجملة الأخيرة وهو يحاول طمأنة أمه، ولكنه في قرارة نفسه عازم على الذهاب بحس المخاطرة والنزعة السياسية وحبه لبلده..
وفي المولد:
صاصا يقف على عتبة الباب لغرفة ياسمين ويطرق الباب بهدوء ويقول لها:
- إيه يا جميل مش هتدخلني ولا إيه؟
- أدخلك فين بالظبط؟ تحب تدخل فين؟
- شكلها ليلة فل زي ما قالولي.
- أصل أنا سمعتي سابقاني.
- سابقاكي على فين؟
- على كل شقة وكل أوضة هي هي هي.
- طيب أسبقك أنا بقى على العنوان اللي سايبهولك تحت عقب الباب..
- هاخلص رقصتي وأحصلك.
غريزة صاصا ليست جنسية ولكنها عقدة نفسية صعبة الحل.. إن العاهرة بالنسبة له إنسانة متفتحة بلا غموض ولا تفاصيل المرأة التي يجب كشفها أولا قبل مرحلة السرير.. إنها بالنسبة له مرحلة الصراحة والمكاشفة.. يعرف جيدًا من قراءته التاريخ كم عاهرة عبر الزمن أثرت في أجيال وصنعت تاريخًا، سواء حكمت عليه بالدمار أو بالازدهار مثل عاهرات كثيرات التف حولهن الفلاسفة والكتاب، ومنهن من تزوجت ملوكًا وأباطرة..
العاهرة لديها مصارحة أكبر مع النفس فهي لا تتستر بالدين مثل بعض رجاله لممارسة العهر، ولا تتستر بالسياسة لممارسة القمع، ولا تتستر بالحق لممارسة الحرب، ولا تتستر بالحب كبعض النساء للسيطرة على رأس المال!!
دخل صاصا إلى غرفته وبدأ يجهز الليلة الحمراء المعتادة في شقته القديمة

بعيدًا عن زوجته وأولاده.. نعم إنها خيانة وإن كان يطلق عليها «تلطيف جو يفيد الحياة الزوجية». صاصا لا يغلب أبدًا، فهو يجد البديل لكل جملة سيئة وكلمة مشينة، فإن لم تعجبه كلمة خيانة قال إنها مجرد نزوة أو ليلة حظ..

يرن جرس الباب وتدخل ياسمين، تقول له:

- ده انت جاهز من كله بقى..

- أنا مستنيكي على نار وهتبقى ليلة دمار..

- بس أنا أول مرة أشوفك، ده انت متجوز بقى؟ شكلك كده كبير شوية.

- مش خبرة برضه بدل ما ابقى تلميذ؟

- على رأيك وانا مالي أصلاً.

- الليلة خمر ونساء.. بتعرفي ترقصي أو تعملي «استربتيز»؟

- مين؟ ده دوا ده ولا إيه؟ الواحدة بتشوف حاجات غريبة من الرجالة.

- بقى انتي شغالة كده ومش عارف «الاستربتيز»؟ ومسمية نفسك «ميس ياسمين»، ده انا قولت انتي أجنبية لما سمعت اسمك في الأول.. هههه.. إيه عمرك ما نمتي مع حد نضيف؟

- الملافظ سعد يادي الأستاذ.

- آسف ما اقصدش.. بس يعني دي بترقصي كده على عمود أو الحيطة حتى وترمي هدومك حتة حتة.. شوفتيها قبل كده في فيلم حتى؟

- لا ما حصليش الشرف بس وماله أجرب طالما ده بيعجبك يعني.

بدأت ياسمين في تجربة أول رقصة «استربتيز» في حياتها على الرغم من أنها كانت مضحكة جدًّا بالنسبة لصاصا.. ضحك ضحكًا هستيريًّا لدرجة أنها أوقفت الموسيقى التي اختارها صاصا وقالت في حدة:

- انت جايبني تألس عليَّ وتعايرني يعني؟

- والله ما اقصد.. بس رقصك غريب وحلو.

- طب ما تيجي نخش في المفيد.

- أنا أخش في المفيد بس لما أشوفه أزيده فايدة.

- شكلك شقي قوي يا شيخ.
فزع صاصا فجأة كمن أصابته صاعقة وصاح بأعلى صوته:
- شيخ؟!
هل عرفت الحقيقة.. هل أخبرها أحد؟ كيف عرفته؟ إنه حليق الذقن وفي منطقة غريبة ولا يعرف أحد أنه شيخ شهير في إحدى المناطق فكيف عرفت إذًا؟
- إيه مالك اتخضيت كده؟ كلمة شيخ وحشة؟ على رأيك شيخ ازاي يعني وانت قالع ملط.. هي هي.
قال صاصا بتأنيب ضمير:
- ولو كنت شيخ يعني فيها مشكلة؟
- شيخ مين يا عم.. ده انت حسب كلام عطعوط مقضيها من شرقها لغربها كل ليلة وكل يوم.
- ولو شيخ بيعمل كده فيها إيه يعني هه؟.. فيها إيه؟ فيها إيه؟
بدأ يصيح بصوت جهوري خصوصًا عندما شم رائحة جسدها قريبة من جسده التي ذكرته برائحة زوجته القديمة الخائنة وهو في الشباب، وكان صاصا يعالج قديمًا من مرض يسمى «Obsessive compulsive disorder» في أحد المصحات، ولا نعرف ماذا أصابه عندما شم رائحة جسد مقاربة لرائحة زوجته، وقام مذعورًا يقلب في أوراق ودفاتر ويشم الستائر ويغلق كوالين الباب بشكل هستيري غريب.. ثم أفاق فجأة وقال لها:
- شيخ شيخ.. يلا نبدأ.
بدأت مرحلة التحام جسدي عاصف كأنما صقر يهبط بمخالبه فوق شرنقة حريرية كأنه الرعد يصيب أحد الأبنية الرخوة فيشطرها نصفين.. بدأ يتحسس رقبتها الناعمة بيده ويدب فيه جنون الرغبة وثائرة النشوة.. كانت ياسمين تستمتع بهذه المرحلة الغريبة من الهياج الجنسي الكامل الذي لم تره مع زبائن آخرين، وكانت تصيح بنعومة في أذنه وهي تمتصها:

- ده انت وحش رهيب.

انتهى من ثورته العارمة وجلس على طرف السرير يدخن سيجارته، بينما قامت ياسمين تصفر وهي في قمة النشوة والسعادة من هذه العاصفة الرعدية اللذيذة التي مرت على جسدها الناعم وكأنه استخدم مطرقته لبناء برج للسعادة داخلها!! وقالت له:

- طب ما انت حلو أهو وجامد.. أمال من شوية كنت عامل زي المجانين ليه؟! انت مالك؟ تعبان؟

- لا أبدًا أنا مبسوط على الآخر بس كنت بافكر في موضوع.. المهم كلميني عن نفسك انتي عيلتك فين؟

- إيه السؤال الغريب ده؟!

- يا ستي عادي بنتعرف مش يمكن اتجوزك؟

- تتجوزني؟! هو انت لسه عرفتني؟ عمومًا يا سيدي أنا عيلتي من أصل عريق، زمان يعني، بس أبويا كان فقير وما كملتش تعليمي، وهو مات وانا في إعدادي.

- يعني انتِ من أصل كويس مش عيلة واطية؟

- إيه يا صاصا الكلام البايخ ده؟ نحن بنات عائلات محترمات بس الظروف بقى.

«نحن بنات عائلات محترمات» جميع العاهرات يعرفن هذه الجملة.. ربما هي أول كذبة في التاريخ أو أول محاولة إنكار واقع، تمامًا كما يفعل الشيخ الآن على السرير، فهو بعد قليل سيذهب ليلقي محاضرته في أحد المساجد ويقول لنفسه: «أنا من أبناء عائلات محترمات».

وفجأة يقول أمام ياسمين:

- عارفة يا ياسمين.. محدش يعرف كده عني.. بس أنا وسخ.. وسخ قوي بجد.

- وماله يا اخويا مفيش أحسن من الوساخة.. قوم اتشطف قوم يا أسد.

رن جرس الهاتف فجأة وهو يدخن سيجارته، قال له حمادة:

- إزيك يا شيخ مصطفى؟ انت فين؟
- إيه.. اااا.. أنا في مشوار كده.. فيه حاجة؟ خلصت العملية ولا إيه نظامك؟
- كله تمام أنا استدرجت ناجي اللي عامل لي فيها ثوري ده عند كباريه الهرم زي ما قولت لي، وزمان العيال بتخلص عليه دلوقتي بالمطوة زي ما قولت لي عشان تبان قدام الرأي العام إنها خناقة قمار في شارع الهرم ونشوه سمعته.
- عفارم عليك وحلاوتك عندي.. عايزينها فضيحة بجلاجل.. الناس مالهاش إلا الظاهر يا حمادة حتى لو عاش طول عمره شريف.

تخرج ياسمين من الشقة بعد ليلة ملتهبة مثيرة ويخرج وراءها الشيخ صاصا.. أو «الشيخ أحة» كما يطلق على نفسه أمام نفسه فقط.. ويفكر في جملة: «نحن بنات عائلات محترمات».. كأنما هذه الجملة أحزنته بشكل فج لأنها ذكرته بحاله تمامًا أنه يتبع نفس أسلوب المقاوحة ويقول إنه شيخ وهو في الحقيقة لا يفرق أي شيء عن ياسمين..

خرج على قدميه لمسافة طويلة جدًّا وهو يفكر في حياته ويقلب بين صفحاتها بحزن وألم ويفكر في زوجته القديمة الخائنة ويتذكر هذا المشهد المروع الذي جعله ينتقم من كل امرأة ويهرب من شخصيته الأليفة كشيخ محترم لا يعرف عن الإرهاب شيئًا.. أما الآن فإنه أصبح إرهابيًّا متوحشًا نجسًا لا يعرف قيمة ولا رادعًا..

وفي أثناء دخوله الجامع.. وبالسخرية القدر.. هي نفس اللحظة التي يطعن فيها ناجي أمام كباريه الهرم.. عشر طعنات متوالية إلى أن سقط قتيلاً.. وسقط أيضًا في نفس الوقت الشيخ مصطفى أو صاصا على الأرض أمام الجامع.. أصابته أزمة قلبية حادة فارق على أثرها الحياة..

فكيف ترى الآن الحالتين أيها المجتمع؟

بعد عدة أيام على أحد المقاهي الشعبية، نادى أحد الزبائن على القهوجي وقال:

- واحد شاي يا ابني.. شوفتوا يا جماعة الشيخ ربنا يبارك له حتى لما مات

مات قدام جامع.. شهيد شهيد يعني.. راجل بركة ما عليهوش عيبة أبدًا في الجنة حدف.

قال القهوجي:

- مش الثورجي التاني اللي مات مضروب بمطوة قدام كباريه في شارع الهرم، تلاقيه عيل وسخ بيلعب قمار ولا بيشقط حريم، ما هم العالم دي كده ما تعرفش ربنا..

- عندك حق ياد، شوف يا أخي الشيوخ بتموت ازاي والثورجي مات ازاي، كل واحد خد اللي يستحقه.. كما تدين تدان.

هذا هو رأي المجتمع.. فما رأيك أنت؟ من الداعر في هذه القصة ومن الأمين والمحترم؟ ليس كل ما يلمع ذهبًا.. هذه هي الحقيقية في الحياة مثل الموت تمامًا..

قرأت ياسمين عنوان الصحف أمام كشك في الحارة وعرفت خبر موت صاصا الزبون الحار جدًّا وقالت لنفسها:

- سبحان الله ده كان لسه زي الأسد.. ويقول لك شهيد.. هي هي هي.

وخلاصة القول أن «البعض يموت عاهرًا ويحيي بذكراه طهرًا.. والبعض يموت بقدسيته ويحيي بذكراه عهرًا».

وأين هي الحقيقة إذن؟ ابحثوا عنها داخلكم فقط فهي غائبة عن هذا العالم منذ بداية الخلق..!!

شريف.. هوجان..

«في قلبي زهرة لا يمكن لأحد أن يقطفها».

فيكتور هوجو

قصة حازم وشريف وأيمن ليست مجرد حكاية، وإنما تجسيد لحالة مجتمع.. مجتمع قد تآكل بفعل عوامل تعريته.. نعم تعريته من الروح.. لحم على عظام أهذا ما يكونه الإنسان؟ أم روح على صدق؟

أم روح على يقين؟ أنا أرى لحم الإنسان بعيني المجردة.. ولكن ما يهمني روحه ببصيرتي المجردة..

تبدأ القصة في المدرسة الثانوية.. حازم طالب مجتهد له الكثير من الصداقات في الفصل، مهما كانت عيوبهم ولكنه يتعايش معهم بشتى الأشكال.. لا بد أن نتغاضى عن بعض العيوب وإلا سندفن وحدنا بادعاء كمالنا!!

شريف من أسرة فقيرة، أو أن شئت فقل أسرة معدمة، وهيهات أن أقول أنا هذه الجملة.. أؤمن تمامًا أن لا شيء يسمى «أسرة معدمة»، كما يقول بعض الناس.. كيف تكون معدمة؟ ربما فقدت الغذاء أو السكن أو كل شيء مادي، ولكن ماذا عن القيم الروحية؟ ماذا عن ابتسامة لطيفة لقرص الشمس في الصباح بدفقة أمل ضعيف؟ ماذا عن حنان على الأبناء وحضن يائس ونظرة متسمرة على رغيف خبز مقطوع بضحكة سخرية؟ ماذا عن علم مرفوع على سطح بيت من طين بلله المطر ولم يسقط العلم كما لم يسقط آخر حصن روحي؟

صدقوني لا توجد أسرة معدمة.. توجد فقط الأسر الفقيرة..

شريف لم ييأس قط.. كان صديقًا لحازم يستمد منه الأمل أحيانًا والعطف

أحيانًا أخرى.. كان شريف بقميصه المقطوع من أعلى الكتف علامة مميزة في الفصل.. البعض يسخر من قميصه اليومي المعتاد، والبعض يرثى له، والبعض يسميه «شريف قميص»، ولأننا نمل أحيانًا من الألقاب الكاذبة التي خلقها البشر فنحاول كسر التابوهات وإطلاق ألقاب جديدة نهرب بها من ألقابنا القديمة، فقد خلق شريف لنفسه شخصية كارتونية غريبة لمحاولة الهرب من لقب «شريف قميص»، ولكن ما اللقب الجديد؟ إنه «شريف هوجان»!! نعم إنه «هوجان» بطل المصارعة القديم.. ظل شريف لفترة يدخل الفصل في الصباح ويحيي كل التلاميذ ويلوح لهم بيده ويفتح بيديه القميص ويرمي لهم به أحيانًا ولكنه يسترده بالطبع في النهاية لأنه لا يملك غيره.. ظل يصيح ويدعي أنه بطل مصارعة.. وكانت روح المرح لدى التلاميذ في المدرسة الثانوية تساعده على هذا الخروج الآمن من اللقب القديم لأي لقب بطولة.. كان ينظر إلى حازم بفرحة وكأنه يقول: «انظر لقد كسرت لقبي، لقد أصبحت بطلاً في عيونهم ولو كانت بطولة زائفة».

أحيانًا نحتاج أن نعيش دور البطولة ولو في نظر شخص واحد، ولو عشنا حتى هذا الدور فقط في عيون من نعشق.. والحب هو أكبر دور للبطولة..

وأخيرًا وجد شريف في نفسه القوة المفقودة.. فالله قد خلقنا لنقتل المستحيل لا كي نراه..

قال له حازم في ارتياح مشوب بالحذر:

- شريف مالك؟

- أنا كويس يا حازم وعمري ما كنت كويس زي دلوقتي.

- لكن ده مش انت.. انت ليه بتعيش دور بطولة بعد انكسار؟ الأولى إنك تعيش مرحلة هدنة بين الاتنين.

- فاكر لما كنت بتقول لي إن توفيق الحكيم بيقول إن القوة طاقة موجهة. وإن الطاقة من غير توجيه مش قوة.

- أيوه لكن انت موجه طاقتك لإيه بالظبط؟

- أنا أقدر أصنع القوة من غير حتى طاقة.. أنا اللي شوفته في حياتي يخليني أقدر أصنع القوة من نظرة يأس أمي وقلة حيلة أبويا وجوع إخواتي.. أنا ضعيف لكن هاكون قوي.. في يوم من الأيام هاكون قوي.

وخرج شريف مرة أخرى وعاد يزأر كالأسد في وجه زملائه وسط موجات من الصياح منهم وكأنهم يقومون جميعًا بدور في مسرحية «حياة شريف»، يساعدونه ويمزحون معه باعتباره «هوجان» الذي يتهافت الجميع على أن يلمس فقط يديه.. أو أحيانًا يبالغ فيوقع لهم على دفتر المدرسة!!

لم تدم فرحة شريف طويلاً، فقد ظهر على السطح أيمن.. وهو قصير القامة، ولكنه داهية، كان ابنًا وحيدًا لشيخ عجوز كان إمام مسجد سابقًا.. لمعت عين أيمن وثارت الضغينة في صدره لرؤية شريف وهو في هذه الشهرة المزيفة، فالكل يسأل: «لمَ لم يحضر هوجان اليوم؟».. قال أيمن لنفسه: «سأحصل أنا على نصيبي الآن بسلاح أقوى.. إنها المتاجرة».

دخل أيمن الفصل ذات يوم وقال لأحدهم:

- إتاخر شوية يا أخي أنا مش عارف أقعد.

- وانا مالي شوف مكان تاني.

- اتقِ الله يا أخي ووسع لي مكان.

كانت جملة ونظرة أيمن غريبة عليهم.. «اتقِ الله».. بدأت الجملة ترهب الجميع وكأنها جملة سحرية جديدة على مسامعهم، أو لم يسمعوها بتلك الحدة من قبل، والنبرة المصرة العنيدة.. إن أيمن يمثل دوره وكأنه فعلاً يفهم جيدًا ويعي ما يقول، فبدأت الرهبة تسري في نفوس الجميع من «حضرة الشيخ أيمن» الذي بدأ يستخدمها كسلاح لتحقيق مصالحه الشخصية في الفصل..

وبالسخرية القدر، إذ رأى أيمن ذات يوم في الفصل بعض الطلبة يتداولون بمراهقتهم «مجلة سكس» فلم يغضب أيمن بل قال: «إديني المجلة دي واتقِ الله».. وأخذها أيمن ورآه شريف خلف شجرة يقلب في صفحاتها بشهوة

وشغف غريبين.. وعندما حاول شريف استعادة شخصية «هوجان» لم يفلح لأن أيمن قال لهم: «المصارعة حرام».

أقسم لهم شريف عدة مرات أن أيمن يقلب في صفحات المجلة وأنه لم يأخذها لكي يتقوا الله بل أخذها لنفسه في منزله. ولم يصدقوه بل قال أحدهم: «إن جاءكم فاسق بنبأ»..

«فاسق»؟ متى أصبح شريف فاسقًا وهو لم يفعل أي شيء يضر أصدقاءه من قبل؟ ما هذه النبرة الجديدة التي لم تسقط فقط شخصية «هوجان» الوهمية الخارجة من وحل الضعف والفقر، بل أسقطت نظرات التعاطف وأسقطت الرحمة فيهم وسادت نبرة السباب والتكفير والتفسير للدين حسب الأهواء والمطامع؟!

قال حازم لشريف:

- شريف.. حاول تبعد عنهم الأيام دي.

- إيه اللي حصل يا حازم.. ازاي سحرهم أيمن؟

- زرع الوهم في دماغهم لتحقيق مصالح.

- لكن الدين مش وهم.

- احتكاره للدين هو الوهم مش الدين نفسه.

- لكن ده بقى بيحركهم بإشارة منه، ده كأنه سحر عقولهم.

- والدين حكمة عقول مش سحر عقول وخداع قلوب.

- أنا لازم أفوَّقهم.

- انتهى الأمر يا صاحبي.. مش هيفوقوا دلوقتي.. الخداع أقوى بكتير من الحقيقة، لأن الحقيقة محتاجة بحث عنها، إنما الخداع بنتنفسه حوالينا من كل البشر..

- يعني قوة الخداع في انتشاره؟ زي قوة الدين في انتشاره؟ زي قوة الشمس في انتشارها؟ كل شيء بينتشر بسهولة قوي؟

- الحاجة اللي بتحتاج بحث عنها هي الأضعف، لكن لما بتلاقيها بتبقى هي

الأقوى وبتقتل انتشار الكذبة.. زي الكنز طول ما هو مدفون محدش مقدر قوته، لكن لما بتلاقيه بيكون مفيش قوة تضاهيه ساعتها.. الناس ليها اللي شايفاه..

- معنى كده إنهم مش عارفين الحقيقة طالما بيتكلموا كلام واحد بشكل تلقيني غريب.. هم لسه ما وصلوش للحقيقة؟

- لو وصلوا للحقيقة كانوا اختلفوا واختلافهم رحمة.. إنما طالما هم مبرمجين كده تعرف إن دي كذبة.

- بس الفتوحات الإسلامية زمان كانت بالإجماع على حقيقة واحدة وعلى قلب رجل واحد.

- أيوه دول فعلاً لقوا الكنز الحقيقي مش مجرد مبرمجين على حاجة واحدة، بل إنهم كانوا بيختلفوا ولكن اختلاف برحمة واحترام.. دول فعلاً لقوا الحقيقة ولقوا الكنز، إنما دلوقتي اللي بيحصل إن الكنز مدفون والكذبة منتشرة.

فجأة يدخل مدير المدرسة، يقول لشريف:

- شريف.. تعالى هنا.

- أيوه يا أستاذ.

- هات شنطتك دي.

- اتفضل.

يقوم المدير بتفتيشها ويجد «المجلة الإباحية» التي كانت مع أيمن، والتي دسها له في حقيبته ليضعه مثارًا للشبهات وضحية للقيل والقال. قال المدير:

- زي ما توقعت.. زي ما قالولي.. انت اللي بتوزع الحاجات القذرة دي على الفصل.

رد شريف «مندهشًا»:

- إيه ده؟! إيه اللي جاب دي هنا؟ والله مش بتاعتي صدقني دي بتاعة أيمن.

- أيمن؟ بقى أيمن بأخلاقه هيعمل كده برضه؟ تعالى معايا.

نظر شريف بغضب إلى أيمن وهو يخرج من الفصل، بينما ابتسم «الشيخ أيمن» وقال لأصدقائه:

- عشان ما بيتقيش ربنا.

ولأول مرة رأى حازم شريف يبكي بعد انتهاء اليوم الدراسي.. لأول مرة رغم الفقر والجوع الذي حاصره مع عائلته لسنين طويلة، لكن حازم عرف حينها الحقيقة «أن القهر أقوى ألف مرة من الفقر».. عرف أن شريف كان مقهورًا جسديًّا بالجوع والعطش، ولكن قهر الروح وتكبيلها هو القهر الحقيقي الذي يقتل البشر..

تفرقت بهم السبل بعد المدرسة وذهب كل منهم في طريق وجامعة مختلفة، حازم في مكان وأيمن في مكان، إلا أن شريف لم يكمل تعليمه بسبب الفقر والحاجة والحرمان..

سنوات طويلة باعدت بين الأصدقاء كما هي عادة البشر الذين جعلوا من السنوات والأيام حاجزًا ونصبوها ملكة عليهم رغم أنها مجرد أرقام.. واستغلت السنوات قوتها في تاريخ البشر ولم ترد لهم الجميل بل فرقت بين الأحبة وفرقت بين الأصدقاء ولم ترأف بهم إلا في يوم واحد في العام يحتفلون به وهو يوم ميلادهم.. جعلت لهم يومًا واحدًا يهربون من قوتها وقسوتها، وإن كانوا يحتفلون بها في نفس الوقت!! إن الأيام والسنوات ستبقى أبد الدهر أقوى من البشر..

دعونا نرجع لأيام الثانوية.. ما الذي جعل أيمن، كما يقول البعض، «يلعب بالبيضة والحجر»؟ إن أباه هذا الشيخ العجوز المتقاعد كان أيضًا ضحية القهر وليس فقط شريف، كان الشيخ والد أيمن دائمًا ما يسجن في نظام مبارك البائد.. دائمًا كان أيمن يبكي كل ليلة لأن والده مسجون بغير تهمة معينة.. ودائمًا كان في زنزانته يتشوق لرؤية ابنه أيمن وفرقتهما الأسوار العالية..

إن الصراع الدائر في الثانوية كان صراع القهر المولود من القهر، والقهر المولود من الفقر.. إنهما رافدان لنظام بائد فاسد.. الفقر والقهر.. كان صراعهما في

كل مكان.. ينتشر انتشار النار في الهشيم..
وسقط نظام مبارك.. وقابل شريف حازم بالصدفة بعد فترة، وما زلت نظرة الحزن في عينيه من أفعال الزمان، قال حازم:
- شريف؟ إزيك؟ وحشتني جدًّا.. انت فينك يا راجل؟ والله سألت عليك كتير ماعرفتش ألاقي لك مكان.. انت بتعمل إيه هنا؟
قال شريف «في انكسار»:
- إزيك؟ وحشتني يا صاحبي والله ليك شوقة.. أنا باقدم الشاي والقهوة.. يعني وظيفة على قدي.
وما أشبه اليوم بالبارحة.. ما زالت في أكمام قميص شريف نفس القطعة الممزقة.. وكأن سقوط مبارك لم يصلح قطعة القميص الممزقة.. شريف الذي ترك الدراسة بعد الثانوية الآن يقدم الشاي والقهوة وما زال في النظام الجديد هو نفسه في النظام القديم..
قال له حازم «في إحباط»:
- الثورة ما غيرتش حاجة يا شريف؟
- بص لقميصي.
- قميصك ده طاهر يا شريف.. انت عمرك ما عملت حاجة غلط في حياتك.. انت عايشها بكرامة.
- أرفع راسي فوق أنا مصري؟
- دي مش مجرد شعارات يا شريف صدقني، هاييجي اليوم اللي هتلاقي فيه الكرامة والعزة ليك ولعيلتك ولمصر كلها..
- النظام الجديد ماعملش حاجة.. وأقول لك مفاجأة.. فاكر أيمن؟
- آه أيمن.. الشيخ أيمن الكداب.. ما له؟
- بقى صاحب قناة دينية دلوقتي وغني جدًّا من بيع المنتجات وبيع الكذب.
- أيمن بتاعنا؟ يا دي المصيبة.. البلد كلها بقت خراب ذمم.
- هي البلد دي خرجت من قهر مبارك لقهر جديد؟

- الظاهر كده يا شريف..
- ليه الظلم مكتوب؟
- لأن النور كمان مكتوب، ولكن كل حاجة ليها وقت ده قدر.
- وليه قدري الحرمان؟
- اثبت يا شريف.. بالصبر والإيمان نقدر نخلي القدر صوتنا بدل ما نكون صوته.. هو هيسمعنا صدقني وربنا معانا.
- أنا مش عايزك تضيع مني تاني.. هات رقم تليفونك.
- طبعًا يا شريف لازم نتقابل تاني زي زمان.

٣٠ يونيو ٢٠١٣، في مكالمة تليفونية بين شريف وحازم:

- شوفت اللي بيحصل يا حازم؟ الناس كلها خرجت تخلي القدر صوتها.. الناس كلها بتتمرد على الكدب والقهر.. القهر بتاع أيمن زمان اللي كذب علينا باسم الدين.
- أيمن ده مش شخص واحد يا شريف، أيمن ده نظام وطريقة تفكير قذرة مخادعة موالية للشيطان في تحقيق المصلحة الفردية.
- الشعب مش هيسكت، أنا مش هاسكت، أنا رايح عند المقطم.
- شريف.. لأ ما تروحش عند المقطم.. ما تروحش عند المقطم.. أنا سامع إن هناك مشاكل.. خليك عند الاتحادية.. خليك مع السلميين بلاش المشاكل هناك.. أنا خايف عليك منهم.
- مش قادر يا صاحبي.. مش قادر أفضل هنا أنا مخنوق من سنين أنا ماشي مع السلامة.
- شريف.. شريف ما تقفلش الخط.. أرجوك أنا خايف عليك.. شريف شريف.

وأغلق شريف الخط، وأُعلن سقوط عدد من الضحايا أمام مقر الجماعة بالمقطم ووجدوا جثة شريف.

حازم يبكي ويقول لنفسه أمام الجثة:

- بنفس القميص.. بنفس القطع في القميص.. مات شريف.. مات شريف يا عالم ضحية لإيه؟ هو نفسه مش عارف كان ضحية إيه.. ضعفكم ولا كذب الأنظمة ولا ضحية أيمن وأمثاله من الفجرة في التدليس..

شريف انت هتموت بكرامة زي ما عشت بكرامة.. عشانك انت يا شريف كلنا هنفوق من الأفاكين والكدابين وتجار الدين.. ومش هاسيب حقك.. والله ما هاسيب حقك لآخر يوم في عمري.. يا صديقي المخلص..

وأعلن الجيش البيان.. وصرخ حازم في التحرير.. وخلع قميصه ورماه لبعض الحضور في أثناء الاحتفالات وإطلاق الصواريخ.. والغريبة أن صوته كان يخترق كل هذه الأصوات، بل وصل إلي عنان السماء.. صوت حازم الهادئ الرزين الذي خلع قميصه كان أعلى من الألعاب النارية وصراخ كل المحتفلين بالنصر على الكذبة ونظام الخديعة.. هل عرفتم لماذا؟

إنه «هوجان» الجديد.. إنه الآن روح شريف.. ولكن أين هو أيمن الآن.. مطلوب للتحقيق.. قال حازم لنفسه:

- مطلوب للتحقيق؟ إنه لا بد أن يحاكم مرتين.. لأنه كذب باسم «اتقاء الله» ولم يتقِ الناس قط ولم يحسن معاملتهم.. إنه الشيطان بزي الملائكة..

عرف حازم هذا الخبر من مكالمة تليفونية في التحرير على هاتفه ثم صرخ مرة أخرى ورمى قميصه وهو يحيي الناس ويصفق.. ويقول:

- أنا هوجان.. أنا هوجان.

وتتساقط الأنظمة الفاسدة كأوراق الخريف.. وفي انتظار نظام يعيد البسمة لوجه شريف في قبره.. في انتظار نظام لا يصنع بطولة هوجان الزائفة كهروب من القهر، بل نحتاج نظامًا يصنع القوة الحقيقية بداخلنا، ويحقق لنا حلم السنوات ويرد مصر لأحضان المصريين..

النحلة والقواد والوحيد

«الوحدة هي رحلة الوصول لقلب الحياة.. بعقل المستحيل..
هي أن تعرف أخيرًا أن من يستحق أن يعيش معك في عالم واحد هو أنت.. أنت فقط..
أن يتوحد العالم مع خالق العالم.. فأنت صانع عالمك..
هي أن يضع الجميع لحياتهم هدفًا.. بينما يصبح هدفك الوحيد هو الحياة.. بجنونها وأنانيتها».

الشخصيات الرئيسية:

- الوحيد
- القواد الروسي
- قواد مغربي
- امرأة مجهولة
- النحلة الراقصة

طفل صغير يلهو.. اسمه «الوحيد».. نحلة يعقد جناحيها بشكل تعذيبي لتمر من طرف السرير إلى الطرف الآخر على حبل رفيع.. يظن ما يفعله أحد ألعاب السيرك.. ما أمتع أن ينقل الطفل السيرك إلى منزله.. ولكن النحلة

تتعذب..
النحلة تقول: «هذا فعل بشري إجرامي»، والطفل يلهو للمتعة.. النحلة تسير بصعوبة على أطراف الحبل تحاول أن لا تسقط كي ترضي غرور هذا الطفل العابث لعله يطلق سراحها حتى لو كانت ستطير بنصف جناح..
ولكنها تقف في نصف الطريق وقد أنهكها الطريق.. وهذا الطفل السادي المجنون في نظر النحلة يلهو ويصفق ويرقص..
بعد ثلاثين عامًا، قال هذا «الوحيد» لنفسه:
- كيف أكفر عن ذنبي؟ كيف أعتذر إلى تلك النحلة.. صدقيني أيتها النحلة لم أكن أعي ما أفعله.. بلغيها أيتها الزهور، قولي لها أنا ما قتلت ذيلها قتلاً للحرية.. أنا عاشق للحرية.. ولكني لم أكن أعي حينها ما أفعله ولم أكن أبحث إلا عن المتعة.. وقد أخذتني المتعة من الحياة.. وقد أخذتني المتعة حينها من الحياة..
فكر قليلاً وتدبر جملته وقال مرة أخرى: «أخذتني المتعة من الحياة»..!!
هذه الجملة التي ظل يرددها وهذه النحلة هي بطلة القصة ربما أهم من «الوحيد» ذاته!!
يوم حار جدًّا من أيام الصيف.. القيظ يغلي رأسه في مرجله والأرض تدور حول نفسها وحول جنون النساء في هذا المكان.. من هو؟ هو «الوحيد» بطل هذه القصة.. ربما كانت وحدته سببًا في أن تتابعوا قراءة القصة، وربما جعلتكم تفكرون في وحدتكم.. إنها العزلة يا صديقي التي ألهمت شعراء وأدباء ومجانين في هذا العالم.. إنها العزلة التي لا تذكرك بما تفعل أو كيف تفعل ولكنها تذكرك دائمًا لماذا تفعل..
إنها العزلة التي رآها في عين القواد وعين امرأة كاذبة تتهرب من وحدتها.. إنها الوحدة التي رآها في هذا اليوم الحار كما لم يرها من قبل.. شفافة تزداد حركتها رشاقة وميوعة كخطوة تلك الغجرية أمامه الآن..
خرج في المدينة المجهولة.. مدينة الشياطين.. كأنما رأى «إسباسيا» تسير

عارية.. تلك العاهرة الإغريقية صاحبة المبادئ.. العاهرة التي لم تلوث سمعة العاهرات.. وهل للعاهرات سمعة تلوث؟! ربما.. إنه كود الشرف حتى ولو في مهنة القواد والعاهرة.. ربما كن يحافظن على سمعتهن أيضًا مثل البشر في بعض الأوقات.. ربما كان القواد أشرف من بعض السياسيين لأنه يعرف الرذيلة قبل أن يتاجر فيها.. بينما لا يعرف السياسي الفضيلة قبل أن يتاجر بها!!

ربما رأى الإمبراطورة «ثيودورا» العاهرة التي أصبحت إمبراطورة في إحدى حقب التاريخ.. ربما رأى «كورا بيرل».. ربما رأى نفسه في لحظة واحدة يحدث أشهر العاهرات ويكلمهن عن نفسه.. يا صديقي إن مصارحة العاهرات أفضل وأشرف من مصارحة امرأة كاذبة.. فالعاهرة ستحفظ هذا السر ولن تعبأ به في بعض الأحيان.. بينما لو حدثت امرأة كاذبة فربما أصبح سرك مصدر سخرية لبلاط سلطانها الجديد..

جلس وحيدًا.. منضدته خالية إلا من قبعة لا يعرف صاحبها.. ومطفأة سجائر.. وفجأة تظهر الشخصيات الواحدة تلو الأخرى كما يحدث على خشبة المسرح..

«هل ما زلت تجلس وحيدًا يا صديقي؟» من هذا؟ هو لا يعرفه.. لماذا قال له يا صديقي؟ أهي حالة وحدة يخدع بها نفسه ويحاول أن يضع العالم كله في إطار حلقات صداقاته الخيالية؟

كان يتحدث بالإنجليزية بعد أن حدثه في البداية بلغة لا يعرفها، ولكنهما وجدا الإنجليزية هي الأقرب لهما وبدأ الحوار، قال له «الوحيد»:

- أهلا.. نعم ما زلت وحيدًا هنا.. هل تعرفني؟

- كل منا يعرف الآخر هنا.. كلنا في مكان واحد.. مكان ضيق واحد.. أشبه بالأصدقاء..

- ربما.. ولكن دعني أتشرف بمعرفتك.

- هل ترى هذا المبنى في الخارج.. أنا صاحبه.. إنه كما يسمونه المبنى الصحي

يا صديقي.. ربما للبعض صحي وربما للبعض هو عين المرض.. إذا كنت تعرف ما أقصد.

نظر خلفه إلى المبنى الذي يشير إليه.. إنه النادي الصحي كما يطلقون عليه.. مكان للجمانيزيوم والمساج، وبعض الممارسات المشبوهة أيضًا.. من نظرة عينيه عرف أن هذا ما يقصده تحديدًا من تلك الغمزة الغريبة.. قال له «الوحيد»:

- وربما كانت سعادة البعض أو شقائهم.

- مصدر السعادة الوحيد في الداخل..

- لا يوجد مصدر للسعادة وحيد.. إنها كالشلال المتدفق تعتمد على رغبتنا في ملء الدورق الذي أعطته لنا الحياة.. إنها مسألة رغبة في السعادة.. السعادة قبلة العالم ولكنها تنادي كل يوم: أين المصلين؟ حسب وجهة نظري.

- مهنتي هي السعادة.. هي ما يطلبه العالم بإطار شرعي أو غير شرعي هو نفس الهدف..

- اسمح لي ربما اعطاها الإطار الشرعي وقارًا..

قال ضاحكًا:

- أي وقار تقصد في ألعاب السيرك؟

- ولماذا شبهت الجنس بألعاب السيرك.

- إنه لذة الحياة.. إنه معجزة الله.

- الله له معجزات كثيرة جدًّا.. يكفي خلقه للجما.

- من معجزاته أنه خلق العالم في أيام؟ إذًا اسمح لي يا صديقي أنا أخلق لك العالم في ساعة.. عالم السعادة.

قال «الوحيد» لنفسه:

- أستغفر الله.. هذا الرجل غريب ومختل قليلاً..

- هل تقول شيئًا؟

- لا لا سيدي أنا فقط أستوعب ما تقول.

- دع جسدك يستوعب ما تقوله هذه الفتاة..

تدخل إلى المشهد «ميدوسا».. نعم شبهتها برأس «ميدوسا».. تلك الأسطورة الغريبة عن «ميدوسا» التي كانت تحول الناس لتماثيل من حجر بنظرة، ولكنها ليست مثل الأسطورة برأس تخرج منه الثعابين ولكنها برأس تخرج منه أفكار الثعابين. قال «الوحيد»:

- من هي.. يا إلهي إنها مذهلة.

- إنها ابنة روحي.. هي عصب مهنتي وأقربهن إلى نفسي.

- هل هي تمارس الـ..

قاطعه قائلاً:

- لا لا بالطبع، لقد وضعت لها قالبًا خاصًا بها، إنها فقط قادرة على جلب الزبائن، ولكنها أقدر وأبرع من أن تكون هي المتعة نفسها.. لأنها روح المتعة.. إنها الروح وليست الجسد.

- إنها جميلة كالجنون اسمح لي.. إنها لا تقاوم.. إنها أشبه.. أشبه.. بالشيطان في جسد امرأة..

يقول ضاحكًا:

- الروسيات لا يقاومن.. أراك لا تقاوم الآن.. أين الإطار الشرعي الذي كنت تتحدث عنه في العلاقات؟

- أنا فقط أبدي رأيي في هذا الجمال الدامي المتوحش.. ولكني لا أقع يا سيدي بتلك السهولة.. إنها مسألة مبدأ.

- ولكنك وحيد.

- نعم لم أتزوج.

قال في تهكم:

- أرجوك لا تقل لي أيضًا إنك «فيرجين»؟

- نعم.. ولمَ لا فأنا أتبع تعاليم..

قاطعه قائلاً:

- أرجوك لا تقل لي تعاليم الدين... الدين لا يحرمنا من السعادة.
- سيدي إنه لم يحرمنا منها ولكنه أشبه بمن قننها أو وضع للسعادة أطرًا.
- هراء هراء.. لا توجد أطر للسعادة، إنها معين لا ينضب..
قال «الوحيد» في نفسه:
- كجمال تلك الفتاة هناك..
- أراك مسحورًا.. هل لك الرغبة الآن؟
- في ماذا؟ أنا فقط أستمتع بالجمال.
- الجمال يذوب على أطراف الأَسِرة.. تستطيع أن تصوغ منه الذهب.
يقول «الوحيد» ضاحكًا:
- وماذا عن الجمال الداخلي.. الروح؟
- آاااه.. هراء.. أراك تتحدث كالفلاسفة المخبولين أو من يؤمنون بالأساطير.
- الروح أسطورة؟
- والجسد هو الحقيقة الوحيدة والسعادة الوحيدة.
الإغواء.. كانت ليلة اكتمل فيها قمر الإغواء ونجوم الشبق وأساطير الجمال.. حوار غريب.. صدفة غريبة تجمعه بأول قواد يقابله.. ولكن الطريق مفتوح لمزيد منهم وجنسيات مختلفة لحوار أشد متعة وأكثر إثارة..
ما زالت الغريبة بوشمها على الكتف اليمنى على شكل حروف صينية غامضة كعيونها.. مريبة كخطوتها.. تحدث الجميع عن أن المساج في الداخل في الغرف الحمراء ذات الموسيقى المثيرة هو الأفضل لهم وهو السعادة.. أو هكذا علمها الأب الروحي لها الذي يجلس بجانب «الوحيد»، قال له:
- كلما قمت نسيت قبعتي هنا.. دعها معك حتى آتي لنفسي بكأس أخرى.. هل تشرب معي يا صديقي؟
- عفوًا أنا لا أشرب.
- وكيف أحصل على نخب معك إذًا.. إنك ساعدتني على القيام من فوق الكرسي المتحرك.. إنك إنسان جيد تساعد رجلًا عجوزًا.. لا بد أن أشرب معك

ربما تضرب بيديك على الكأس ما دمت لا تشرب.
- حسنًا سيدي.
وضع «الوحيد» أصابعه قرب الكأس وطرق عليها ثلاث مرات ثم أشار القواد بكأسه للأعلى وغنى بلهجة روسية وأشار له:
- في صحتك.
دخلت إلى المشهد امرأة أخرى.. إنها ملفوفة برداء أحمر طويل يحركه الهواء من بعيد فيكشف عن ساقين من بلور.. تجلس معهم على المنضدة نفسها فالمكان مزدحم جدًا..
يقول لها القواد بجرأة:
- هل أنتِ وحيدة؟
تعجبت هي من السؤال ونظرت إليه وقالت:
- لا سيدي.. إنني أنتظر صديقًا.
قال للوحيد وهو يغمز:
- إنها وحيدة أيضًا.. ربما تريد مساجًا أو ربما تكون صيدك الليلة.
- سيدي أنا لا أصطاد المرأة ولا أحترم كلمة الصيد في العلاقات.. لا أحترم امرأة تصطاد قلوب الرجال ولا رجلاً يصطاد قلوب النساء لقد طرد الحب كلمة «الصيد» من رحمته.
- لا تحترم المومس؟
قالت هي في دهشة:
- عن ماذا تتحدثان تحديدًا؟
- إنه يتحدث عن حالات الصيد.. «بلاي بوي».
قالت في حدة:
- إنهم أوغاد.. إنهم ملاعين هذه الأرض.. يظنون القلوب زجاجة خمر يلقونها متى انتهوا منها.. هؤلاء السكارى البُلْه.
الآن فقط عرف «الوحيد» أن لهذا القواد نظرة.. إنها وحيدة.. نعم وحيدة

جدًّا.. ظهر هذا في فلتات لسانها ولعنتها لجنس الرجال بشكل غريب وسريع وغير متردد.. قالت لـ«الوحيد»:

- أنت مصري إذًا.. كيف ترى هذا البلد؟

- إنه جميل، ولكني ما زلت لا أعرف كل الأماكن فيه..

- هل تريد أن أوجهك لأماكن المرح؟

قال الوحيد في تردد:

- ربما ولكن ليس الليلة.. فأنا سأنتظر وأرى هذا الفرح هنا، فكم أحب هذا النوع من الموسيقى في بلادكم.

- قريب منك.

- قريب من موسيقى بلادي.

دخل إلى المشهد أخيرًا.. عربي.. أول عربي يراه في هذا المكان الجديد رغم أن المكان السابق كان يكتظ بالعرب، ولكن في هذه البلدة لم يرَ عربيًّا واحدًا وفرح الآن برؤيته..

قال له العربي:

- كيف حالك.. أعرف أنك من مصر، كنت أجلس إلى الطاولة المقابلة وسمعت أجزاء من الحوار..

- نعم وأنت؟

- الأردن.

- فرصة سعيدة.

- لماذا تجلس مع هذا الرجل؟ أراك معه منذ أكثر من يوم.. من هو؟

- إنه باختصار يحاول أن يدعو الجميع للمساج وخباياه وأسراره في الغرفة السرية تحت هذا المبنى وأشياء أخرى.

- قواد؟

- باختصار قواد.

قال القواد:

- ماذا تقولان أنا لا أفهم العربية.

رد عليه «الوحيد»:

- لا شيء سيدي.. إنه صديق عربي أتحدث معه.

- هل يريد شرابًا؟

- يقول لك هل تريد شرابًا.. إنه يدعوك إلى النبيذ أظن أنك لن تشرب.

- أستغفر الله.

- سيدي إنه لا يشرب.. مثلي.

قدم التحية وخرج من المشهد ودخل عربي آخر.. مغربي الجنسية.. قال لـ«الوحيد»:

- أهلاً حجي كيف حالك؟

- أهلا بك يا عزيزي.

- هل تعرف هذا الرجل العجوز بجوارك؟ أستطيع أن أتغلب أنا عليه.

- في أي شيء؟

- في السعر الذي يقدمه لك.

- أنه لا يقدم لي أي سعر.. كان يحاول التفاوض ولكني رفضت.

- وكيف ترفض الجنة يا عمو؟

- ربما أرى الجنة في مكان آخر.. وهكذا الدنيا كل يرى الجنة حيث يريد.. وحيث يعرف كيف يستمتع.

- أنت إذًا لن تسمع عرضي؟

- قل ما عندك ولكني لن أهتم..

- لدي الروسيات والرومانيات وكل الجنسيات.

ضحك «الوحيد» وقال:

- يا لك من محظوظ.. ولكني لا أهتم صدقني.

قالت ذات الفستان الأحمر:

- ماذا يقول لك هذا الشخص؟

- لا تهتمي إنه فقط يعرض علي عرضًا.

قالت «مبتسمة»:

- العروض هنا كثيرة جدًّا..

- وما زال عرضك هو الأفضل.. إنه عرض جولة في أماكن لا أعرفها.

- شكرًا لك وأتمنى أن تقبل دعوتي.. سأذهب الآن لمقابلة أحدهم.

- حظ سعيد يا عزيزتي.

خرجت تدور بالهاتف في يدها وتضغط على الجهاز لمحاولة إجراء مكالمة وهمية تظهر بها للقواد أنه لم يفهمها وأنها ليست وحيدة.. ولكن كانت النتيجة مخيبة للآمال.. إنها وحيدة.. وحيدة جدًّا.

يظهر الآن في المشهد ابن القواد.. ملابس غريبة بألوان أغرب.. ويقول لـ«الوحيد»:

- شكرًا على مساعدتك لوالدي.

- إنه واجب.. لا تهتم.

- أنت إنسان محترم.. ألا تريد مكافأة؟

- مثل مكافأة والدك أم مختلفة؟

- إنها أقيم وأقوى وأكثر شبابًا.

- صدقني المكافأة بالنسبة لي لها معنى آخر.

- وما هو؟

- الحب الصادق والصداقة الحقيقية.

قال «ساخرًا»:

- هذا في الجنة فقط يا عزيزي إننا على الأرض.. دعني أقدم لك المكافأة أرجوك.

أشار إلى واحدة من آلهة الإغريق خلف مقعده.. قال «الوحيد» متعجبًا هامسًا لنفسه:

- ذهب الجمال إلى العاهرات؟ ماذا تبقى للأرض؟

- ما رأيك؟

قال «الوحيد» بسرعة وهو يشير إلى والده وأناس حوله:

- انظر إنه والدك على الأرض هناك..

- سيكون بخير فهو يشرب كثيرًا كما تعلم وأحيانًا يسقط.. إنه ليس سعيدًا منذ أن حدث الانفصال قديمًا..

- وحيد؟!

- وحيد جدًّا.

نعم هي الوحدة.. سبب الكأس المستمرة وسبب الابتسامة غير المكتملة.. هذا الرجل في رحلة بحث عن الجمال، ولكنه فقد رحلة بحثه عن الحب.. إنه الفرق المذهل بين الرحلتين..

رحلة الجمال هي رحلة البحث عن آلهة الجمال.. بينما رحلة الحب هي رحلة بحث عن جمال الله.. إنه الفرق بين البحث عن الجمال فقط والبحث عن الحب.. ورحلة الحب هي أعظم رحلة.. إنها رحلة الحياة.. وليست مجرد رحلة حياة..!!

والوحدة تحدد مصير كل منا.. قبل أن تصبح هي نفسها المصير والنهاية المستمرة..

وبدأ العرس في المكان.. عرس في مكان مفتوح يشهده الجميع ودخل العريس وصفق كل من في القاعة.. وبدأوا في تشغيل عدد من الأغاني الأجنبية قبل أن يشغلوا عددًا من أغانيهم المشهورة..

قاموا جميعًا إلى المكان.. جلس القواد المغربي يائسًا لا يستطيع الحصول على زبون اليوم.. بينما ذهبت الفتاة الغريبة التي ادعت انتظارها صديقها، وذهب القواد العجوز بعد أن أفاق من إغماءة بسيطة وذهب معهما «الوحيد» إلى العرس المجاور..

رقص بكأسه وقال:

- في صحتك يا صديقي..

ورقصت الفتاة وهي تخلع حذاءها على عشب الحديقة الواسعة..
ووقف «الوحيد» يصفق للمشهد ويصطف المكان ويمتلئ بأصدقاء القواد من العاهرات وغيرهن..
وأقول لكم.. صدقوني إن «الوحيد» قد تعب كثيرًا وعانى في تلك الليلة.. تعب تمامًا كما تعبت النحلة في نصف الطريق ولم تكمل..
عرف أنه لم يصل إلى العسل.. مثل تلك النحلة.. شيء ما قد قطع جناحيه ورقصه على حبل مربوط..
شيء ما في نظرة تلك الفتاة إلى حذائها الملقى بعيدًا وكأنها تفتقده.. إنها وحيدة تفتقد كل شيء وأي شيء..
شيء ما في نظرة هذا القواد إلى عاهراته وكأنه يقول لهن: «لا تكونوا مثلي في يوم ما.. حاولن الهروب من الوحدة».
وشيء ما في نظرة هذا الوحيد إلى المشهد كله وكأنه يقول: «إلى أي مصير أكون.. وإلى أي قدر أذهب؟».
ولكن كانت هناك نظرة لهم جميعًا لحظة بداية العرس.. نظروا إلى نظرة العروس إلى العريس وهي مليئة بالسعادة..
تُرى هل هي الحقيقة الوحيدة في تلك الليلة المزيفة؟
تُرى هل غيّر «الوحيد» معتقداته في تلك الليلة المليئة بالإغواء والجنون والشجن؟
وردد جملته القديمة وقال: «أخذتني المتعة من الحياة».. ثم قال بحزم: «بل الآن فقط أخذتني الحياة من المتعة»..
كل المتعة كانت حوله ولكنه ظل يفكر في الحياة.. أخذته الحياة من المتعة..
وكأننا لا نعرف معنى الحياة الحقيقي إلا عندما يكتمل إغواؤها.. حينما يوجد المال والنساء وكل شيء حولك في لحظة..
إننا البشر لا نعرف الحقيقة إلا حينما يجتمع حولنا كل عناصر البعد عنها..
ولا نعرف الطريق إلى الحياة إلا عندما يكتمل في أعيننا الطريق الخطأ..

قطف زهرة وقال لها: هل اعتذرتي للنحلة الراقصة عن أني حرمتها من صنع العسل؟؟

وما زال المعنى في عقله فقط.. وما زلت تلك الليلة هي أكثر الليالي تأثيرًا في حياته وربما في مصيره القادم.

Femme Fatale

حكاية تدور في السماء تارة وفي الأرض تارة أخرى.. حكاية للرغبة والقدرة والذكرى والموت..

إنها قصة «رغدة وآدم»..

في منطقة وسطى بين السماء والأرض قال ملاك لشيطان:

- لماذا فعلت به فعلتك؟ قل لي لماذا؟ لقد بدأ ينساها منذ فترة.

- هل هذا ما تعتقده حقًّا؟ إنه لم ينسها ولو ليوم واحد، ووظيفتي الآن أن أعيده للتفكير فيها مرة أخرى.

- ولكن لماذا.. لقد تزوجت الآن ولم يعد بمقدوره إلا أن يتأمل ويتألم.. هل هذا ما تريده على الرغم من أنه مخلص لك على الدوام؟

- إنه مخلص في النزوات والرغبات ولكن ما أرغب به وما أنا متشوق إليه الآن هو.. «جريمة».

- أعوذ بالله منك.. إنك أحمق من رأيت طوال حياتي.

يقول الشيطان ضاحكًا:

- فقط لأنك تعيش في السماء.. انزل إلى الأرض وستعرف ما هي حماقة البشر..

في أحد المسارح في الإسكندرية:

آدم: آه يا لصعوبة هذا المشهد لقد أعدناه عشرات المرات..

المخرج: التركيز يا آدم.. أراك اليوم دون تركيز على الإطلاق.

آدم: أمر بظروف صعبة هذه الأيام اعذرني..

المخرج: استراحة.. لا تعد إلا بعد أن تهدأ أعصابك تمامًا.

يخرج آدم من المسرح ليستنشق هواء الإسكندرية النقي.. عاش آدم أيامًا

حالكة منذ أن انتهت قصته مع رغدة منذ عدة أعوام.. وهي التي طغت واقعيتها على رومانسيته وطغت بسلطانها على جبروت هيامه..
لم تكن الشخصية الأقوى ولكن الحب هو الذي جعلها في نظره أقوى النساء جميعًا.. إنها كما يقول مثل الجملة الشهيرة: «Femme Fatale»
جعلها العشق تظهر له بقوة السماء.. لدرجة التعبد.. كان يكرر لنفسه الجملة ويقول: «مع رغدة ذلك أفضل بكثير»!!
رغدة كانت ملحمته العشقية الخالدة.. كان ذليل الهوى وكان يؤمن أمام عينيها أنه يتقمص شخصية «أوفيد»، ويقول كما قال: «لا تمتزج الكرامة بالحب جيدًا، ولا يستمران معًا إلا لفترة قصيرة».
نعم لا يمتزج الحب بالكرامة جيدًا كما قال أوفيد.. إنه لا يعرف أمام رغدة سوى أن الحب ذل وقهر وعذاب وموت.. رغم أنه عاش طوال عمره يريد أن يرى الحب الذي يتحدث الناس عنه على أنه هو الحياة أو هو النعيم الأبدي.. هو جنة الله على الأرض.. ولكن حدث ما لا يحمد عقباه ووقع في عذاب الحب ولم يرَ نعيمه إلا في نظرات عينيها..
يجلس أمام الشاطئ ويكرر نفس الجملة «Femme Fatale»..
إنها الشخصية الأقوى.. لجمالها هيبة.. ولرموشها وقار ملوك وملائكة.. ولحضرتها معين دفء لا ينضب.. إنها مثل شخصية بطلة رواية «Venus in Furs».. قوة بركانية هائلة من الأنوثة.. مثل «سحر الفودو» أو أقوى تأثيرًا.. إنه السحر الأخضر مثل عينيها، ولن أقول إنه سحر أسود..
ولكن من هو خالد؟
خالد كان زميله منذ الطفولة.. في مرحلة الجامعة شعر بنفس ما شعر به آدم تجاه رغدة.. إنها قصة حب أطرافها ثلاثة.. واعلموا دائمًا أن رقم «ثلاثة» في قصة حب تعني المأساة.. فالحب لا يؤمن إلا برقم اثنين في حدوثه ورقم واحد في تكراره!!
كانت بالنسبة لخالد مجرد إعجاب، أما بالنسبة لآدم ضرب من الجنون..

كانت بالنسبة لخالد امرأة جميلة، أما بالنسبة لآدم امرأة للخلود..
كانت تميل كفة خالد تدريجيًّا عن كفة آدم.. أحيانًا تميل المرأة إلى الأقوى عندما تحب وإلى الأصعف حينما تريد المال!! وهذه من عجائب حواء..
إنها تريد من تخافه وتهابه وتعشقه ولا تريد ذليل هوى جديد.. وكأنها من هذا الذليل قد ارتوت حبًّا وحنانًا حتى شبعت وسئمت.. وتريد من الأقوى أن يكملها ولا تريد من تمتلكه.. إنها دائرة الحب والامتلاك إذًا..
لا تعرف هل تريد حواء عبدًا يعشقها وتمتلكه أم تريد أسدًا لكي يروض جموحها وجنونها..
أحيانًا تجد المرأة في إهمالها إثارة لا متناهية.. أن تصبح هي الأضعف.. أي أنك تضعها في مكانها الصحيح «ضعف المرأة»..
أما أن تصبح عاشقًا وراهبًا وناسكًا في محراب عينيها فبعض النساء تجد أن ضعفها وضعفه حينها لن يؤدي إلا إلى الطريق الأضعف.. وستموت قوة الحب والصبابة بالتدريج..
سنوات وسنوات من هذه الزمالة الثلاثية بين خالد ورغدة وآدم.. كان يشعر بقوته وسطوته حتى في تقديم الشوكولاتة التي تفضلها..
كان خالد حين يقدم لها الشوكولاتة يعطيها لها وهو يتحدث في تليفونه بكل إهمال ويقول: «آه ثانية واحدة خليك معايا.. صحيح أنا جبت لك شوكولاتة معايا».
بينما آدم كان ينظر إلى عينيها بكل ضعف ويقول لها: «أنا عارف إنك بتحبي النوع ده عشان كده أنا لفيت في كل مكان عشان أجيبهولك».
إنها علاقة غير متزنة بين الأطراف الثلاثة.. آدم الضعيف وخالد القوي ورغدة التي لا تعرف وجهتها..
سنوات من انتهاء أيام الجامعة ونهاية قصة الحب واختفاء رغدة تدريجيًّا عن الأنظار.. وحدثت المفاجأة..
نعم إنها المفاجأة..

في منطقة وسطى بين السماء والأرض، قال ملاك لشيطان:
- ما المفاجأة التي تحضرها لآدم؟
- الاستقواء.
- الاستقواء؟ ما الذي يعنيه هذا؟
- سترى كيف سيتمرد على ضعفه ويكسر الأقوى.
- السلم أو اللاسلم مرة أخرى.. إنها فكرته الجنونية التي ستلعب عليها.
- هل تذكر تعلقه بقصة «وضاح اليمن» الشاعر؟
- نعم كان دائمًا ما يقرأها لنفسه.. إنها قصة وضاح اليمن وزوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك.. كانت تهوى وضاح اليمن وكانت تدخله عندها، وفي أحد الأيام دخل عليها زوجها وخبأت هي وضاح اليمن في صندوق، ولكن الزوج كان قد علم بالخبر وقال لها في غرفتها:
- يا أم البنين هبي لي صندوقًا من هذه الصناديق.
- كلها بحكمك يا أمير المؤمنين.
- إنما أريد واحدًا منها.
- خذ ما شئت.
- أريد هذا الصندوق الذي تحتي.
- غيره أحب إليك منه فإن لي فيه أشياء أحتاج إليها.
- ما أريد سواه.
- خذه.
ثم دعا العبيد وأمرهم بحفر بئر وقبل أن يدفن الصندوق همس إليه قائلاً:
- يا صاحب الصندوق.. إنه بلغنا شيء إن كان حقًّا فقد دفناك ودفنا ذكرك إلى آخر الدهر، وإن كان باطلاً فإنما دفنا الخشب.
ثم قذف به إلى البئر..
قال الشيطان للملاك:
- ولكن ما الغريب في القصة؟

- إنهم عاشوا في سلام بعد ذلك الزوج والزوجة وكأن شيئًا لم يحدث.
- وهذا ما لا يرضى به آدم.. لقد اعترض على هذه القصة وغضب منها غضبًا شديدًا.. إنه يملك روح الانتقام.. وبعنف.
- وأنت ستكون لعبتك على هذه الروح الغاضبة بالتأكيد.. يا لك من شيطان.
- إنه كان دائمًا ما يقول: هذه القصة خرافة فإما الحب الكامل والوفاء الكامل وإما الموت الكامل.. لا يوجد حل آخر.. إما الحب والوفاء وإما التضحية بمن قتل الوفاء.
- ما زلت لا أعرف ما خطتك.
- ستعرف بعد قليل.
في المسرح مرة أخرى:
قال عامل:
- أستاذ آدم.. تليفون.
رد آدم:
- مين يعرف إني هنا أصلاً؟
- مش عارف.
- نعم مين معايا؟
رد عليه خالد:
- انت مش فاكرني ولا إيه؟! مش فاكر صوتي؟!
- لا والله مش فاكر بالظبط.. مين معايا؟
- انا خالد صاحبك يا عم.. يااه هي الأيام نستنا بعض كده؟! أنا خالد صاحبك القديم.
- يااااه.. ازيك يا خالد أخبارك إيه؟ انت فين يا ابني من سنوات طويلة ما شوفتكش.. لازم أشوفك والله.
- واحشني يا آدم ووحشانا أيام زمان.
- انت عرفت نمرتي منين؟

- اللي يسأل ما يتوهش يا عم.
- طيب عارف مكان المسرح ممكن تشوفني فيه واشوفك؟
- لا مليني العنوان.
خالد لم يكن يعرف قط أن آدم يهيم برغدة.. لأن آدم كان يحاول أن يخبئ عنه هذه الحقيقة طوال سنوات كي لا يوتر علاقة الصداقة الثلاثية بينهم، خصوصًا أن رغدة كانت تميل إلى خالد..
وفي المسرح التقى خالد بآدم، قال خالد:
- واااااحشني يا ابن الإيه.
- حبيبي يا خالد.
- إزاي ما تسألش عليَّ كل الأيام دي؟!
- انت عارف السنين بتجري وبتاخدنا من بعض يا خالد وما عرفتلكش طريق ولا نمرة والله، وانت غيرت كل نمرك..
- كويس إني شوفتك.. أنا عرفت أجيبك أهو.. تاكل شوكولاتة؟
في منطقة وسطى بين السماء والأرض، قال الملاك للشيطان:
- الشوكولاتة مرة أخرى؟
- منطقة قوتي.. المنطقة التي تنطلق منها روح آدم وتنبعث منها شرارة الأحداث.
- هل سيتذكر؟
- انظر ما سيحدث بنفسك.
في المسرح:
آدم «متوترًا»:
- شوكولاتة؟ فكرتني بأيام زمان.. إحنا كنا بنحب الشوكولاتة أوي.
- أنا وانت ومين؟
آدم «ينظر بدهشة»:
- ورغدة..

- بالظبط، وانا لسه باحب الشوكولاتة لحد دلوقتي.. وهي كمان.

آدم «تتورد وجنتاه»:

- هي كمان؟! انت لسه بتشوفها؟

- يا أخي باشوفها إيه.. ده انت فعلاً مش متابعنا خالص، ده احنا اتجوزنا من حوالي ست سنين.

قال المخرج:

- استعداااااااااااد يا جماعة.

نظر آدم بسرعة إلى المخرج وكأنه كان نجدة من السماء لكي يهرب من خالد الآن أو يحاول تغيير رد فعله بدلا من أن يظهر عليه أي شيء..

ثم عاد بعد دقيقة.. بعد أن وقف أمام المرآة لثوانٍ ينظر إلى نفسه ويحاول تمالك أعصابه.. قال:

- ألف مبروك يا خالد أنا والله ما عرفت خالص الأخبار دي.

- المهم بقى يا بطل إحنا عازمينك النهارده على الغدا.

- النهارده؟

- آه لازم.. دي رغدة بتحضر الأكل من فترة وقالت لازم تيجي..

شعر آدم بحزن شديد ويأس وإحباط في وقت واحد.. شعر أنه يعيش في جزيرة منعزلة عن البشر يمارس فيها طقوس إنسانيته بينما العالم مليء بقلوب الموتى وفاقدي الإحساس.. قال لنفسه:

- رغدة بتحضر الغدا لي أنا؟ يعني معنى كده إن مفيش أي مشاعر حتى تجاهي.. يعني نسيت كل الأيام دي لمجرد فكرة زوج قوي يحكمها وبيت وأطفال؟ يعني كل سنوات حبي ليها وذلي ليها كانت مجرد إيه؟ مسرحية؟!

قال آدم «بصوت مرتفع»:

- ارفعواااا الستارة.

قال المخرج:

- فيه إيه يا آدم؟

- عايز أمثل زي ما كل الناس بتمثل.. عايز أكون لي دور زي ما كل واحد له دور.. واتمنى آخد المرة دي دور البطولة.

- انت تعبان يا آدم؟ صاحبك اللي كان هنا ده له علاقة بالموضوع؟

- صاحبي؟ وصاحبتي؟ كلنا أصحاب مفيش حب.. الحب زي المسرحية دي ممكن أعمل فيها أقصى جهد لي، بس الجمهور مش فاهم.. الجمهور ما بيصقفش ليه.. أنا عايز أسمع التصقيف عالي عالي قوي.

سقط آدم مغشيًّا عليه على المسرح وتم نقله إلى المنزل، وبعد أن أفاق بفترة.. رن جرس التليفون، قال خالد:

- انت فين يا ابني؟

- آه أنا آسف اتأخرت عن الميعاد، كنت تعبان شوية.

- لا مفيش تعب ده انا كلمتك ميت مرة ولازم تيجي عشان احنا جاهزين.

رد آدم «في غضب»:

- صدقني أنا كمان هاكون جاهز.. جاهز جدًّا.

نظرية آدم أنه إما الحب وإما الموت.. إما الوفاء وإما التضحية بمن قتله.. إنه يحاول الدفاع عن ضعفه.. يحاول أن يقول إن من يخون الضعيف يومًا ما سيخون القوي إذًا، فقد تأصلت في من يخون مرة صفة الخيانة.. ويجد أن رغدة أصبح الخلاص منها واجبًا وحتمية لا مفر منها..

وفي منزل رغدة وخالد، رحب به خالد قائلاً:

- نورت يا آدم.

قالت رغدة:

- نورت يا آدم.. وحشتنا والله.

- وانتم كمان.. ووحشتني أكتر أيام زمان.. فاكرة؟

رغدة «في توتر»:

- آه آه طبعًا فاكرة.. دي كانت أحلى أيام.. اتفضل اقعد أنا طبخالك بإيديا دول.

- إيديكي دول اللي كانوا بياخدوا مني الشوكولاتة.

رد خالد:

- في إيه يا آدم مالك مش طبيعي ليه؟!

- ما تقولي له يا ست هانم.

قال خالد:

- في إيه بالظبط؟! انتو قلقتوني.

رغدة «في غضب»:

- أقوله إيه انت مجنون؟!

آدم «يخرج مسدسًا»:

- بالظبط.. مجنووووووووووون.

خالد «في ذعر»:

- إيه ده؟ إيه ده؟ في إيه يا آدم انت أكيد بتمثل صح؟ ده مش حقيقي ده دور ليك على المسرح.

- فعلاً دور جديد يا خالد وجايب معايا شنطة المكياج كلها وكل واحد فيكم هياخد دور.

قالت رغدة:

- آدم حرام عليك يا أخي انت بتعمل كده ليه؟!

- انتي دورك يا هانم «سالومي».. هترقصي لنا هنا على الترابيزة رقصة سالومي.

- أرقص؟!

آدم «صارخا»:

- آه يا مداااااام هترقصي.. هترقصي غصب عنك.. ما انتِ خلاص رقصتي الرقصة فعلاً، وكان تمنها راسي.. أنا مش هاكون يحيى جديد مش هتاخدي راسي عشان رقصة زي ما عملتي يا سالومي، أنا هاكون تغيير لواقع القصة دي.

قال خالد:

- انت مريض يا آدم.. مريض.

- انت اللي ما تعرفش حاجة عن قصتنا زمان.. انت الزوج القوي المثالي مش كده؟ وأنا العاشق المغفل.. الحب ضعيف مش كده؟ لا لا أنا جاي النهارده أستعيد كرامة الحب.. أستعيد كرامة العالم.

في منطقة وسطى بين السماء والأرض، قال الملاك للشيطان:

- انت هتعمل إيه؟

- أنا هاعمل اللي نفسي أعمله من زمان.

- مالك انت ومال كرامة الحب.. انت شيطان.

- كفاية بقى كفاية.. هو يعني الشيطان ده مالوش قلب؟ كلكم فاكرين نفسكم أحسن مني عشان أنا شيطان.. لكن لا.. انا هاثبت لكم إن الحب نفسه ممكن تنتج عنه جريمة.. ومش أي جريمة.

وفي المنزل مرة أخرى:

قال خالد:

- قصتكم زمان؟

رد آدم:

- آه يا بيه.. مراتك دي كانت حبيبتي سنين طويلة.. ولكن كانت بتهرب من ضعفي لقوتك.. من استسلامي لجبروتك.. من ذلي إلى ذلها.

- طيب ليه ما قولتليش.

- كنت أضعف من إني أقول لحد.. الحب فرض علي ضريبته.

ردت رغدة:

- أيوه أنا حبيتك زمان بس خلاص قصة وانتهت.

قال آدم:

- وعشان الكلمة دي يا سالومي.. مفيش رحمة.. كنت متوقع إنك هتقولي كده.. قصة وانتهت.. ومفيش قصص بتنتهي إلا في الكتب بس.. إنما قصص

الحياة مفتوحة وقابلة للتعديل لحد الفصل الأخير اللي مش بييجي..
قال خالد:
- طيب إهدا ونتفاهم.
آدم «في غضب»:
- إررقصي بسررعة واقري السيناريو اللي هاديهولك في الورق.
قام آدم بتوزيع الأدوار على رغدة وخالد وبدأت المسرحية:
خالد «يقرأ دوره»:
- ارقصي لي الليلة يا سالومي.
رغدة «في زي غريب أجبرها آدم على ارتدائه»:
- لا أشعر برغبة في الرقص الليلة.
- ارقصي واعطيك ما تشائين.
وفعلاً بدأ الرقص وآدم يقوم بالتطبيل وهو يتصبب عرقًا ويصيح:
- ارقصي ارقصي.. يا سالومي.
ثم يكملون المسرحية بعد الرقصة:
قال خالد:
- بماذا تأمرين يا سالومي؟
رغدة تقرأ الورقة:
- رأس يحيى على طبق من فضة.
ولكن آدم الذي كان يحاول أن يلعب دور يحيى قد قام بتغيير السيناريو عن القصة الحقيقية..
قال آدم:
- اسمحوا لي كده انتهت المسرحية.. يحيى مش هيموت.
رد خالد:
- لكن في الحقيقة هو..
قال آدم:

- ده في الحقيقة إنما احنا في عالم الخيال والمجون والخبل.. إحنا في عالم رغدة اللي بتبيع الحب وسنوات الحب عشان كلمتها «قصة وانتهت».. يحيى هيقوم ويطالب براسكم انتو الاتنين.

قال خالد:

- انت بتقول إيه؟ أرجوك ارحمنا يا آدم وهنعمل لك كل اللي انت عايزه.

- يحيى مش ضعيف ولا عمره ما كان ضعيف، ده نبي.. بس قدره كان كده.

قال له خالد:

- انت هتغير القدر؟

- أنا هاغير الواقع والواقع هيغير القدر.

قال خالد:

- أرجوك أرجووووك.

ويحاول خالد الهجوم على آدم بعنف، ولكن «سبق السيف العذل».. كان آدم قد أطلق رصاصتين على رأس خالد ومات من فوره.. بينما أمسك الورقة لقراءة آخر سطر:

- رقصة مميزة يا سالومي، ولكن رأسي ليس للبيع ولا هو رغبة لمن يشتهي.. رأسي ملكي وليس ملك جسدك العاجي الشهي وصدرك الرجراج المدهش..

إيه رأيك في النص؟ صقفيلي يلا.. عايز اسمع تصفيق الجمهور.

تقوم رغدة بالتصفيق في فزع ورعب في عينيها، ويقوم آدم بتعريتها بسرعة ويقوم باغتصابها بشكل سريع ومتوحش..

مزق كل ملابسها، أمسك صدرها المرمري.. قام بتذوقه هبط إلى الأسفل ينظر في عينيها بوحشية حيوان ويقول لها:

- من الأقوى الآن؟ هل أعجبتك قوتي يا سالومي..

يومين على التوالي يقوم آدم بالاغتصاب بشكل كامل، ثم في النهاية.. ألقى إليها بعض المال.. وقال لها:

- ده تمنك يا سالومي.. راسي مش للبيع.. راسي مش هتيجي على طبق فضة..

لأن قلبي من دهب.
ثم صوت دوي عشر رصاصات كاملة رجت المنطقة بأسرها وهرع الجميع إلى مكان الحادث..
وكانت عناوين الصحف: «صديق يقتل صديقه وزوجته بعد مسرحية وحشية من تأليفه».
وصحيفة أخرى تقول: «سالومي بالشكل المصري لا تكمل الرقصة على مائدة العشاء».
وعنوان آخر: «طبق فضة وقلب ذهب.. أبشع جريمة اغتصاب وقتل في السنوات الأخيرة لإعادة هيبة الحب».
وفي السجن:
قالت سارة لآدم:
- أنا صحفية وعايز أسألك.. انت ندمان على الجريمة دي؟
- أندم؟ وإيه هو الندم إلا على فقدان قلب أو فقدان كرامة.. أنا كنت باستعيدهم مش باضيعهم.. أي روح خاينة ملهاش مكان على الأرض.. الجسد الخاين ممكن نسامحه لكن الروح الخاينة الآثمة ملهاش مكان هنا، دي أرض الملايكة.. وطول عمرها هتفضل أرض الملايكة.
- وانت ملاك ولا شيطان؟؟ جاوبني.. ملاك ولا شيطان؟ ما بتردش ليه؟ ملاك ولا شيطان؟؟ ملاك ولا شيطان؟؟
في منطقة وسطى بين السماء والأرض:
قال الملاك للشيطان:
- لماذا لا تجيبها؟
- أجب أنت.
- إنها تسأل: ملاك أم شيطان؟
- سأقول لك شيئًا واحدًا فقط: إن الأقذر من الخيانة هو عدم الاعتراف بها.. ولهذا فقد يستفيق قلب الخائن ويندم، أما الذي لم يعترف لا يوجد ما يندم

عليه لأنه قتل الأسباب بإنكار خيانته.

- وآدم؟

- اتركه لمصيره، المهم أنه رفع راية مبدئه وأعلا قيمة نفسه مرة أخرى.

وفي النهاية نظر آدم إلى الصحفية نظرة طويلة وقال لنفسه في حزن: «آه منكن يا بنات حواء.. لا تنفع معكن ملائكة ولا شياطين»..

ويقال إن آدم تم إعدامه.. ويقال إنه انتحر.. ويقال إنه نُقل إلى أحد مستشفيات الأمراض النفسية..

ويقال ويقال.. أشياء كثيرة.. ولكن آدم أحب نفسه في زي الشياطين.. حينما لم تنفعه الملائكة..

الجاثوم..
تجربة حياتية من واقع ملفاتي السرية

نصف هذه القصة حقيقي.. وأي تشابه بين أحداث هذه القصة وما يحدث لكثير منا هو ليس من سبيل الصدفة..!!

الجاثوم.. أصابني كالحب.. شلل نومي لا أستطيع منه فكاكًا.. إنه تجربة موتية خفيفة ومرحة.. إنه أولى تجارب موتك.. ومن المفترض أن الموت تجربة تعاش مرة واحدة، ولكن هل جربت الجاثوم؟

هو حالة يقال عنها الكثير من الخرافات ولكنها حالة طبية أو نفسية تسمى «شلل النوم» أحيانًا بسبب الاضطرابات النفسية وأحيانًا بسبب الأرق كما قرأت عنه..

في الخرافات يقولون إنه جني يطبق على صدرك أو شيطان يغتصب النساء في نومهن كما هو مذكور على شبكة الإنترنت.. قرأت عنه كثيرًا باللغتين العربية والإنجليزية لأنه أصابني عشرات المرات.. وأحببت أن أنقل لكم التجربة الكاملة لأحد أحلامي الذي أصابني حين أصبت ليلتها بشلل النوم..

لا أرى الشيطان فوق صدري لأني أراه أصلاً في كل ما حولي.. أجد شياطين بقلوب بشر وهؤلاء قد يجدي مخاطبة ضمائرهم، وأحيانًا أجد بشرًا بقلوب شياطين وهؤلاء من قتلوا الضمير مع سبق الإصرار والترصد ولا أمل في استعادة البشرية فيهم والآدمية في دمائهم..

بل إن بعض الباحثين يقولون أسبابًا أغرب من الخيال: إن ما يحدث النائم هو مرحلة مبدئية لرحلة إلى كوكب آخر من كائنات فضائية!!

الكائنات الفضائية أيضًا تحيط بنا في كل مكان، لا داعي لأن يختطفوني، فهم بالفعل في كل مكان حتى لو في صورة بشر، فهناك بشر أغرب من المريخيين.

أستيقظ في صباح يوم اثنين في أحد الأسابيع.. أفتح عيني ولا أفتحهما في الحقيقة، هما مغلقتان بشكل كامل.. أحرك يدي فلا تتحركان ولا تستجيبان.. ولكن عقلي يعمل بشكل مجازي.. أفكر وأقول: «آه إنه مرة أخرى»، وأستسلم وأحاول التنفس بشكل أسرع.. لن تجدي محاولات تحريك يديك، الطريقة الوحيدة لكي تتغلب على شلل النوم أن يناديك أحد أو يخبط على كتفك، أما غير ذلك فأنت تعيش في نصف حلم ونصف يقظة، وهذا هو الممتع.. تشعر أنها تجربة مشابهة جدًّا للحب..!

تتشنج قليلاً وتحاول أن تصدم رأسك بأي شيء كي يوقظك الألم ولكن لا جدوى، فأخشاب السرير بعيدة عن رأسي.. أحاول أن أتقلب بلا جدوى ولا نفع.. في هذه الحالة لن ينفعك غير الاستسلام والانتظار.. سيصيبك الانتظار بملل مضاعف وأنت تريد الاستيقاظ.. أنت مستيقظ فعلاً، ولكن ترى نفسك أمامك.. كيف ذلك؟ أهي خرافة؟ لا إنها الحقيقة الكاملة.. أحيانًا في حالة شلل النوم التي تنتابني أرى نفسي أمامي.. في مرة من المرات ظننت أني في «مطبخ» المنزل وشربت الماء وأكلت وجبة خفيفة ثم ذهبت إلى السرير فوجدت نفسي أنام عليه، وقلت لنفسي: «أهذا أنا على السرير؟ إذن من أنا الذي يأكل الآن.. لا بد أن ألتحم به جسديًّا.. كي نعود روحًا واحدة وجسدًا واحدًا.. وأحاول الدخول فيه بشكل هادئ، وبمجرد أن يدخل إلى جسدي ما اسميه (معتز ٢) نعود كما كنا وأعود أنا جسدًا وروحًا»..

هي تجربة مرعبة للبعض لكنها تحدث لكثير من البشر حول العالم.. إنها حالة شلل غريب ممتعة. أصحو من نومي أضحك كثيرًا على أني رأيت نفسي.. بل أحيانًا عندما تمر بي هذه الحالة كأني أخرج للشارع فأجد من يقول لي: «إنت مين؟» فأقول لهم: «أنا فلان»، فيقولون: «فلان ينام الآن في بيته.. أنت كاذب».. فأجري سريعًا إلى البيت وأدخل غرفة النوم وأجدني فعلاً نائمًا وأغط في نوم عميق.. فأقول: «يا الله إنه الجاثوم مرة ثانية لقد رأيت نفسي»..

الكل الآن متشوق إلى حد الجنون ويقول يا ليتني أرى نفسي.. قد أراهنكم

أنكم تتمنون أن تروا أنفسكم من الخارج مثلي، بل وربما تريدون أن تروا أنفسكم من الداخل.. نحن البشر نريد مرة أن نحكم على أنفسنا بصدق.. نريد أن نرى أنفسنا بأعين الغريب.. لا بأعيننا التي أعمتها الأنانية والنرجسية أحيانًا وجنون العظمة في أحيان أخرى.. نريد أن نرى أنفسنا.. ولكن الجاثوم لا يريني إلا نفسي الخارجية فقط.. مجرد جسد.. ربما لحظة التحام الجسد مع الجسد أشعر بنشوة مشاعر أكثر من نشوتي عندما أكتب وأمسك القلم.. لأكمل لكم القصة.. كنت يوم الاثنين وحاولت الاستيقاظ وفشلت.. خرجت روحي أو هذا الشخص الثاني داخلي وأنا ما زالت في نومي.. قابلت أمي وقالت لي: «إنت غريب قوي النهارده!»، تعجبت من قولها وقلت: «ليه مالي؟! ما انا زي ما انا».. حضَّرت وجبة الإفطار وشربت فنجان القهوة وخرجت.. الجامعة سنة ٢٠٠١.. ولكن وأنا أركب المواصلات تعجبت جدًّا.. الجامعة؟ أنا في عام ٢٠١٣.. أين أنا ذاهب الآن؟

سألت سائق «الميكروباص»:

- احنا رايحين فين يا اسطى؟

- رايحين فين إيه يا أستاذ؟! راحين الزقازيق..

سألت مرة أخرى:

- هو احنا النهارده إيه؟

- النهارده الاتنين.

- سنة إيه؟

تعجب كل من حولي، وهم مجموعة بشر أو ملامح بشرية هلامية لا أعرفهم تحديدًا، لأن الحلم مذبذب وغريب وتشعر أن به موجات كموجات التليفزيون لا ترى الصورة بوضوح أو بمعنى أصح وأدق «الإرسال وحش»!! لم يجب أحدهم عن سؤالي، اعتبروني مجنونًا.. أي إنسان هذا الذي يسأل «إحنا في أي سنة؟!» هل هو تائه؟ هل هو مجنون؟ فهم لا يعرفون أنني في الجاثوم، وأنا لست أنا الذي اعتادوا عليه إن كانوا يعرفونني أصلاً أو كانوا

موجودين بالفعل..
دخلت الجامعة.. وجدت امرأة كالبدر كأنما سحرت عيون البشر قبل عيوني.. كأنما أسقطها الله صاعقة في قلوب عباده لا ترحم ولا يرحمون.. كأنها رقصة ماتادور إسباني لقلبي الذي حملت له هي اللون الأحمر في شفتيها.. قالت لي:
- انت جيت بدري؟ مش عادتك.
- انتي تعرفيني؟
- انت غريب قوي النهارده.
«أنا غريب قوي النهارده؟!» لماذا يرددون كلهم نفس الجملة.. أي غرابة يرونها وهم صورة مهزوزة في الحلم مثلي تمامًا وليسوا حقيقيين؟!
أي حلم هذا الذي يقول لك انت غريب؟!
أي حلم هذا الذي يتهمك أنك أغرب منه خصوصًا لو كان جاثومًا مجنونًا؟ هل أنا أغرب منه؟!
صدقوني حينما يقول لكم الحلم إنكم أغرب منه فأنتم عشاق.. ولكن لماذا تردد كل شخصية في الحلم نفس الجملة؟ لماذا لا أكتفي من هذه الجملة «إنت غريب قوي النهارده».
عصفورة تغني على غصن شجرة وتنظر إلي بعينين حمراوين غريبتين وكأنها تحذرني من الصعود الأعلى.. إلى قاعة المحاضرات.. ولكني أصعد على أي حال، فأنا أسير بطريقة لا إرادية خلف تلك المرأة التي قابلتها ولا أعرفها وكأني في أحد عروض التنويم المغناطيسي وكأني حتى أسمع تصفيق الناس من حولي على العرض!!
صعدنا إلى أعلى ولكن مهلاً.. أين الناس؟ أين الطلبة؟ القاعة خالية تمامًا ولا يوجد سوى رجل بعباءة سوداء يقف عند منصة الشرح.. يقول لي:
- اقعد هم مش جايين.
- اقعد هم مش جايين.
قلت لها:

- انتي كمان بتقولي كده؟ هو في إيه بالظبط؟ وهم ليه مش جايين؟
- عشان ده يومك.
- يعني إيه يومي؟ انتو بتخوفوني ليه؟ وبعدين الراجل ده مديني ضهره ليه؟!
يلتفت فجأة بشكله غير الآدمي ويقول:
- كده استريحت؟
- أنا عايز أفهم في إيه بالظبط على فكرة ده حلم.. أنا عارف كويس إنه حلم.. كل الفكرة إني مش عارف أصحى.
- ولا كل القهوة في العالم هتصحيك دلوقتي، وكل ده بيحصل في دقيقتين أو تلاتة.
- طيب انت عايز مني إيه؟ انت مين؟
- أنا اسمي «جاثوم».
- انت مجنون؟! ده شلل نوم؟ ده مش شخص؟ انت ازاي بتتجسد شخص؟
- بجد؟ يعني انت ازاي بتتجسد حلم؟
هي:
- وانا ازاي اتجسدت رغبة؟
هو:
- وامك ازاي اتجسدت رحمة؟
- أنا مش فاهمكم أبدًا.
هو يفتح الستار عن مجموعة أشخاص كانوا يركبون «الميكروباص» في أول طريق الحلم فجأة مما يثير اندهاشي.. يقولون في صوت واحد:
- واحنا ازاي اتجسدنا لقطات؟
- ده جنون.. أنا في حفلة غريبة أو حاجات من اللي كنت باشوفها في الأفلام زي طقوس ماسونية أو ظواهر غريبة أو طقوس مرعبة.. هي طقوس مرعبة ومش حقيقية.

هو:
- أنا مش جاي أخوفك أنا جاي أكلمك.
- انا مش هاكلم حلم.
- انت هتعمل نفسك واقعي؟
- لا مش واقعي بس عاقل.
- انت كاتب وعاشق تبقى ازاي عاقل؟!
- وده بيتنافى مع العقل؟
- ده الجنون ذاته.. بذمتك انت عايش حياة طبيعية؟
- والله ما تسألنيش اسأل الأخ اللي نايم.. أنا مجرد روح خرجت منه.
- سمعت إيليا أبو ماضي أما بيقول: «عطش الأرواح لا يروى بماء»؟
- ومين قال لك إن أنا روح عطشانة؟
- أنا الحلم وأنا الحاكم بأمره وأنا اللي باحدد رغباتك وتحت إيدي عقلك الباطن وما عليك إلا أن تعيش دور..
قلت «مقاطعًا»:
- ابن سيرين؟
- بالظبط كده.. انت ما عليك إلا التفسير..
- يعني انت شبيه بالدنيا أو بالقدر.. وما علي أنا إلا التأقلم وبس.
- كويس إنك فهمت.
- بس أنا باكره الأمر الواقع.
هو:
- اعتبرني حلم واقع.
- انت عايز إيه مني بالظبط؟
- نفس السؤال بتسأله من أول ما الأرض اتخلقت.. كلكم بتسألوني والمفروض إنكم تحققوني.. كلكم مش عارفين إني إشارة لشيء ما سواء حاجة جاية أو حاجة انتو افتقدتوها بشدة ونفسكم ترجع.. أنا مش مجرد نزوة ليل أو

مشهدين تلاتة مسليين.. انا حلم.. أنا حياتك وحياة البشر.. أنا مش مجرد شوية تجارب معملية وعلمية عشان تعرفوا ازاي بتكون في عقولكم.. أنا تجربة غير علمية أنا تجربة بشر.. أنا البشر نفسهم.. بتسأل الحلم عايز منك إيه؟! بتسألني عايز منك إيه؟! وانا يعني كنت عملت فيك إيه عشان تعذبني بكام مشهد فراق وحب ورغبة وضعف؟ بتنتقم مني؟ انت تعرفني أصلا؟ أنا جيبتك اهو عشان تواجهني.

- طيب وهي مين دي؟

- دلوقتي انت مشوش مش هتعرفها وهي كمان مشوشة.. انتو نص واقع ونص حلم.. جاثوم.

- أنا فاكر إني بس اللي عندي الحالة دي.

- حاجات كتير الناس فاكرة نفسها متفردة فيها وده مش صحيح.. من غير ما تقارن تعيش دور إنك لا تقبل المقارنة.

- طيب هي عايزة إيه مني برضه مش فاهم.

- عايزة حقها.. انت عذبتها معاك في كل أحلامك وهي طلبت مني الهجرة من عالم أحلامك وقالت لتكون واقع يا بلاش.

- ست.. زي أي ست.. الأهم لها إنها تبدل الوردة بخاتم دهب.

هي:

- على فكرة ده بيكدب.. ده بيوقعنا في بعض.

يصفعها فجأة «الجاثوم» صفعة جعلت رأسها يرتطم بالأرض وقال:

- اخرسي.. مفيش حلم بيكدب.. انتو البشر اللي علمتونا ازاي نعيشكم أحلام كدابة زيكم.

- حرام عليك يا أخي ليه تعمل فيها كده؟ انت ما عندكش قلب؟!

- من عاشر القوم يا أستاذ.. وانا عاشرت البشر سنين وقرون.. خايف عليها وانت مش عارفها؟ صحيح الدم بيحن.. أو القلب أو الحب بيحن..

قلت «متعجبًا»:

- مين الناس دول اللي دخلوا القاعة؟! وليه قاعدين كده زي ما نكون في...؟!

هو:

- آه بالظبط.. محاكمة.

- محاكمة؟؟

- محاكمة روحك.

- انتم كلكم مجانين أنا خارج من هنا.

أحاول الخروج بشتى السبل بلا أمل.. تتحرك يدي اليمنى قليلاً ثم ترتخي بشكل سريع وما زال عقلي يعمل أو هكذا أشعر إشارته.. ولكني لا أستطيع الخروج من الحلم أو نصف الواقع المؤلم.. قلت:

- الظاهر مفيش فايدة.. لازم حد يصحيني دلوقتي مش عارف اقوم.

- محكمة..

الحضور:

- بسم الله الرحمن الرحيم بعد الاطلاع على أوراق هذا الشخص.. قررنا تفسير حلمه كالتالي حسب كتاب ابن سيرين: «في أحد فصول الكتاب في الفصل بعنوان (حلم وتأويل رؤيا الحسناء والشابة) يقول ابن سيرين: ومن رأى امرأة حسناء دخلت داره، نال سرورًا وفرحًا. والمرأة الجميلة مال لا بقاء له؛ لأن الجمال يتغيّر. فإن رأى امرأة شابة أقبلت عليه بوجهها، أقبل أمره بعد الإدبار.

والمرأة العربية الإدماء المجهولة الشابة المتزينة، يطول وصف خيرها ونفعها في التأويل والسمينة من النساء في التأويل، خصب السنة. والمهزولة جدبها، وأفضل النساء التأويل العربيات الأدم..

والمجهولة منهن خير من المعروفة، وأقوى والمتصنعات منهن في الزينة والهيئة، أفضل من غيرهن».

هو:

- أيها السادة القضاة.. تؤمروني بإيه؟ هتنفذوا فيه الحكم..

- انت شايف حلمه بيها خير؟

هو:

- المجهولة منهن خير من المعروفة.

هم:

- بس هو عارفها.

- بس في حالتي أنا الجاثوم هو ما يعرفهاش.

قلت:

- ممكن تسمعوا أقوالي؟

هم «بعد المداولة»:

- لك الحق.

هو:

- لا مالهوش.. ممنوع يتكلم.. أنا أعترض.

- ليه؟ المفروض نسمع أقواله.. القانون بيقول كده.

هو:

- قانوني أنا.. قانون الحلم.

قلت:

- اسمعوني من فضلكم.. أنا ليَّ اعتراض مهم ممكن يقلب القضية.

هي:

- قول أرجوك أنا خايفة قوي.. خايفة ننفصل عن بعض في الأحلام.. أنا اتعودت عليك.

- انتي تعرفيني؟

- بيقولوا كده.. وانا حاسة بكده مش عارفة شوفتك فين قبل كده.

- انتي زي النوستالجيا بالنسبة لي.. في حالة حنين غريبة مش فاهمها لكن حاسسها.

- وانا كمان.. أنا اتعودت أكون ذكرى وحلم ما تحرمنيش من دي كمان.. ما

تخليهمش يعملوا فينا كده.
- هم مين؟
- أرجوك حاول.. دول قتلوني قبل كده مرتين.
- إمتى قتلوكي وفين؟
- قالوا إنهم قتلوني فيك.. لكن ما رضيتش اموت أو انت قاومت الطعنة وجمعتني من جديد.
قلت «موجهًا حديثي لهم»:
- النقطة اللي باعترض عليها إني انا روح.. أنا ماليش قانون زي ما بتقول الآية: «قل الروح من أمر ربي».. أنا ماليش قانون حاكم، ده بالعكس يمكن أنا اللي مالك الحلم ده بكل أمره.. هو بيحط قانون على البشر.. إنما أنا نص الجاثوم التاني.. أنا الروح مش البشري اللي نايم ده.
هو:
- اثبتوا عندكم إنه خاين.. دلوقتي بيتنصل من جسده وعايز قانون تاني ليه.. انت تحكمني انت؟ انت تحكمني أنا.. أنا الحلم ملك ملوك قلوبكم.
قلت له:
- انت بتعمل كل ده عشان تثبت لنفسك شيء.. انت ضعيف واحنا أقوى منك إنما انت عايز تسيطر علي في نص يقظة ونص نوم عشان تقول انت الأقوى.. مركبات نقص.
- انتو اللي عندكم المركبات دي، إنما أنا الحلم ما ينطبقش عليَّ قوانينكم..
يلقي تعاويذ غريبة جدًّا في وسط القاعة ويزداد غضب الحلم ويخلع عباءته ليكشف عن جسد مرمري نصفه عاج يثير عاصفة التساؤلات عن ماهيته وكيانه.
- أنا الحلم دوامة المستحيل.. أنا الحلم اللي ماليش مثيل ولا بديل.. أنا سيد الأسياد وقاهر قلوب العباد.. أنا أرض الخيال وطينة الغياب والشتات.
وبعد أن يلقي تعويذته الحلمية الغريبة تختفي قاعة المحكمة وتتحطم هي

التي لا أعرفها إلى نصف سراب ونصف امرأة.. أو بلور منثور.. أيهما أقرب للحلم!! ولا يبقى في المواجهة إلا أنا وهذا المجنون.. قلت له:

- سيبني بقى أرجوك.. ارحمني انت خلاص نفذت اللي انت عايزه وهي اختفت وبقت بلور منثور.

يتحدث بتعاويذ المجانين مرة أخرى:

- بلور منثور نصه النار ونصه النور.. المرأة بلور منثور.. نصفه النار ونصفه النور.

أحاول الجري سريعًا خارج القاعة ولكن الأبواب تتجدد وتتمدد.. غرف عقلية أخرج من واحدة ادخل أخرى.. حتى دخلت إحدى القاعات مكتوب عليها: «أهلاً بكم في القشرة المخية».. أهرول سريعًا إلى داخل تلك الحجرة وفي الخارج غرف أخرى تسمى «فص الدماغ الأيمن، وفص الدماغ الأيسر».. وأرى فيهما المرأة نفسها.. لا ملجأ منها إذًا إلا إليها؟ ماذا يعني هذا؟ هي في منطقتي الإبداعية ومنطقة التفكير؟ هي في صحوي وفي حلمي وفي جنون جاثومي؟

وفي أثناء تفكيري في الموضوع يفتح الباب فجأة الجاثوم بصوت مرتفع جدًا.. تبدأ يدي في الحركة بشكل خفيف وتزداد حركة العين ثم تقل.. شهقة كبيرة وفجأة.. «أخيرًا» استيقاظ كامل..

أستيقظ وأعد فنجان القهوة وأهرب سريعًا إلى الشارع كي لا يعاودني الحلم.. يقابلني أحد الأصدقاء ويقول لي: «إنت غريب قوي النهارده».. ينظر إلي رجل من بعيد ويبتسم.. أقول:

- انت تعرفني يا أخ؟

لا يجيب..

فجأة وكإحدى الإشارات.. وأنا أؤمن بالإشارات والعلامات.. في احتمال نسبته واحد في الألف.. تمر إحدى السيارات وأسمع منها أغنية «Brandi Carlile – Dreams».. ما هذا؟ أين أنا؟

الجاثوم:
- ما زلت معي.. حلم داخل الحلم.. ولكني قتلتها.. أو..
- كداب ما قتلتهاش.
- بص على طرف الشارع كده.
أنظر فجأة إلى حيث أشار وأجد سيارة مسرعة تحاول قتلها في عرض الطريق أجري سريعًا محاولاً الإنقاذ.. تصدمني السيارة.. أصحو فعلاً هذه المرة..
أخرج من غرفتي تقابلني أمي وتقول: «إنت..».
أكمل الجملة: «غريب قوي النهارده»!!
أنا لست قارئ أفكار ولكني قارئ أحلام.. لا أعرف متى ستكون زيارة الجاثوم القادمة.. لا أعرف هل سيزورني مرة أخرى أم لا.. على الرغم من مرارة التجربة وصعوبتها.. لا أعرف هل سيعود أم رحل.. أحيانًا أحب عودته وأتلذذ بجنونه..
وحين أنهيت قهوتي.. تمنيت لو جلست إلى جانبي الآن عرافة.. لأني لا أعرف كيف أقرأ الفنجان ولكني أكاد أقسم أني رأيت حينما قلبته..
رأيت.. رأيت... روحي!!!
ولكن كل ما استخلصته من التجربة هو أن صراع الحلم والحب سيبقى خالدًا.. لكي ينتصر أحدهم في النهاية.. فالواقع لا مكان له في عالمنا.. أما الحب أو الحلم.. واما اللاشيء.. اللاشيء..

رسالة المجنون للعالم

«الحياة لحظتان: لحظة تزيل عن قلوبنا صدأها فهي لحظة فارقة، ولحظة نحاول أن نزيل عنها صدأ الوقت واليأس وهي لحظة غارقة، وما بين اللحظتين حياة وتمرد.. وبعض جنون».

لا تحاول كثيرًا أن تلعب مع الحياة لعبة «ملك وكتابة» فهي ستكتب عليك ما شاءت ولن تجعلك الملك ولكن ستجعلك تعيش في حلم الوصول إلى العرش..

ودائمًا ما كانت هذه الجملة معبرة عن حياة حمزة، وهو شاب ثلاثيني له ملامح من في الخمسين من العمر.. عينان غائرتان وجبهة عريضة وحواجب كثيفة وفم دقيق..

يخرج كل صباح إلى عمله في سيارته المتوسطة التي وضع فيها كما يقولون «تحويشة عمره» بسبب مرتبه الضئيل الذي لم يكفه قط في أثناء زواجه أو حتى بعد وفاة زوجته، فقد كان حمزة يدفع كل ما يملك تقريبًا لشراء الكتب وبعض المستلزمات الأخرى التي يقول عنها أساسيات ويراها الكثيرون من حوله «رفاهيات»..

وكان دائم الاختلاف مع بعض الأصدقاء أن أسطوانات الموسيقى هي شيء من الأساسيات مثل الزيت والسكر وزجاجات المياه المعدنية.. ولكنهم سخروا من هذه الجملة طوال سنوات..

في خطوات معتادة فتح باب السيارة، حاول إزالة أكوام التراب عنها بلا جدوى فترك البعض منها وخرج إلى طريقه.. توقف قليلاً في الإشارة وأصبح قاب قوسين أو أدنى من لقاء إسرائيلي..!!

إسرائيلي كان أشهر مجنون في المدينة.. أو هكذا يطلقون عليه، ولم يعرف

السبب حتى الآن على الرغم من أنه لقب غريب ومخجل.. ولكن حمزة كان يقول كما يقولون عن العفاريت: «ما مجنون إلا بني آدم»!!

علمته الكتب أن لكل مجنون قصة مثل أي عاقل، بل قد تكون أكثر تأثيرًا من قصة حياة العاقل بأسرها.. العاقل واقع وحياة بينما المجنون دراما.. البشر روتين والمجنون استثناء.. الناس نظرات تعالٍ وحسد والمجنون نظرات تخترقك كأنه يرى روحك..

كان حمزة يرى في المجانين كائنات ترى أعمق ما فينا.. لم يرهم كبشر ولكن ككائنات غريبة مهمتها في الحياة أن ترانا أجسادً شفافة وأرواحًا مهفهفة..

الفلاسفة في نظره هم مجموعة من المجانين الأذكياء.. الفلاسفة هم مجموعة ممن دفعهم جنون الحياة إلى ارتكاب فعل الكتابة عن جنونهم على الأوراق.. إنهم لا يستطيعون الانفصال عن الأوراق ولا عن أفكارهم المجنونة التي اجتاحوا بها العالم سواء للأفضل أو للأسوأ أحيانًا..

توقف فجأة أمام إشارة المرور.. أحمر أخضر أصفر.. تمامًا كما هي الحياة.. لليائس والمتفائل والمتردد بالترتيب..!

يمارس رياضة النظر إلى وجوه الناس من حوله ليرى الأسرة السعيدة من خلف زجاج سيارته في إحدى السيارات ويرى الشاب المتهور ويرى الأسرة التي لا تستطيع أن تتخلص من عبرة ونصف ابتسامة مترددة وخائفة من مواجهة أمواج الحياة..

وفجأة يسمع صوت من يطرق زجاج سيارته في عنف.. يفتح حمزة شباك سيارته ليعطي لهذا الرجل بضعة جنيهات ولكن.. يقول إسرائيلي:

- ما تجيب سيجارة.

- سيجارة؟

- إيه غريبة؟

- يعني افتكرتك هتطلب فلوس زي أي حد.

- قصدك زي أي شحات.

- أو زي أي مجنون.
- مجنون هه؟ وعرفت ازاي إن انا مجنون؟
- أنا عن نفسي ما باقولش عن حد مجنون لكن هم اللي بيقولوا.
- دي كذبة مش حقيقة.
- وإيه الفرق عندك بين الكذبة والحقيقة؟
- زي ما مارك توين قال: «الكذبة تسافر حول نصف الكرة الأرضية قبل أن ترتدي الحقيقة حذاءها»، عشان كده هتصدق إني مجنون حتى لو قعدت احلف لك للسنة الجاية إني أعقل منك.
- ماشي في الشارع حافي وبتقول مقولة لمارك توين؟
- مستغرب؟
- جدًا.
- ولو شايف منظري إني مجنون من شكلي وشعري ولبسي طيب ما هم قالوا عن شوبنهاور مجنون.
- من آرائه الغريبة.
- غريبة لمين؟ ده كان مش بيآمن للناس أبدًا ده سيد العاقلين.
- واشمعنى اخترت شوبنهاور؟
- ولو كنت شوفت هيمنجواي في أواخر أيامه مش كان مجنون؟
- وانتحر.
- نيتشه؟
- ليه آراء عظيمة وآراء مجنونة.
- قريت كتاب «المجنون» لجبران؟
- تلاقي في الجنون أحيانًا خلاص ونقطة وصول.
- لسه مستغرب إني باطلب سيجارة مش فلوس؟
- مش الفلوس ممكن تنقلك لحياة أفضل.
- أنا مش عايز حياة أفضل أنا عايز إنسان أفضل.

- وإيه الفرق؟
- حياة أفضل يعني تكييف وعربية وشقة وفلوس وكل الكلام ده.. إنما إنسان أفضل يعني حقيقة ومعتقدات ورغبة في الوصول لقلب العالم.
- وهي الفلوس هتخسرك حاجة؟
- ممكن تخسرني نفسي شوف كام حياة زوجية قتلتها الفلوس وخلت الزوج مجرد جني المصباح للطلبات دون حب حقيقي.
- مش هاقول مجنون لكنك غريب.
- وانت عايش في عالم عادي مش كده؟ أنا الغريب وانت العادي؟
- تقصد إيه؟
قال إسرائيلي «شاهرًا مسدسه في وجه حمزة»:
- انزل معايا.
- انت مجنون؟ إيه اللي بتعمله ده؟
وعندما رأى الجميع المسدس انتاب الهلع والفزع كل ركاب السيارات وركضوا بسرعة من سياراتهم وتركوها في أماكنها في نفس الإشارة..
قال إسرائيلي «صارخًا»:
- كل حاجة بمسمى تاني عندكوا.. مسدسي اسمه جنون وخبل، لكن لما يكون فوق راسكم مسدس حاكم ظالم بتسموه ظلم.. لما يظلمكم بتطلبوا جمعيات حقوق الإنسان لكن أنا لما اظلمكم تطلبوا لي مستشفى المجانين.. لما يسرقكم تطلعوا تنبحوا في البرامج إنما لو سرقتكم أنا تقولوا ده مجنون وشحات.. لما يقول لكم كلام كذب تقولوا عليه تصريح وانا أقول لكم حقيقتكم تقولوا مجنون، وكأن ظلمه غير ظلمي، وكأن قهره غير قهري.. وكل ده ليه؟ عشان هو لابس بدلة بفلوسكم وانا لابس شبشب بصباع من فقري.. آه يا بلد عايزة اللي يخدعها ويعيشها في الوهم.. آه يا نص بشر متمرمغ بين الكدبة واختها.
يصيح في وجه حمزة:
- انزل معايا باقول لك.

- انت هتودي نفسك في داهية.
- ما تقلقش عليَّ يا اخويا وانزل من سكات.
- انت واخدني على فين؟
- أنا واخدك على الصحرا.
- الصحرا؟
- يلا ما قولتش ليه؟ قول لي انت أكيد مجنون.
- انت فعلاً مجنون.
- طيب يلا يا اخويا.

يخرج إسرائيلي ومعه حمزة في طريق طويل على دراجة نارية سرقها إسرائيلي من أحد الشوارع.. وعند وصولهما إلى إحدى المناطق النائية في الصحراء قال له إسرائيلي:

- يلا انزل هنا.
- إيه المكان ده؟
- ده مكان الحقيقة.
- الحقيقة في الصحرا؟
- وفيه أطهر من الصحرا وقلب الصحرا الأصفر اللامع اللي أطهر من قلوبكم؟!

وبعد سير على الأقدام لمدة عشر دقائق تقريبًا يجد حمزة المفاجأة الكبرى.. يقول له إسرائيلي:

- إيه رأيك في المفاجأة دي؟
- انت إنسان قذر ومريض.
- ليه؟ مش عاجبينك؟ ده كل الحبايب هنا بربطة المعلم.. أو المعلمة لو عايز.
- انت أكيد من تشكيل عصابي.. وخطير كمان.
- بلاش كلام كتير.. مفيش عصابة عايزة تكشف لك العصابة اللي على عنيك.. أنا عايز أوريك الحقيقة.

- الحقيقة إنك تخطف الناس اللي باحبهم دول وتكتفهم وترميهم في الصحرا؟
- خليك انت هنا بس وما تقربش منهم.. اقف بعيد هنا واسمع بودنك كل الحقيقة وما تقربش عشان ما حدش منهم يشوفك.
- ما انا ممكن اهرب.
- لو هربت يبقى عليك فيهم العوض كلهم وهافرغ فيهم المسدس وانا مجنون ومعروف، ومش هاخد إعدام، إنما هاترمي في مستشفى المجانين.
- إعمل اللي انت عايزه، مصيرك هتقع يا جبان.
- هتعرف دلوقتي من هو الجبان.
يتقدم إسرائيلي إلى مكان تجمع كل أصدقاء ومعارف حمزة الذين تم ربطهم بالحبال في الصحراء.. يقول إسرائيلي لعمرو:
- عمرو؟ إزيك يا حبيبي؟
- انت ليه راميني هنا؟! انت عايز مننا إيه؟!
- انت ليه سيبت بابا يا حبيبي؟ بابا حمزة مش كان بيحبك؟!
- وانت مالك انت؟!
إسرائيلي «يطلق رصاصتين في الهواء ويوجه المسدس إلى رأس عمرو»:
- جاوب على قد السؤال.. كلمة تانية والرصاصة هتبقى في راسك عِدِل.
عمرو «يرتعد خوفًا»:
- طول عمري باحس إنه مقصر معايا وأول ما أمي ماتت انتقلت وعشت مع واحد صاحبي له شقة لوحده وهربت منه.
- لأنه فقير؟
- وضعيف والمجتمع ده عايز حوت أو ذئب.
- بس ده أبوك وفاكر إنك بتحبه.
- أحبه ازاي وانا شايف كل أصحابي راكبين عربيات فخمة وانا يا دوب قرش رايح وقرش جاي.
- هي كل حاجة الفلوس؟

- انت عايش في سنة كام يا أخينا؟ طبعًا كل حاجة الفلوس.. الفلوس أم النعم.
- ما فكرتش إن يكون ليك أب دي نعمة محروم منها ناس كتير؟
- يتيم وغني أحسن من ابن فقير.
ثم يقول إسرائيلي لراندا:
- وانتِ يا برنسيسة ياللي لسه محتفظ بصورك في محفظته لحد دلوقتي.
- عايز مني إيه؟
- مش كنتوا بتحبوا بعض زمان؟
- ده ماضي وانتهى.
- غريبة.. مع إنه بيقول إنك ماضي عمره ما ينتهي وأظن ده كلام عن الحب.
- هو رومانسي عايش في أوهامه وأنا الحقيقة.
- انتي الحقيقة؟ المليونير والفنادق والجاه والنفوذ؟
- أيوه اخترت النعيم لأني أذكى منه.
- بس ما اختارتيش السعادة لأنك أغبى منه.
- جوزي دلوقتي أكيد قالب الدنيا عليَّ ومش هيسيبني.
- اللي وصلني إن جوزك سافر يومين برة وخايف من الفضيحة وإن اسمه يطلع في الجرايد بسببك، فقال يسيب البلد اليومين دول.
- جوزي لا يمكن يعمل كده.
- قصدك حبيبك لا يمكن يعمل كده.. إنما انتي اخترتي جوز مش حبيب.
- أنا اخترت الراحة.
- اخترتي راحة البدن مش راحة الروح والقلب.
- وانت تعرف إيه عن الفلوس؟ ما انت مجنون وشحات..
- أنا اللي اعرفه عن الفلوس باين في ندالتكم قدامي.. اللي اعرفه عن الفلوس إنها بتصنع عبيد زيك وزي عمرو.. اللي اعرفه عن الفلوس إنها ما اشترتش غير دموع الراجل ده..

ويشير إسرائيلي إلى حمزة بالدخول وهو يجر قدمه ببطء من خيبة أمل وفاجعة من هول ما سمع ومن شدة الصدمة في أقرب الناس له، أو هكذا اعتقد يومًا ما..

كان يظن أن حبيبته راندا كما قالت له قديمًا: «بابا اللي اختار لي العريس ده غصب عني يا حمزة مش بإيدي.. انت عارف إني بحبك».

وزاد من صدمته كلام ابنه الوحيد عن المال وخيبة أمله في والده على الرغم من أنه أعطاه كل شيء ولم يبخل عنه طوال حياته وضحى من أجله بالكثير حتى عرف طريق المال في كل ما حوله بسبب أصدقائه الأثرياء..

بكى حمزة حتى سمع نحيبه الجميع ونظر إليه عمرو وراندا في فزع وتأثر بالغين.. قال حمزة:

- هي دي الحقيقة؟ ليه الحب ما يبقاش حقيقة يا مجتمع مادي قذر.. يا بشر عايشة في وحل المادية ودم الروح المقتولة.. يا عار على قلب كل مخلص وكل صوفي في هواه.. إيه اللي حصل للدنيا؟ انتي كذبتي عليَّ يا راندا زمان وانا اتعذبت بسببك عشرين سنة مش قادر أكون سعيد، لكن كنت مخلص لزوجتي.. وانت ابني الوحيد اللي سمعته منك يموت أي أب ويطحن قلبه.. انتو مين؟ انتو مش بشر.. انتو الغاية تبرر الوسيلة.. يا شريعة الغاب يا أوباش يا حيوانات.. انتو مين؟ انتو مين؟

قال له إسرائيلي:

- ده انت شوفت اتنين بس ما شوفتش أصحابك كمان.

- هم قالوا إيه عني؟

- تقريبًا بنفس المعنى ما حدش بيحب إلا لغرض أو فلوس أو منفعة.

- لكن مش ده الحب المنشود.. الحب من غير أغراض.

- ده في الجنة بس.

- أنا مش مصدق.

وفجأة يقتحم المكان قوات الشرطة..

الشرطة:
- سلم نفسك يا إسرائيلي خلاص كل حاجة اتعرفت.. استسلم وارمي سلاحك.. المكان كله محاصر.
رد إسرائيلي:
- العالم كله محاصر يا باشا.
- سلم نفسك باقول لك وبلاش جنان.
- العالم كله محاصر بالندالة وقلة الأصل والمادية اللي غرقت أرواحنا.
- هنضرب في المليان.
- مليان؟ مليان بإيه؟ أرواح مليانة مرض ورماد بشر وبساتين أمل محروقة؟
قال له حمزة:
- سلم نفسك يا إسرائيلي أفضل.. أنا عرفت منك الحقيقة ومش عايزك تتئذي.. دول ممكن يقتلوك.
- يعني انت ما اتقتلتش؟
- أنا اتقتلت ميت مرة في المكان ده وقلبي أصبح مسحوق كدب.
- هياخدوني المصحة.
- المصحة مكان أمثالك من الطاهرين.
- والدنيا مكان أمثالك من المخدوعين.
- عندك حق.
وفجأة ينهال الرصاص على جسد إسرائيلي في مشهد صعب لم تتحمله عينا حمزة وصرخ فيهم:
- كفاااية.. كفاية يا كدابين.. كفاية يا كدابين.
سقط المجنون على الأرض غارقًا في بركة دماء، وجلس أمامه حمزة يبكي ويقول له:
- ما تموتش.. هتموت معاك الحقيقة.
- المهم انت عرفتها.. أنا كانت رسالتي إني أوصل الحقيقة لحد تاني غيري

عشان يوم ما اموت.
- لكن انت الرسالة.
- انت رسالة جديدة.. وعشان كده خايف عليك.
- إيه اللي بيحصل للدنيا؟!
- الدنيا في آخر أنفاسها وعرفت الحقيقة.
- ما تسيبنيش للدنيا دي مش هاعرف أواجه الظلم فيها بطيبتي وحبي للناس.
- همَّ عايزينك تعلب لكن لازم تكون ملاك يمكن في يوم تبلغ الرسالة.
- ما تموتش أرجوك.. ما تسيبنيش لوحدي وسط الوساخة وحقارة البشر.
- ده مكتوب عليَّ.. ومكتوب على كل من حمل الرسالة.
وفعلاً كان مكتوبًا على كل من حمل الرسالة.. رسالة البراءة والحب والوفاء.. رسالة القلب الطيب والبشر المتسامح.
بعد سنوات في إحدى الإشارات في الشارع..
قال حمزة:
- أنا مجرد حامل للرسالة.. وعايزك معايا ده الحمل تقيل.
وفي السيارة:
- اقفلوا الإزاز يا جماعة ده باينه مجنون، أنا مش عارف ليه سايبينهم كده علينا في الشارع.. هي ناقصة جنان.. رسالة إيه وزفت إيه الله يخرب بيوتكم مليتوا البلد.. بلا قرف..
خرج حمزة لشارع آخر بشعره الطويل وملابسه المهترئة حتى قابل أحد الأطفال، قال له الطفل:
- عمو عمو تلعب معايا؟
- ببلاش من غير فلوس؟
- إيه يا عمو نلعب عادي أنا حبيتك قوي.
- ومش عايز مني مصلحة أو ليك فيا منفعة؟

- يعني إيه يا عمو؟
- يبقى انت اللي لازم تحمل من بعدي الرسالة.. وانت لسه نبت أخضر طاهر.
وضاعت الرسائل في متاهة الدنيا.. ومن منا سيحمل من بعد حمزة الرسالة؟!
وأي جيل سيحملها؟ وأي جيل ستكون عملته الرسمية «القلب»؟

رغبات المرايا

هي يارا.. العمر لا يهم.. المهنة يقولون عنها «ربة منزل».. وفي الحقيقة هي ربة عالمها وليست ربة المنزل، لأنها تعيش مع أهلها دون رجل حتى الآن.. رغم أن عمرها تخطى الـ.. آه آه لا يهم العمر قلت لكم..

هل تحب المجوهرات؟ الذهب؟ لا أعرف.. ككل النساء تشعر برغبة وألفة لهذه الأشياء، ولكن لم تجرب إحساس أن تحصل عليها من رجل يعشقها حتى الثمالة.. أو هكذا ظنت حينما قرأت أشعار نزار العاطفية في المرحلة الإعدادية.. كم تمنت لو يأتي لها رجل من كتب الشعر ليقول لها مثل نزار في شعره:

«لو خرج المارد من قمقمه
وقال لي: لبيك
دقيقة واحدة لديك
تختار فيها كل ما تريده
من قطع الياقوت والزمرد
لاخترت عينيك.. بلا تردد»

نعم تحب الذهب ولكنها لا تحب أن تشتريه لنفسها.. تحب أن يأتي من رائحة رجل.. تحب أن تستمع لجملة «السلسلة دي هتاكل منك حاجة».. بكل ما تحمله الجملة من أفكار شيطانية في رأسه وهو يقولها ويخرجها من فمه كفحيح أفعى، ولكنه فحيح محبب وشيطانية مرغوبة وعبث رجولي حميد!!

إنها العلاقة التي تصف حياة الرجل والمرأة.. علاقة الذهب بالمرأة.. المرأة تعشق الذهب والماس ليس لأنها تحب الاقتناء ولكن لأنها تعشق أن ترى

الأثمن هو الأرخص تحت قدميها.. تحب إحساسها بالملكية في غير مملكة والسمو حتى لو على رجل عادي.. ويعشق الرجل إهداء الذهب للمرأة وكأنه يكمل رحلة أسلافه في إهداء القرابين للإلهة الأنثوية القديمة مثل أفروديت.. إنها تكملة الرحلة.. رحلة خلود الرجل والمرأة..

حياة يارا كحياة الكثير من النساء تقبع في نظرية «رغبة المرايا».. نعم إنها نظرية من تأليف وحدتها وإخراج الدمع العزيز القاني المحبوس.. قالت لنفسها ذات يوم في المساء: «أنا حبيسة المرايا»، وأخرجت قلم «الروج» أمام مرأة الحمام وضحكت بجنون لم تعهده حتى تعجبت من نفسها..

قالت في صرخة غضب أمام المرأة: «حطي روج حطي كحل حطي كل حاجة.. مين اللي هيتهنى بكل ده غير المرايا؟».

وفي جنون وخبل قالت لنفسها: «استني استني يا بت يا يارا.. هي المرايا دي دكر ولا نتاية؟ ده انا باعمل كل حاجة قدامها.. يلا مش مهم أهي لو دكر تتهنى بيَّ.. مش أحسن من مراية الصبح اللي ما بتشوفش حاجة؟».

«مراية الصبح»؟ تسألون ماذا تقصد هي تحديدًا.. هي تقصد مرآة الصباح التي تقف أمامها لمدة تزيد على الساعة في كل صباح، بينما تقف أمام مرآة المساء كل ليلة قبل النوم تتحسر على يوم مر دون أن تشعل الرغبة الهمجية في قلب رجل ما وتشعل فيه حطب وحدته إلى قيظ عشق..

تقول إنها «حبيسة المرايا».. مرآة الصباح ومرآة المساء.. مرآة الصباح تقف وتقول أمامها: «ألبس البدي البني ولا التاني؟ أنا حاسة إن كمال عينه مني.. بالذات لما لبست البدي البني المرة اللي فاتت.. أنا عارفة هو بص على إيه بالظبط.. صحيح انا اتضايقت في الأول لكن يمكن غرضه شريف».

بينما مرآة المساء تقول أمامها كل ليلة: «وادي الزفت الروج أهو هامسحه زي كل يوم ومش هيطول أبدًا إنه يبقع بق راجل يكون حلالي.. كأني في عرض ألوان وخلاص.. كل يوم نفس الألوان.. عمومًا هم أحرار.. هم مش عارفين اللي فاتهم.. مش بس جسمي الفاير اللي بيغطيه لبسي المحترم الصبح.. هم

لو شافوني بوضعي دلوقتي كانوا اتهبلوا.. هم أحرار.. هيفوتهم كتير».
فتحت يارا ذات مرة كتاب باولو كويلو المركون منذ فترة على الرف وهو «إحدى عشرة دقيقة» وقرأت تلك السطور في الكتاب: «إن الجنس يصير كأي نوع من أنواع المخدرات، وسيلة للهروب من الواقع ونسيان المصاعب والاسترخاء. لكن الجنس، شأنه شأن المخدرات كلها، ممارسة مؤذية ومدمرة».
قالت لنفسها وتنهدت: «ممارسة مؤذية ومدمرة؟».. طيب ما احنا ياما جربنا حاجات في الحياة مؤذية، يعني هي جت على دي.. المهم التجربة.. إمتى هاخش المعمل وابقى فار تجارب للممارسة المؤذية دي؟ قال مؤذية قال.. يا سلام يا باولو عليك يا سلام يا أخي».
في أحد المطاعم ذات يوم سقطت وردة على الأرض.. التقطها رجل بالصدفة وصاح: «يا جماعة الوردة دي بتاعة حد؟»، لم يجب أحد من الجالسين وكانت يارا تبكي على طاولتها لأنها كانت وردة وداع من أول رجل عرفته وكانت لها علاقة به، ولكنها انتهت بالجملة ذاتها المعروفة منذ عشرات السنين: «خلينا أصحاب أحسن»!!
ظلت يارا تبكي حتى طلبت الحساب وهرولت إلى المنزل تتلقى السباب من كل السيارات لأنها تجري بجنون في وسط الطريق، وقال لها أحدهم من خلف زجاج سيارته: «انتي يا غبية انتي انتي اتعميتي ولا إيه؟».
وصلت إلى المنزل.. خلعت كل ملابسها أمام المرآة وقالت وهي تبكي: «انتي الوحيدة اللي هتستمتعي بكده صح؟ أنا عرض مسائي كل يوم ليكِ.. بارقص لك استربتيز.. حتة حتة بتقع بس مش انهيار.. دي نشوة انتصار عندك.. على فكرة أنا مش هاقف قدامك تاني.. واضح إنك بخيتي فيَّ سرك الكريم ومش هاكون لحد تاني غيرك.. أو (دول) بالذات مش هيكونوا لحد تاني.. هو يعني انتِ ليكِ إيدين؟ بلا خيبة.. ده انا عايشة مع مراية مهكعة خردة».
الرغبة.. ليس للمرايا رغبة غير المشاهدة.. لا تعبر حتى عن حبها للجمال منذ أن عبرت آخر مرة في قصة «سنو وايت».. منذ هذه القصة العجيبة لم

تتحدث المرايا ولم تقل أنتِ أجمل وأشهى وأحلى.. ويا ليتها تتحدث إلى يارا التي تمتعها بجسدها الفائر البض كل ليلة..

«هو ليه حسن قال لي خلينا نكون أصحاب أحسن؟ هو إيه الأحسن في كده يعني.. أصلاً ما بتحصلش إن اتنين بيحبوا بعض بيرجعوا أصحاب، العكس بس اللي ممكن يحصل إنما ده مستحيل.. ارحمني بقى يا رب.. ارحمني يا رب وابعتلي أمنيتي وأمنية حياتي..»، قالت يارا لنفسها في لحظة شجن حتى دخلت أمها وقالت لها:

- يارا.. حبيبتي مش هتاكلي حاجة قبل ما تنامي؟

- لا يا ماما اقفلي النور والنبي لأن العرض هيبدأ.

- عرض؟ عرض إيه؟

- إيه؟ ولا حاجة.. ده فيلم هاشوفه على الكمبيوتر كده ما تاخديش في بالك.

كانت يارا تقصد بالعرض هذا العرض المسائي أمام المرآة.. أضواء خافتة وتأمل في جسد محموم بالوجد ومستعر بالرغبة ومتكئ على أمل المتعة..!

أطفأت النور إلا من ضوء خافت في غرفتها وقالت للمرآة:« إيه؟ عاجبك كده؟ النهارده يوم اسبيشيال، أنا بافكر أرقص لك بلدي.. آه فعلاً هارقص لك بلدي.. طبعًا عايزة تشوفي يا شقية.. يا قليلة الأدب اتكسفي بقى».

نامت يارا بعد رقصة عفوية مرهقة واستيقظت في الصباح تضع مكياجها وملابسها وحجابها وتنطلق في دوامة الحياة.. وهي تضع دبوس الإيشارب قالت للمرآة الصباحية: «طبعًا ده أتعس وقت ليكِ.. ما بتحبيش تشوفيني وانا بالبس هدومي.. أنا دلوقتي خضرة الشريفة لأني خارجة.. بالليل هاكون زي ما انتِ عايزة.. غجرية.. إسبانية.. أرجنتينية.. أرقص لك فلامنكو وصالصا وتانجو.. كل يوم رقصة.. يا بختك.. مين قدك ومين قدك يا عم لو كنت راجل.. لو كنت باعمل كل ده لمراية دكر.. ما انا مش عارفة جنسك وفصلك إيه بالظبط».

وبعد يومها المعتاد عادت إلى مرآة المساء قائلة لها: «لو كنتِ بتغيري منه

هو خلاص سابني خالص.. بس هو على الأقل كان بينكشني، إنما انتِ كده زي القطط تاكلي وتنكري، ده ما شافش ربع اللي شوفتيه.. ومع ذلك كان هيموت عليَّ.. زمان لما كان بيكذب عليَّ ويوعدني بالحب اللي عمره ما هيموت».

وخارج الغرفة كانت الأم تقول:

- يا حمادة قول لاختك تيجي تتعشى..

- حاضر يا ماما.

فتح حمادة الأخ الصغير باب غرفة يارا فارتاب من أن يصدق ما رآه أنها أخته ترقص عارية بشكل غريب وعبثي.. هو مجرد طفل صغير ولكنه لم يرَ شيئًا من هذا من قبل، وجحظت عيناه وأغلق الباب بسرعة ثم عاد ليقول لأمه مسرعًا:

- يارا بتغير يا ماما.

- ما لك يا حبيبي بتجري كده ليه زي ما تكون مخضوض من حاجة؟!

- لا يا ماما أنا باجري عادي يعني.

لم يكن ليارا سوى أخ واحد وهي الأخت الكبرى التي ملكت زمام المنزل مع أمها بعد وفاة الأب منذ سنوات.. كان الرجل الوحيد الذي يملأ المنزل بنفحات الرجولة التي يفتقدها المنزل الآن إلا من حمادة، ولكنها نفحات طفولية جدًّا.. لا تشعر بخشونة صوته ولا ترى شعر صدره في الصيف حينما يرتدي ملابسه.. إنها الرجولة التي تفتقدها بكل أشكالها منذ أن مات والدها..

وبعد أيام وفي فترة العمل، قالت سناء ليارا:

- سمعتي يا يارا إن حسن هيخطب؟

يارا «في اضطراب واضح»:

- حسن؟ حسن مين؟ حسن بتاعنا؟

- آه يا ستي هيخطب داليا زميلتنا.

يارا في انكسار:

- ربنا يوفقه ويوفقها.. هي طيبة وتستاهل كل خير.

«تستاهل كل خير» هي جملة المنكسرين دائمًا.. هي الجملة التي يرددها شخص تم هجره ليعلن صراحة أن حبيبه السابق هو كل الخير الذي يقصده!! إنها جملة ندم وليست مجرد أمنية بالسعادة!

كيف تشعر يارا الآن؟ ذهبت إلى المنزل بسرعة دون حتى أن تبقى لاستراحة الغداء بالعمل، وفتحت الباب دون أن تلقي التحية، ولكنها أسرعت إلى غرفتها وجلست ساعات وساعات تنتظر الليل حتى فرد الليل شراعه وخيم بأجنحته على قلب يارا قبل أن يخيم على الدنيا.. خلعت ملابسها للمرة الأخيرة وقالت للمرآة الليلية: «استمتعي للمرة الأخيرة.. دي آخر رقصة هارقصها لك لأني ما عدتش هاعرف أمتع حد، أنا مش هامتع إلا نفسي بس بعد كده.. الدنيا ليَّ أنا»..

في هذه المرة لم تشغل موسيقى شعبية أو أي موسيقى مناسبة للرقص ولكنها شغلت لحن «Mozart – Requiem» والغريب أنها كانت ترقص عليه بخلاعة واضحة وتضع أصابعها على شفتيها وتتغنج وتعض على أصابعها بشكل مغرٍ ومثير، ولكن ليس للمرآة التي لا تسمع ولا ترى.. إنها ما زالت تحدث المرآة في كل ليلة كالعادة..

وبعد نهاية الرقصة بدأت حفلة التحطيم.. كسرت كل أجزاء المرآة وصاحت في جنون: «خلاااااص متعتك راحت وراحت أيامها.. خلاص مش هاقعد اشيل مكياجي ولا اغير قدامك.. مش هتستمتعي بجمالي مرة تانية.. شوفي حد تاني تتسلي به من النهارده ولا انتِ ولا مراية النهار هتشوفوني.. أنا مش رحلة بحث عن راجل.. أنا مش رحلة بحث عن الكمال.. لأن خلاص.. أنا الكمال.. أنا لوحدي الكمال.. أنا مش شيء ناقص محتاجة حد يكملني.. أنا مش نص إنسان ومحتاجة حد يكمل نصي التاني.. أنا إنسانة كاملة.. أيوه باقول للعالم كله كاملة كاملة كاملة».

وفي معرض فني لعرض اللوحات، قال جاسر لياسمين:

- كل ده بتقوله الرسمة دي؟ يعني اللوحة دي اسمها إيه لو سمحت؟
- اسمها «رغبات المرايا».
- وعشان كده في اللوحة المراية مكسورة.. مش كده؟ بصراحة لوحة هايلة وحضرتك فنانة جدًّا.
- ميرسي.
- ممكن أعزمك على العشا النهارده لو وقتك يسمح؟
- أوكي أشوفك على العشا.

لم ينتبه جاسر للوحة.. كان طوال الوقت ينظر إلى ياسمين أو إلى خالقة عالم يارا الذي لا نعرف هل هو عالمها أو هو مجرد محض خيال.. كان الحب منذ النظرة الأولى يتفتق في ذهن جاسر وقلبه منذ أن وقعت عيناه على ياسمين.. كان الحب في أشد لحظات ياسمين حزنًا وهلعًا وهي تتحدث عن شخصية يارا وكأنها تعرفها جيدًا وكأنها تتحدث عن نفسها..

وتعددت اللقاءات بين جاسر وياسمين وبدأت المشاعر ترفع رايتها وبدأت مرحلة الاستسلام والسلام في القلوب وهي أولى مراحل الحب.. وكانت شخصية يارا هي محاولة التمرد على ناموس الكون.. محاولة التمرد على البحث عن النصف الآخر.. ولكن جاسر كان هو الطريق الاعتيادي والروتين الحياتي والحب الخالد..

ظهر جاسر في أشد الأوقات يأسًا أمام لوحة حزينة قتلتها الألوان.. وقتلتها رغبات المرايا..

وكانت آخر مكالمة لياسمين عبر الهاتف تطلب فيها أن تقابل من اشترى اللوحة لتعديل ستجريه عليها وتجعلها أجمل.

أظن أننا جميعًا عرفنا ما هو التعديل الذي ستجريه على اللوحة.. ستعيد المرآة المكسورة سليمة مرة أخرى في اللوحة.. ستعيد الاستسلام لواقع الحياة وأن تنظر في المرآة وتهتم بزينتها وحياتها..

من أنا؟ أنا مجرد راوٍ لقصة.. أنا من اصطدمت بكتف جاسر وهو يخرج

مسرعًا من القاعة في حالة حب غريبة:

جاسر: أنا آسف جدًّا.

معتز: ولا يهمك اتفضل.

جاسر: حضرتك كنت معانا في المعرض.. عجبتك اللوحة؟

معتز: ياسمين تستحق كل التقدير والاحترام.. حافظ عليها.

خرج جاسر متعجبًا من جملتي حينما قلت: «حافظ عليها».. ولكني عرفت مدى حبه لها حينما كان يغني أحد موشحات فيروز الأندلسية وهو يخرج قبل أن يصطدم بي.. وما دمت أصبحت في حالة اندماج مع موشح أندلسي فأظنك وقعت في دوامة الحب..

من أنا؟

لا يهم.. أنا أحد من حضروا المعرض وشاهدوا تلك المرآة المكسورة.. التي أصلحها الحب.. وأعادها للحياة.. الرغبة في الحياة..

سالي لا تفضل الباربكيو..

«الماضي ما هو إلا ذكرى اليوم، والغد هو حلم اليوم».
جبران خليل جبران

«هناك أشياء لا يمكن أن تختفي: الشمس والقمر والحقيقة».
بوذا

فيلم «مومينتو».. يشاهده حازم للمرة الخامسة عشرة تقريبًا، وأكثر ما يعجبه فيه هو الرجوع لاكتشاف ما حدث.. الرجوع بالزمن وبالذاكرة لاكتشاف ما يحدث له اليوم.. هل ما يحدث حقيقة أم سراب؟
يريد أن يعرف من الفيلم هل الحاضر هو كفاية حاجتنا أم لا بد من الرجوع للماضي لاكتشاف كيف وصلنا إلى هذا الحاضر؟ أم لا بد من النظر إلى المستقبل مهما كان الحاضر ملتبس أمره والماضي مكتمل غيمه!!
يجلس على أريكته المعتادة ويتناول فنجان القهوة.. الكافيين.. الذي يتعاطاه البشر يوميًّا لكي تصبح عيونهم أكثر استعدادًا للحقيقة.. «صباح الحقيقة».. «شمس الحقيقة» التي لا تضرب أشعتها في أعيننا إلا لتزيدنا ألمًا وولعًا فيصبح الكافيين في دمائنا أكثر يقظة وانتباهًا لاستقبال الحزن، ويا حبذا لو كانت السعادة..
كرة أرضية.. نصفها مخمور ونصفها يتعاطى القهوة.. كرة تكسرها خطوط طول وعرض وخطوط وهمية.. والخطوط الوهمية تقسم البشر كما تقسم الأرض.. نصف يريدون الاختباء في كأس الخمر ونصف يريد الاختباء في فنجان من إعصار الكافيين المعتاد يوميًّا وفي كل صباح جديد..

«أنا بقيت مدمن قهوة».. هكذا قال حازم لنفسه وهو يشرب فنجانه الرابع أمام الفيلم ويردد: «مش عارف ليه عايز افوق؟ طيب ما اجرب اسكر يمكن اوصل للحقيقة»..!!

«أنا عايز أجرب.. عايز أرجع للماضي واجرب أي حاجة».

«أي حاجة».. ركز جيدًا في هذه الجملة لأنها ستكون محور القصة التي يدور في فلكها حازم.. «أي حاجة» جملة فيها من الخنوع والضعف وعدم الاهتمام برأي الغير الكثير.. جملة زرعها فينا المعلم في المدرسة حينما اختار لنا حتى عدد أوراق «الكشكول» الذي سنحضره دون اختيار منا.. حينما اختاروا لنا حاكمنا دون اختيار منا، حينما اختاروا لنا ملابسنا أطفالاً بحجة أن ذوقنا ما زال في مهده.. لم نعطَ قط الحق في الاختيار مع أنه هبة من الله.. لماذا يختارون لنا كل شيء في هذا المجتمع؟ لماذا يختارون حتى في الزواج في بعض الأماكن دون اختيار الفتاة.. سلطة أم جبروت؟ نفوذ أم تمرد على قهر مسبق؟ رن جرس الباب وقاطع صوت الفيلم عند اقتراب نهايته.. فتح حازم الباب فوجد سالي، سألها:

- انتي مين؟

- هتعمل نفسك مش عارف عني حاجة؟

- أنا ماعرفش عنك حاجة.

- ده انا في حياتك كل حاجة.

- أنا شوفتك قبل كده ولا حاجة؟

- لا العفو.. أصل أنا مش خطيبتك ولا حاجة.. ولا كان بينا ميعاد ولا أي حاجة.

- انتي مجنونة ولا حاجة؟!

- انت اللي بتهرب من كل حاجة.

- اسمك إيه؟ قولي لي حاجة.

- اسمي سالي حاجة.

- مش عارفة اسم والدك ولا حاجة؟
- اعرف انت كل حاجة.
- مطلوب مني دلوقتي أي حاجة؟
- اطفي الفيلم ده اللي هيجننك وتعالى نخرج نعمل أي حاجة.
- نتغدى ولا حاجة؟
- افتكرتني ولا حاجة؟
- لا أهو خروجة مع غريبة وخلاص، واهو أي حاجة.. ما انا عمري ما اخترت حاجة.
- وحرية اختيارك مهمة في حاجة؟
- في الحب لا لكن مهمة في كل حاجة.
- انت غريب آخر حاجة.
- انتي هتقيميني ولا حاجة؟
- لا يا سيدي قوم البس بس أي حاجة.
- استنيني هنا خمس دقايق ولا حاجة.

ظلت سالي في غرفة المعيشة وهي غرفة لحازم الشاب العازب الذي لا يعرف حتى تلك المرأة التي تدعي أنها خطيبته التي من المفترض أنها تعرف عنه كل شيء وهو لا يعرف عنها أي شيء، ربما لأن هذا هو حال المرأة لن تعرف عنها أي شيء حتى وإن كانت أقرب لك من كل شيء وربما كان هذا بسبب أنه فعلاً لم يرها قط قبل ذلك..

بمجرد أن بدأ حازم يستعد للخروج ويرتدي ملابسه التي اختارها بإرادته تعويضًا عن حرمانه من الاختيار في الطفولة وتعويضًا عن عدم الاختيار في أي انتخابات حتى مع وهم حرية الاختيار والديمقراطية كانت سالي تعبث في كل أرجاء الغرفة..

- بتعملي إيه يا سالي؟!

هكذا ردد حازم في صرامة.

ردت سالي في خجل:
- أنا ما باعملش أي حاجة.
- انتي بتلمي صوري وانا صغير ولا حاجة؟
- أنا بس عايزة أشوفهم.. دي كل حاجة.
- لكن انتي بتخبيهم في شنطتك وشوفت كل حاجة.
- أنا بس عايزة أحتفظ بيهم.. تسمحلي ولا حاجة؟
- رجعي يا بنت الحلال كل حاجة.
- مش هتاخد مني حاجة.
- صوري دي الماضي بتاعي وكل حاجة.
- وإيه أهمية الماضي المهم الحاضر هو كل حاجة.
- أنا عايز الماضي بتاعي بيدلني على كل حاجة.
- ده وهم وأي حاجة.. الحاضر والمستقبل كل حاجة.
- يمكن أفتخر بيه ولا حاجة.
- الافتخار بالماضي ضعف في كل حاجة.
- رجعي صوري يا إما هتشوفي مني كل حاجة.
- مش هتاخد مني حاجة.

إنه أول شجار ينشب بين حازم وامرأة لا يعرفها.. امرأة تريده أن يهرب من قوقعة الماضي بمحو صوره وسجله القديم والنظر لحاضره ومستقبله..

- اهدى بقى وسيبني اتصرف في كل حاجة.
- انتي ليه بتدخلي في كل حاجة؟
- سيبني بس ويلا نروح ناكل أي حاجة.

خرج حازم مغلوبًا على أمره وقال لنفسه: «إن كيدهن عظيم» فعلاً.. استسلم لها تمامًا ولا يعرف لماذا.. ولكنه استسلام محبب إلى قلبه كما استسلم قديمًا للحب ولم يندم على استسلامه حتى الآن..

الحب والمرأة فقط هما الاستسلام الوحيد الذي لا يأتي بعد حرب بل يأتي

بعد حالة سلام.
وفي أحد المطاعم، قالت سالي:
- مش هتطلبلي حاجة؟
- أنا عايز أعرف منك كل حاجة؟
- ما تطلبليش فراخ باربكيو واطلب لي غيرها أي حاجة؟
- انتي يعني بتفكريني بحاجة؟
- جايز أقصد كل حاجة.
- إشمعنى الباربكيو؟! ليه ما قولتيش غيره أي حاجة؟ انتي عارفة عنها حاجة؟
- هي مين مش فاهمة حاجة؟
- لا مفيش أي حاجة؟
- طيب يلا هات لي حاجة.
قال حازم منفعلاً:
- انتي مين؟ مش فاهم حاجة.. يا بنتي قوليلي عنك أي حاجة.. أنا خارج معاكي وانا ما اعرفش عنك حاجة.
وفجأة تلتفت شخصيات متعددة في المطعم إلى مصدر الصوت.. وهم من جهات استقصاء الفضائح.. من بعض الشخصيات في مجتمعاتنا التي تهوى الفضائح لأنها ترى فيها خدعة طهارة أنفسهم في سقوط الآخرين!!
الشيخ: آاااااه يعني ما تعرفش عنها حاجة؟
حازم: لا يا شيخ ولا أي حاجة.
الشيخ: ده يبقى قلة أدب ولا حاجة؟
حازم: أنا مظلوم بجد.. دي ما اعرفش عنها حاجة.
صايع: بس دي مزة جامدة آخر حاجة.
سالي: ده بيعاكسني.. قوله حاجة.
حازم: ما يعاكسك أنا ما اعرفش عنك حاجة.

مدير المطعم: فيه إيه يا جماعة؟ هو فيه حاجة؟
- خطيبي بيهرب مني.. شكله مش عايز يحاسب ولا حاجة.
- يا عالم انا أصلاً ما خدتش حاجة.
مدير المطعم: واللي انت كلته سنين على الحساب وكل حاجة؟
- أنا أول مرة أشوف المطعم ده ما اعرفش عنه حاجة.
مدير المطعم: بوليس ولا حاجة؟
ضابط شرطة: أنا في الخدمة.. فيه أي حاجة؟
مدير المطعم: بيهرب من خطيبته ويقول ما اعرفش عنكوا حاجة، ومش عايز يحاسب على أي حاجة.
ضابط الشرطة: على القسم ولا حاجة؟
شحات: يا باشا اديني حاجة.
حازم: يا عالم أنا في الموقف ده ازاي؟ أنا عايز ارجع للماضي أعرف عنه حاجة.
الجميع يصيحون: الماضي ما قالش حاجة.. الحاضر كل حاجة.
وفي قسم الشرطة:
الضابط: في ساعته وتاريخه وكل حاجة قررنا حبسه أربع أيام ولا حاجة.
حازم: ده ظلم وكل حاجة.
الضابط: محدش هيسيبك ولا حاجة، تعمل نفسك مش عارف حاضرك وتتحجج بالماضي بتاعك ولا حاجة.
- ظلمتوني في كل حاجة.. عايز افهم منكوا حاجة.
الضابط: يا عسكري على القسم جهز له حاجة.
وفي داخل الحجز:
سالي: انت ليَّ كل حاجة.
حازم مفزوعًا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم انتي دخلتي هنا ازاي؟ انتي جن ولا حاجة؟ ده حجز حريمي ولا حاجة؟
سالي: انت في قلبي كل حاجة؟ بس هم مش هايسيبوك تعرف عن ماضيك

أي حاجة.. لأن الحاضر كل حاجة.
حازم: ضعف منهم ولا حاجة؟!
سالي: لا ضعف منك انت وكل حاجة.
حازم: دول مش عايزيني أعرف عن تاريخي أي حاجة.. وانا تاريخي هو كل حاجة.
سالي: ما هو ده ضعفك انت مش منهم ولا حاجة.. ماضيك مش كل حاجة.. اتمرد حتى على الحاضر.. التمرد على الحاضر أول درجة للوصول لمستقبلك الجاي ولا حاجة.
حازم: من غير ما اعرف عن الماضي أي حاجة؟
سالي: والماضي يعني هيفيدك بحاجة؟
حازم: جايز اعرف منه دروس ولا حاجة.
سالي: فايدته الوحيدة الدروس عشان تدفعك للأمام، ولكن انت ممكن تعرف دروس أكتر في الحاضر من البشر حواليك كلهم دروس وكل حاجة.
وفجأة يخرج من جميع أركان الحجز الضيق فرقة وأنغام صاخبة وكأنها حفلة زفاف: «دقوا المزاهر يلا يا اهل البيت تعالوا.. جمع ووفق والله وصدقوا اللي قالوا».
حازم في صدمة رعب: ده كابوس مش أي حاجة.
سالي: ده فرحنا يا كل حاجة.
الشيخ: ده حلالك وكل حاجة.
حازم: انتو ازاي كلكم جيتوا هنا مش كنتوا في المطعم؟
مدير المطعم: جايين نشهد على فرحك مش أي حاجة.
حازم: طيب والماضي عايز اعرف عن سالي حاجة.
مدير المطعم: مش مهم أي حاجة المهم تعرف حاضرها وكل حاجة وتبص للمستقبل معاها وكل حاجة.
الضابط: دقي يا مزيكا.

ويصبح المشهد أكثر غرابة حين يرقص الضابط بالعصا «رقص بلدي» في مشهد فانتازي غريب لا يعرف له حازم تفسيرًا ولا تدبيرًا..

حازم يحدث نفسه في وسط الفرح ويقول: أنا في مجتمع مش سامح لي أعمل زي «مومينتو» أنا في مجتمع مش «مومينتو» مش عارف أرجع للماضي عشان اعرف ازاي انا في الحاضر ده.. ماحدش عايز يسمع عن تاريخي والماضي بتاعي، كله عايز يشوف الحاضر وهاعمل إيه في المستقبل.. الظاهر زهقوا من الكلام عن التاريخ والماضي.. ما عادوش سامحين لي أتكلم عن تاريخي وفتوحاتي، كلهم عايزيني في الحاضر وبس، وافكر في المستقبل وبس.. يا عالم ازاي الماضي ما عادش له قيمة؟

إيه ده؟! أنا بطلت أقول كلمة «حاجة» ما قولتهاش ولا أي حاجة!!

وخرج حازم من الحجز بعد سنوات ليجد الأرض مزهرة والطرق نظيفة والناس في أفضل حال، وحين نظر خلفه وجد لافتة على الحجز مكتوب عليها «حجز الحاضر».. وخرج إلى المستقبل مع سالي، وما زال حتى الآن لم يعرف شيئًا عن الماضي..

ولكن الأغرب من هذا أنه ببدلة الفرح ومكتوب على ظهر البدلة «مصر».. وسالي بفستان الفرح ومكتوب عليها «الحاضر»..

إن المجتمع لن يسمح بالحديث عن الماضي أكثر من هذا.. نريد الزواج بالحاضر.. ولن تسمح لك شخصياته بالحديث عن الماضي حتى وإن دبروا زيجة من حاضرك لكي تنظر إلى المستقبل.. المستقبل الذي تختار فيه كل شيء.. دون أن تقول «أي حاجة»..!!

سر الكوخ المعكوس

الطفولة.. هذا العالم الحالم السعيد.. هذا العالم الذي يدور في فلك السعادة والمغامرة ولا يدور إلا حول نفسه فقط.. في فلكه فقط.. في تخيلاته فقط..
هل أصدمكم أنكم أطفال؟ كلكم أطفال.. أو على الأقل تكملون حلم الطفولة في شبابكم وكهولتكم..
أطفالاً نحن كنا نشير إلى القطارات على القضبان الحديدية بإشارات وداع ولا نعرف سببًا.. والآن أدركنا أن سائق القطار هو العمر وما زال في انتظارنا في «آخر محطة»..
أطفال نحن حينما كنا نخاف من الغرباء.. والآن أدركنا أن الغرباء هم قصتنا الأغرب.. ودائمًا ما نكمل تفاصيل الحقيقة من ملامح الغرباء..
أطفال نحن حينما كنا لا نعرف أن نكمل صورة «البازل» دائمًا نبحث عن القطعة الناقصة.. والآن أدركنا أن القطعة الناقصة لإكمال الصورة هي «الروح» بينما اللوحة كلها هي «الحب»..
كنا أطفالاً جدًّا حين بكينا أمام قطعة الحلوى.. وحين كبرنا بكينا أمام «الجمال»..
كنا أطفالاً حين تفوهنا لأول مرة بكلمة «ماليش دعوة».. وكأن تلك الجملة أول مدخل من مداخل الوحدة التي نعيش بحثًا عنها ولا ندركها إلا من بين أنوف الناس التي اندست في شئوننا وخصوصيات حياتنا..
كنا أطفالاً جدًّا حين هللنا أمام بداية فيلم «الرسوم المتحركة».. وحين نضجنا عرفنا أن البشر مجموعة رسوم متحركة.. ترى حركتها حسب قدرتك ومخيلتك في رسمها وتناسق الألوان فيها.. تراهم كيفما رسمتهم في ذهنك..

كنا أطفالاً حين اختبأنا خلف الحائط من أصدقائنا.. وحين نضجنا ووقعنا في المحن خرجنا من خلف الحائط بحثًا عنهم فوجدناهم عادوا هم للطفولة واختبأوا هم خلف الحائط منا.. عادوا للطفولة أو هكذا نفسر ونبرر لهم التفسير الأجمل..

كنا أطفالاً حين استنشقنا أول عادم «موتوسيكل» وأعجبتنا رائحته المقززة.. وكأننا نحن لبعض الصعوبات ونحن لمقدرتنا على حلها ونحنُّ إلى إخراج البطل بداخلنا..

كنا أطفالاً حينما قرصنا أول «خد» وأعجبنا الملمس والقرصة.. والآن نترك خدنا للدنيا لعلها تقرصنا وتربت على أكتافنا وتهون عنا الأصعب.

كنا أطفالاً حينما زارتنا حمرة الخجل.. وكبارًا حين زارتنا حمرة من لفح الانتظار ومواعيد الحب..

كنا أطفالاً حينما ضربنا الأرض بأقدامنا وصرخنا من رغبتنا.. وكبارًا حينما زلزلتنا الأرض ردًّا علينا وأنبتت لنا جنها المسحور أو نباتها الشيطاني..

كان مازن يختبئ في هذا الكوخ ربما من العالم، وربما من الحب، وربما يرسمه كمجرد هواية، ولكنه ظل يرسم نفس الرسم لسنوات طويلة دون أن يجد لذلك تفسيرًا منطقيًّا..

منذ الطفولة وهو يرسم نفس الشكل في كل الصفحات وفي كل الكتب وهو شارد تمامًا..

كانت اللوحة عبارة عن كوخ صغير وحوله الأمواج وبعض الطيور في السماء وأمامه رحابة البحر وعنفوانه.. لا يرسم جيدًا.. لم يتعلم أبدًا الرسم ولكن تلك اللوحة بالذات كان يرسمها بكل دقة وحرفية وكأنها جزء منه ومن هويته..

أعطاه زميله ذات مرة أحد الكتب في المدرسة فأعاده له مملوءًا بذلك الرسم الغريب وسط اعتذارات لصديقه جاسر على ما فعله في الكتاب:

جاسر: يا ابني إيه اللي انت عامله في الكتاب ده؟! انت لسه بترسم الرسمة دي؟

مازن: مش عارف يا جاسر.. أنا آسف.. بس بجد مش باركز وانا بارسمها، ومش عارف يعني إيه أصلا.

جاسر: انت عارف إن فيه ناس بتعرف شخصيتها من خلال الرسم بتاعها.. خصوصًا لما يكون رسم متكرر طول حياتك بالطريقة دي بيسموا الاختبار ده «Drawing Personality Test».

مازن: لا يا سيدي بلاش الحاجات دي أحسن تطلع نتيجة تخوف ولا حاجة ولا اطلع مجنون في الآخر.

جاسر «ضاحكًا»: لا العفو هو دي طريقة مجانين خالص؟ ده انت هريت الكتاب كله من أول صفحة للجلدة.. ده انت سيد العاقلين.

مرت سنوات وسنوات وما زال مازن في الحالة نفسها.. يملأ استمارات في عمله بالرسم نفسه وسط صيحات تعجب من المدير:

مدير العمل: إيه يا مازن ده؟ أنا قولت لك لو تعبان خد إجازة، ده ما ينفعش في الشغل.. بقالك تلات ساعات بدل ما تخلص التقرير بترسملي كوخ وبحر؟

مازن: أنا آسف حضرتك.. بجد مش عارف مالي مش مركز اليومين دول.. أنا هاحاول أظبط نفسي.. أنا فعلاً محتاج إجازة يومين.. وأوعدك هابقى تمام جدًّا.

خرج مازن من العمل مسرعًا يلملم أوراقه المبعثرة استعدادًا لقضاء إجازته أو فترة نقاهة، إن كان ما فيه في نظر البعض مرضًا أو اضطرابًا، ولكنه كان يجد ما يفعله مجرد تسلية صبيانية بحتة وليس بهذه الدرجة من الخطورة التي يدعيها البعض..

ركب سيارته وبدأ يسمع صوتًا غريب في أذنه يردد: بيتا ألفا ثيتا دلتا.

بيتا ألفا ثيتا دلتا.

بيتا ألفا ثيتا دلتا.

زادت حدة توتره مع زيادة الصوت في السيارة.. صرخ من الشباك من

الصوت الذي يملؤه ولا يفهم معناه.. هرع سريعًا إلى بعض الأوراق وكأنه يريد العودة للكوخ الآن للخروج من هذه الحالة ويهدأ وكأن رسمة الكوخ بالنسبة له مثل المهدئات أو مثل الحشيشة المغربية في نظر البعض، تأخذه لعالم أجمل وأرحب وتملؤه بحالة من السكينة والعزلة..

«ما الذي حدث؟ أين أنا؟».. هكذا سأل مازن نفسه في دهشة وريبة.. لا يعرف أين هو الآن.. آخر ما يذكره هو أنه أمسك قلمه وبدأ في رسم لوحته المعتادة: كوخ وبحر وطيور وبعض الرتوش الأخرى.. ولكن ما هذا المكان؟

يقولون دائمًا «الجواب بيبان من عنوانه»، ولكن في هذه الحياة الكثير من الخطابات بلا عناوين ولا مرسل إليه.. إنها طلقة حرة كالسماء.. إلى من يهمه الأمر وأحيانًا لا يهم أحد أي أمر!!

لو كان للدهشة صوت لصرخت الآن وولت من مازن فرارًا وملئت منه رعبًا!! مكان لا يعرفه.. ولكن طريق طويل وقفت فجأة أمام السيارة سيدة عجوز على كرسي متحرك تقول لمازن:

- والنبي يا ابني عديني الطريق..

- إحنا فين يا حاجة؟ وإيه المكان ده؟ واعديكي فين؟ ده طريق مالوش بر ولا نهاية؟

- طيب عرفت بدايته لما بتسأل على نهايته؟

- أنا لقيت نفسي هنا وما اعرفش ازاي.. وازاي أخرج.. أرجوكِ دليني.. شكلك صاحبة مكان وعارفة.

- هو المكان ده ليه صاحب؟ ده حتى البشر مالهومش صاحب..

- طيب أرجع ازاي؟ أخرج من هنا ازاي؟ مش عايز أكمل.

- ده مكتوب إنك تكمل.. حتى لو شوفت الموت في النهاية.. ده طريق القدر.

- طريق القدر؟؟

- يمكن القدر أو يمكن حاجة عكس عكاس زي المراية.

- يا ستي انتي حيرتيني.. إيه هو اللي عكس عكاس زي المراية؟

انصرفت السيدة على كرسيها المتحرك ولم تجب مازن عن أي سؤال، وكل ما فعلته أنها زادته حيرة وقلقًا وهو يشعر أنه في متاهة أبدية لن يستطيع منها فكاكًا..

لم يجد أمامه في طريق القدر إلا السير.. وقفت السيارة ولم تتحرك فمشي على قدميه أميالاً ولا يشعر كم سار تحديدًا..

ساعات وساعات حتى بدأ يسمع صدح طيور في السماء وصوت كالبحر من بعيد.. هرول مسرعًا وخيم الليل بأجنحته على مازن والمشهد حتى وصل مازن أخيرًا ويا ليته ما وصل قط..

خر مازن على جبهته من قسوة المشهد.. وكأن الدنيا تنشب مخالبها في صدره وتعصره إلى أسئلة بلا أجوبة.. إنه حصار كامل لعلامات الاستفهام يردد: «سلم عقلك وإلا هنضرب في المليان»!!

إنها هي.. إنها اللوحة تمامًا كما يرسمها مازن كل ليلة.. إنه الكوخ والبحر والطيور.. هل دخل لوحته المجنونة؟ أم هل أصابه خبل كامل؟ أم هو مجرد حلم؟

نعم إنه حلم.. هكذا قال لنفسه كي يطمئن نفسه في أول الأمر.. ولكن طالت الأيام والليالي وهو في نفس الرسمة.. كيف يكون حلمًا.. إنه واقع غريب مقلق محير لا ينفع معه المنطق ولا يجدي معه جنون الخيال..

بات ليلته أمام الكوخ وكان يستمتع برسمته بشكل ثلاثي الأبعاد.. بل قل خيالي الأبعاد، فهو داخل الرسمة بالفعل ولا يراها فقط مجسدة..

قال وهو يصرخ ويرتجف من العطش والجوع: «أنا مش هاموت هنا.. أنا اللي خالق المكان ده.. الكوخ ده بتاعي.. الأرض دي بتاعتي.. حتى الطيور دي أنا اللي عاملها.. إيه؟ انتو مين؟ انتو مين؟ مين هيموتني في العالم بتاعي؟ انتو بتحلموا.. أنا فايق وانتو بتحلموا».

لم يفق إلا على يد امرأة درية أو مصفوفة ملائكية رياضية معقدة بلا حل ولا تلميح.. لها صوت السماء وصخب الأرض ولسعة السوط المدهون

بالشوكولاتة.. مألوفة كأنها نفسك وغريبة كأنها نداء الآخرة.. كأنك ترى حول حسنها الناس سكارى وما هم بسكارى..

قالت في رهف: اشرب المية دي هتبقى كويس.. صدقني.

«صدقني»؟ وكيف لا يصدقها؟ إنها قبس من الصدق يوازن كذب الدنيا والبشر.. بل ويقلب عليه الميزان بالكامل.. قال لها مازن:

- انتي مين؟

- مش هتعرفني دلوقتي.. لازم تقعد معايا سنتين.. في نفس الأرض دي.

- لكن انتي بتاعتي.. انتي ملكي زي الكوخ والسما والطيور والبحر ده.. انا اللي راسمكم.

- انت مش خالق.. ممكن تكون ريشة لخالق أعظم وأقوى.

- ونعم بالله، بس العالم ده كله بتاعي أنا.. قصدي اللوحة دي بس.. انا مش باتكلم عن العالم كله، لكن كل اللي احنا فيه ده بتاعي وملكي.

- كل الأرض دي هتبقى ليك.. لو فضلت معايا سنتين.

- ليه سنتين؟!

- هم قالوا لي سنتين.. تاخدني وتاخد الأرض بعد سنتين.. يمكن هم مش حقيقة يمكن زي المراية عكس عكاس.

- برضه عكس عكاس؟ انتي تعرفي الست العجوزة اللي قابلتها؟

- هنا محدش يعرف حد.. كل واحد سارح في ملكوته..

- أنا مش فاهم حاجة لكن هافضل معاكِ لحد السنتين ما يفوتوا.. لكن هاشرب واكل فين.. أنا كده ممكن أموت.

- صقف بإيدك تلاقي اللي نفسك فيه إلا أنا.. أنا ممكن تشوف الكوخ بتاعي من برة بس.. محرم عليك تدخله.

- ليه الكوخ ده بالذات؟

- مش عارفة هم قالوا كده.

- هم مين يا بنت الحلال جاوبيني؟

- ما اقدرش.. ده سر.. أنا هاقوم دلوقتي..

عاش مازن أيامه ولياليه يتمنى ويجد ما يتمناه أمامه.. طعامًا وشرابًا ونساء كما يشتهي.. صدورهن شهية كالرمان وأفخاذهن متماسكة كالجياد وخصورهن مائلة متموجة مثل الموال الشعبي.. عاش أيامه كانه في جنة من صنعه.. ما يرغبه يجده في أي وقت وبمجرد «تصفيقة»..

ولكن ظل يتابع من بعيد أول امرأة قابلها.. ظل يتابع الكوخ بحذر.. الكوخ الذي ينير ليلاً وسط أصوات ضحكات غريبة وجملة مثل صدى الصوت تقول: «عاد ومال إليَّ هو».

من هو؟! ماذا تعني هذه الجملة: «عاد ومال إلي هو»؟ عاد ومال إليها؟ من هو؟ ما هذه الشيفرة الغريبة؟!

كان كل يوم مثل سابقه في تلك البقعة من خريطة العجب.. يستيقظ كيوبيد وكأنه يقوم من الموت ويضرب سهمه في الكوخ فينير بنور سماوي غريب وتتناثر الرسائل ويصيح الصوت: «عاد ومال إلي هو».

كل يوم المشهد نفسه تقريبًا إلى أن انتهت السنتان.. كان يحسب الأيام كما يحسبها العشاق بالدقيقة والثانية.. كان يقف كل يوم أمام الكوخ ويقول: «يا لها من قصة حب.. يا لها من امرأة سعيدة.. عاد إليها حبيبها.. وتنير الكوخ في كل ليلة بسعادتها وضحكها ورسائل الغرام».. كان يحسدها من فرط سعادتها بحبها وعشقها الأبدي.. كان يتمنى أن يكون هو صاحب هذه الملحمة العشقية..

قال لنفسه: «يا أجمل النساء.. ليتني زهرة تموت في يديك ولا تجد سقياها إلا في ندى خدك المقتول حسنًا.. من هو؟ من الذي عاد؟ هل تتحدثين عني يا عصير الأنوثة الأشهى والأطيب؟ كم أنتِ سعيدة ومبتهجة وكأنك ترين سرابًا في وسط صحراء لقوس قزح أو بحيرة بعد عطش.. كم أنتِ مبتهجة بعودة حبيبك.. يا ليتني مثلك أبتهج بعودة حبيبتي.. أو تعودين إلي أنتِ وتعوضينني عن سنوات عذابي».

انتهت السنتان.. جرى سريعًا إلى الكوخ.. فتح الباب ولم يجد أحدًا..
بدأ المشهد يمحى تدريجيًّا.. عادت إليه سيارته.. انتهى تأثير «الصقفة» العجيبة.. وجد السيدة العجوز مرة أخرى.. تقف أمام سيارته وترفع لافتة مكتوب عليها: «زي المراية عكس عكاس».
وجد طفلاً صغيرًا يرسم على جدار مصطنع في وسط الصحراء ويكتب: «زي المراية عكس عكاس».
جرى مسرعًا وراء هذا الطفل وأمسك به وقال: «إنت مين؟ انت بتكتب كده ليه؟ مين قال لك تكتب كده؟ مراية إيه وعكس عكاس إيه؟ وفين الكوخ اللي كان هنا؟».
لم يجبه الطفل وبكى بصوت هز السماء إلى أن سد مازن أذنيه في ألم وقال: «كفاية.. كفاية.. امشي من هنا.. صوتك مرعب».
وجد طوال طريق خروجه من اللوحة بشرًا على جانبي الطريق كلهم يمسكون لوحات مكتوب عليها: «زي المراية عكس عكاس».
بدأ يحاول فهم ما الذي يقصدونه؟ ما الشيء المعكوس في هذا العالم إذا لم يكن كله معكوسًا أصلاً؟
وعاد الصوت يردد: «عاد ومال إلي هو».. وفي الوقت نفسه يرى جملة «عكس عكاس».. والآن بدا له المشهد جليًّا وبدأت الرؤية في الوضوح..
بدأ في عكس كل ما يراه..
الجملة تقول: «عاد ومال إلي هو»، وإن عكست حروفها وقرأتها من اليسار تقول: «وهي لآلام وداع».. إنها الشيفرة.. إن كل شيء معكوس كالمرآة في تلك اللوحة..
عاد مسرعًا إلى الكوخ ووجده مشتعلاً حتى آخره وشبه متفحم..
المشهد معكوس كليًّا.. الجملة تقول «وهي لآلام وداع».. والنور ليس نورًا إنه نار.. والرسائل رسائل وداع وكيوبيد لا يقوم من موته ويضرب سهمه في قلب الكوخ بل يضرب في مقتل من الكوخ نفسه ويخر صريعًا..

إنها اللوحة المعكوسة المذهلة..

بكى مازن من مشهد امرأة ملائكية تحترق بفعل الهجر والوداع.. قال له الصوت من بعيد: «لوحتك تقول لك.. إن تأملت في الحياة فتأمل من بعيد.. لا تقترب أكثر فقد لا يسرك ما تراه.. قد ترى الأنانية في من تظنهم أهل التضحية.. قد ترى الهجر في من ظننتهم أهل الحب والغرام.. قد ترى الخيانة في من ظننت أنهم أهل النبل والوفاء.. انظر إلى الحياة مثل اللوحة.. كوخ وطير مغرد وأمل.. فإن دخلت لوحتك قد تقتلك صرخة الألوان».

قال لنفسه: «من ظننتها تضحك وتشرب نخبًا للحب كل ليلة كانت تحرق الرسائل وتبكي.. أعطتني القدرة على تحقيق الحلم بتصفيقة كي أبتعد عن الكوخ ولا أقترب.. كانت لا تريد أن تحرق قلبي بقصة هجر جديدة.. ولكن المرأة العجوز كانت هي اليأس الذي أعادني إلى أن أتحقق من كل شيء وظهر مثل مرآة عاكسة..

«الأفضل أن نرى الأشياء من بعيد.. الأفضل أن نظل نعيش بالأمل ولو كان كاذبًا بدلا من أن نقترب من الحقيقة ونجدها موتًا ونارًا تأكل الأخضر واليابس في صدورنا»..

أهذا هو سر اللوحة؟!

وخارج إطار اللوحة الغريبة، في أحد أقسام الشرطة:

الضابط: اقفل المحضر يا ابني.. هيتحول لمستشفى الأمراض العقلية..

مازن: أنا ما قتلتش حد.. أنا ما قتلتش حد.. هي اللي حرقت الكوخ.. كل حاجة زي المراية عكس عكاس..

الضابط: تمام تمام.. خدوه من هنا بسرعة.. مراية إيه وكلام فارغ إيه؟

وبعد لحظات ومع خروج مازن..

العسكري: واحدة سابت لحضرتك الورقة دي يا حضرة الظابط.

الضابط: واحدة مين؟

العسكري: مش عارف يا افندم.. واحدة وشها متشوه كده أو محروق وسابت

الورقة دي.
وقرأ الضابط الرسالة التي قالت: «مازن مش مجنون.. انتو اللي عالم مجنون ماشي بالعكس.. هو بيحكي عن اللوحة.. لوحة الدنيا والحب.. وانتو عايشين جواها مش عايزين تبصوا لها من بعيد.. بتبصوا لكل حاجة وحشة فيها ومش بتتأملوا فيها من بعيد وتشوفوا فيها الأحلى والأطهر.. مازن ما حرقش الكوخ.. أنا حرقته.. مازن مش مجنون».
صاح الضابط: هاتوا الست دي بسرعة.
العسكري: مشيت يا افندم كأن الأرض انشقت وبلعتها..
عاش مازن سنوات في مستشفى الأمراض العقلية ظلمًا وبهتانًا.. ولم يقم بزيارته إلا الضابط الذي بدأ يصدق القصة كاملة، ولكن كيف يصدقه العالم..
شاهد السيدة ذات الوجه المحترق عدة مرات وتركت له الورقة التي تقول مثل رواية مازن: «وهي لآلام وداع».
عاش الضابط في حيرة.. وأقفل المحضر في ساعته وتاريخه..
ولكن من التي قال عنها مازن: «ما قتلتهاش.. ما قتلتهاش»؟! لا أحد يعرف إلا الضابط ومازن فقط..
انه سر اللوحة..
إن عرفت.. فهنيئًا لك.. وإن لم تعرف.. فهنيئًا للوحة الغامضة.. سأساعدك قليلاً وأهمس في أذنيك: «بيتا ألفا ثيتا دلتا.. بيتا ألفا ثيتا دلتا»..

سارة بتاعة زمان

اختلطت مشاعر سارة في هذا اليوم وأضحت ضحكتها المتفجرة من وجنتيها وثغرها المعسول مجرد أضغاث أحلام.. هو يوم زفاف سارة.. لكل الفتيات ربما يكون من أسعد الأيام، ولكن سارة ما زالت رهينة الماضي.. وكم من الدموع سقط باسم الماضي، وكم من ذكريات اغتالت فينا أسعد الأيام وأكثرها اخضرارًا وأملاً!!

لم تعتبر أصوات الأغاني حولها وأصوات «الزغاريد» إلا مجرد حفل تأبين لذكرى رجل قد اختفى.. نعم قد اختفى منذ سنوات بعد قصة حب كثيرًا ما تحدث عنها أصدقاء عمر وأصدقاء سارة.. فجأة اختفى أو كما هو اسم الرواية «ذهب مع الريح».. لا تعرف سارة ماذا حل به.. هل مات؟ هل اقترف فعل الخيانة وتركها فجأة بعد حب ملأته السنوات والأيام بالشباب والأحلام الوردية.. كانت قصة حب كثيرًا ما قالت عنها: «إنها كشف خمار أنوثتي على دمائي وكأنهما يتعارفان لأول مرة»، ولكن لم تدم القصة طويلاً ولم تكتمل الأنوثة حتى خرت صريعة في يد رجل آخر..

«أين أنت يا عمر؟ لماذا تركتني؟».. هكذا رددت لنفسها أمام المرآة وهي تتزين لرجل آخر في يوم العرس.. اختلطت الدموع بالكحل في تلك اللوحة الباكية الأنثوية الحزينة التي اشتهرت بها النساء.. تختلط الدموع بالكحل وكأن الماء يختلط بالتراب ليخلق رجلاً أو شفقة رجل أو حب رجل أو كسر قلب رجل من طين اللحظة الدمعية تلك..!!

سارة لم تكن الأولى في فقد من تحب ولكنها كانت ترى نفسها أول من فقد وأول من قتل.. العاشق لا يهمه الجملة الغبية التي تقول: «هو انت يعني

أول واحد ضاع حبيبه؟».. ففي عالم العاشق يبقى هو الأول ويبقى هو الآخر.. قوانين الحب لا تسري بأثر رجعي.. فالعاشق لا يراجع قصص من سبقوه ولا يقول لنفسه: «أنا لست الأول»، بل يرى نفسه ويرى قصة حبه متفردة في هذا العالم ولا تملأ الكتب ولا ترددها ألسنة النساء..

في تلك اللحظة على أبواب الغرفة وقف ياسين يتحدث للهاتف ويردد وكأنه يسجل لنفسه ويقول: «هي دلوقتي بتعيط.. لسه بتفكر في الماضي.. قدام المراية بتشوف نفسها وبتعيط.. فعلاً.. أنا لو كنت مكان المراية كنت عيطت من جمالها.. أنا مش عارف بتقدر تبص لنفسها ازاي في المراية؟! لكن الماضي ده راح وانا الحاضر والمستقبل.. خلاص أنا دلوقتي كل حاجة في حياتها أو هتتعود على كده.. وهو ده الحق، أنا باحبها بقالي عشرين سنة وهي مش حاسة بي».

نظرت إليه سارة وهي تمسح سيل الدمع وتقول:

- ياسين؟ انت جيت يا حبيبي؟ انت بتكلم حد؟

- إيه؟ لا لا أبدًا ده ده.. دي نمرة غلط.

- انت سعيد يا ياسين إننا هنعيش مع بعض؟

- أنا أسعد إنسان في الدنيا.. لكن انتي ليه دموعك على خدك؟

- دموع الفرح يا ياسين.. دي دموع الفرح.

لا نعرف ما الذي يبكي الإنسان حين يفرح إلا قبس من نشوة الغرور.. إنه وصول الفخر بنفسه إلى حد الجنون أو وصول فرحته بغيره إلى حد التضحية أحيانًا.. فهو يبكي في النهاية إما غرورًا وإما إخلاصًا غريبًا حده السماء..

كانت سارة تكذب في تلك اللحظة وهي تقول إنها دموع الفرح.. وهي دموع تقتل كل فرحة فيها.. إنها دموع الذكرى..

سنوات من السعادة، ولن أقول الحب، عاشتها سارة مع ياسين وكانت داخلها دائمًا تتمنى أن تكون هذه السنوات مع حبيبها السابق، عمر ولكنه القدر الذي حطم أشرعة أمالها في لجج بحار الألم..

وكانت سارة في تلك اللحظة تعد فنجان الشاي لياسين، ولكن استوقفتها همساته المعتادة وهو يردد للهاتف وكأنه يكلم نفسه ويقول: «أنا في منتهى السعادة مع سارة.. كام سنة وانا باتمنى اليوم ده إني أعيشه.. إني أملكه.. والنهارده كل أحلامي بتتحقق.. النهارده وانا باشوف سارة قدامي ويجمعنا مكان واحد وحلم واحد باشوف السعادة خمرة باشربها وتاج بالبسه في حلم ملك وقصر خيالي.. أنا لسه باقول لنفسي مش مصدق، وكل يوم باطمن نفسي وأقول لا صدق انت عايش الحقيقة.. حقيقة سارة.. حقيقة الجمال».

تعودت سارة أن تسمع ياسين وهو يتحدث لهاتفه وكانت المكالمة دائمًا دون رد، ولهذا خمنت أنه يسجل لنفسه على مسجل الهاتف مذكرات حياته، ربما لأنه يعشق الكتابة، فلم تُرِد أن تتدخل في شئونه بالنسبة لمذكراته ولا أن تتطفل عليه إلا حينما يعرضها عليها هو بنفسه ويعطيها ما كتبه لتقرأه..

عاد ياسين في أحد الأيام وهو يلهث وكأنه خرج من سباق للركض، وكان الإنهاك يظهر عليه بشكل واضح وبعض الطين على البنطال وسألته سارة في دهشة:

- ما لك يا ياسين؟! انت كنت فين؟! في ايه؟! انت كنت بتتخانق؟!

- دي قصة طويلة يا سارة هاحكيلك بعدين.

- يعني إيه هاتحكيلي بعدين؟ أنا مراتك ومن حقي أقلق عليك..

- قولت لك هاحكيلك بعدين يا ريت تحضري لي هدوم نضيفة بعد إذنك.

جلس ياسين في تلك الليلة في شرفة المنزل يحتسي فنجان الشاي ويقرأ كتابه الذي يقرأه كل أسبوع بشكل معتاد «great expectations» للكاتب تشارلز ديكنز، وقال لسارة فجأة وهو يتأمل بعينيه قلقها:

- عارفة؟ أنا قريت الرواية دي عشرات المرات.

- هي رواية متميزة جدًّا، ولكن انت متعلق بيها بشكل غريب.

- شخصية «ميس هافيشام» يا سارة.. مرعبة جذابة.. انتقام المرأة بتحس بالخيانة أضعاف انتقام الرجل.. المرأة لما بتحس بالخيانة بتحس إنك ما

خونتهاش بس ده انت خنت كيان الأنثى جواها.. الكيان المقدس اللي قعدت سنين تبنيه وتولع فوقه الشموع عشان الرجل اللي في لحظة يخونها..
إنما ساعات انتقام الرجل بيكون شرفه وكبرياؤه فقط.. وساعات تانية عشان الحب.. لكن يبقى انتقام المرأة أقوى.. شوفتي ازاي في الرواية «ميس هافيشام» عاشت بروح الانتقام؟ شوفتي ازاي كانت بتربي البنت اللي اتبنتها إنها تعيش بدون قلب وتكسر قلب اللي تحبه؟ شوفتي ازاي عاشت بفستان فرح وهي مكسورة ووقَّفت الساعات بتاعة القصر بتاعها على لحظة الخيانة؟ شيء رائع.. قصة مرعبة وغامضة ودرامية وحزينة ومدهشة.
- بس دي روح انتقامية سودا قوي.. المفروض برضه نسامح.
- مفيش تسامح يا سارة مع حد بيكسر حلمك من الجذور.. مع شخص خد منك كل حاجة وسابك ولا حاجة.. لو سرق مني حاجة مادية ممكن أسامحه.. لكن سرقة القلوب مافيهاش تسامح إلا لو سيبت قلبك يتسرق بإرادتك في الحب بس.
- بس انت يا ياسين قلبك زي قطعة السكر حتى لو اتكسر هيبقى منه فتافيت حلوة، انت مش بالروح دي تمامًا أنا عشت معاك سنين وعارفة إنك إنسان طيب، عشان كده باستغرب من حبك للرواية دي وتعلقك بالشخصية دي بالذات.
- ربنا يخليكي ليَّ يا سارة ونعيش سوا في حب لآخر العمر.
أيها القراء الأعزاء.. حتى الآن كيف تحكمون على شخصية ياسين؟ مثالي؟ طيب جدًّا؟ مخلص عاشق؟ رب أسرة؟ إنسان عادي مألوف؟
أيها القراء الأعزاء.. لو انتهت القصة عند هذا الحد فكيف تحكمون على ياسين؟
دعونا نؤجل رؤيتنا لياسين حتى النهاية..
في أحد الأيام بعد عام آخر، قالت سارة لياسين:
- إيه الورقة دي يا ياسين؟

- ده ده عقد كده.
- انت مخبي عليَّ إن ليك حتة أرض في المنطقة الغريبة دي؟
- ده موضوع قديم ما تشغليش بالك.. ده استثمار سايبه للزمن.
- دي منطقة تستثمر فيها؟
- بكرة المنطقة دي اللي مش عجباكي هتشوفي هيوصل فيها المتر لكام.. بس اصبري.

استثمار؟ قطعة أرض؟ ولكن هل هذه الحقيقة؟

إليكم المفاجأة في المشهد التالي:

ياسين: عمر باشا إيه أخبارك؟

عمر: حرام عليك يا أخي ارحمني.. انت مجنون؟ انت مريض؟ أنا مش عارف سارة عايشة معاك ازاي؟

ما هذا؟ عمر؟ ألم يختفِ إلى الأبد وفقد سارة أو هجرها؟ كيف يلتقي به ياسين؟

إليكم الإجابة والفاجعة الكبرى:

قطعة الأرض التي قال عنها ياسين إنها استثمار، كانت مجرد أرض في منطقة معزولة حفر فيها ياسين حفرة عميقة وملأها بالتجهيزات والمعدات وصلب فيها عمر في أمتار عميقة تحت الأرض.. وضعه في الوضع مصلوبًا سنوات وسنوات.. كل فترة كان يذهب ليفك حباله ويطعمه ثم يتركه هزيلاً شاحبًا في نفس الحفرة ويغلق عليه بابها العلوي.. في منطقة مهما حاول عمر أن يصرخ فيها فلا مجيب ولا رقيب..

عندما اختفى عمر فجأة من الحياة كان هذا الاختفاء الغامض الذي كسر قلب سارة بفعل ياسين.. اختطف عمر بفعل انتقامي غريب لا يقل عن جنون شخصية «ميس هافيشام» في روايته المفضلة..

ولكنه لا ينتقم لأن عمر خانه، ولكن لأن الحب خانه.. لأن سنوات حبه الخالد لسارة تحطمت فجأة أمام عينيه عندما علم أن خطبة سارة لعمر

ستتم قريبًا..
لم يتحمل ياسين هذا الخبر.. كسر كل مرايا المنزل وأوانيه وبدأ يخطط لفعلته المريضة الغريبة الخارجة عن إطار الإنسانية بأزمنة وأزمنة..
قال ياسين لعمر:
- عايزني أرحمك؟ أنا ممكن أحكيلك شوية عن سارة.. يمكن أفكرك بالماضي.
- عشر سنين يا ياسين وانت رامياني في حفرة في منطقة مافيهاش صريخ ابن يومين.. انت فعلاً مش إنسان.
- وفين الإنسانية يا عمر لما تكسر قلبي وتسرق مني قصة حب؟! سرقة قصة الحب فين الإنسانية فيها؟ إذا كانت الإنسانية أصلاً حب..
- أنا ما خنتكش.. أنا حبيتها زي ما انت حبيتها إنما ما خنتكش.. انت حبك كان من طرف واحد أما هي حبتني.. أيوه هافضل أقول لك كل مرة تشوف وشي فيها إنها كانت بتحبني أنا.
لم يتحمل ياسين تلك الجملة التي كان يستشيط لها غضبًا في كل زيارة لتلك الحفرة، وأخرج أعواد الثقاب كالعادة ليشعل أجزاء من جسد عمر التي حفر فيها جزءًا من جلده على هيئة تاريخ ورمز.. حفر على جسده شكل أسد مثل علامة برج الأسد وهو برج ياسين الذي كان يتابعه دائمًا في صفحات الجرائد لأنه يؤمن بالحظ.. وحفر جزءًا آخر على هيئة تاريخ، وهو تاريخ ميلاد ياسين.. وكأنه يقول له أنت ملكي.. أنت أنا.. أنت نصفي الشرير ونصف الشيطان داخلي!!
ظل عمر يصرخ ويتألم كالعادة في فترة التعذيب المستمرة التي يمارسها ياسين على جسده، بينما كان ياسين يصفر ويقرأ في كتابه المعتاد وهو يجلس في أحد أركان الحفرة وأجزاء من النار تشتعل في جسد عمر..
وكلما صرخ أخرج ياسين الكرباج وأقام حفلة تعذيب على جسد عمر.. يخرج بها كل سنوات حبه السري لسارة..
وكأنه يجلد ضعفه وعجزه عن البوح لسارة سنوات بحقيقة حبه.. يجلد

كتمانه ودموعه العاجزة أمام جمالها الذي كثيرًا ما أسر عقله وحواسه.. صرخ عمر في ياسين:

- انت شيطان.. في يوم سارة هتعرف الحقيقة.

- أنا الحقيقة.. أنا الأصل.. أنا التراب اللي اتخلقت منه المشاعر.. أنا تراب المشاعر.

- عمرها ما شافتك وانت بتكلمني في التليفون اللي انت سايبهولي هنا؟

- أبدًا لأني باتكلم وانت بتفتح السكة بس زي ما أمرتك، بتفتكرني باسجل مذكراتي.. مرة قالت لي كده.. إنها فاكراني باسجل مذكراتي.

- ربنا يكون في عونها.. دي أكبر خدعة عاشتها.. انت أكبر خدعة.. ملاك بقلب شيطان.

- الحب هو شيطاني.. يبقى لازم أسلم له ولو كانت ناره هتحرقني.

- الحب ملاك.

- ده جوة اللي ملكوه.. إنما بيكون شيطان جوة اللي اتحرموا منه.

- انت مجنون.

- سارة هي جنوني.

وفجأة يرن الهاتف الذي في الحفرة وسط دهشة عمر وياسين.. قال ياسين لعمر:

- إيه ده؟ مين عارف الرقم ده؟ ده رقم ما بيتصلش أصلاً.. بيستقبل بس.. مش ممكن تكون كلمت حد وقولت له رقمك.

- ما حصلش.. أنا مستغرب كمان زيك.

قام ياسين مفزوعا ليرد على الهاتف، ولكنه لم يسمع أي صوت.. وهو يصيح: «ألو.. ألو.. انت مين؟».

وفجأة تخيم سحابة الفزع على قلبي عمر وياسين عندما تصيح سارة من أعلى الحفرة وهي تمسك ببابها وتقول:

- أنا يا ياسين.

نظر ياسين وتكاد عيناه تنفطران من العجب والخوف وقال:

- سارة؟!

- أيوه سارة اللي عاشت مع الشيطان سنين طويلة وهي ماتعرفش.. أنا فقدت الثقة في كل حاجة حواليَّ، أنا ما عدتش سارة الوفية، لا لماضيها اللي هو عمر، ولا لحاضرها اللي هو انت.

قال عمر:

- بلغي البوليس يا سارة يا حبيبتي.. قولي لهم الحقيقة أرجوكِ ده بيعذبني هنا من سنين.. أنا ما سيبتكيش بإرادتي.. ده إنسان مجنون.

قالت سارة:

- كنت أحلى ماضي يا عمر.. وانت كنت أوفى زوج يا ياسين، أو أنا افتكرتك كده.

قال عمر:

- أنا الحقيقة وهو الخداع.. أنا الوفاء وهو تمثيلية لعبها عليكِ.

قالت سارة:

- أنا سمعت كل حاجة وعرفت مكان الأرض اللي كلمني عليها وراقبته، وكنت متأكدة إن الموضوع فيه شيء مريب.

قال ياسين:

- أنا باحبك يا سارة عشان كده عملت كل ده.

قالت له:

- الحب ما بيتلونش بالحقد والنار.. ده بيتلون بدم القلب ودمع العين بس.

قال لها ياسين:

- أرجوكِ يا سارة افهميني.

- فات الوقت يا ياسين.. ومع السلامة يا عمر.

سارة التي عاشت ملاكًا.. حوَّلها الكره إلى شيطان جديد وأعماها.. «ميس هافيشام» جديدة تعيش من أجل الانتقام؟ هل هذه الرواية لعنة مسلطة

انتقلت عدواها إلى سارة هي الأخرى؟
ألقت سارة كميات من المواد المشتعلة من أعلى الحفرة وعودًا من الثقاب المشتعل.. أحرقت سارة بلا قلب ماضيها وحاضرها..
ما ذنب عمر الذي عذبه ياسين سنوات بكل قسوة أن يموت على يد من أحب؟! كيف كانت سارة ترى تلك اللحظة وهي تشعل ماضيها وحاضرها؟
قالت لنفسها: «سأبدأ حياة جديدة.. لن أستطيع استعادة ماضٍ حزين ولا حاضر كاذب».
مستها روح الانتقام من كل رجل.. رغم أن عمر كان بلا ذنب اقترفه إلا أنها كرهت كل الرجال..
الخيانة والكذب يقتلان في المرأة روحها وأنوثتها معًا.. إنها تنتقم من أجل حواء.. ومن أجل قداسة حواء وروح حواء.. إنها قضية بقاء وكرامة.. وليست مجرد قضية انتقام..
«أهذا آدم الذي خرجت من ضلعه.. فلأحرق أضلعه وأراها هشيمًا تذروه الرياح أمام عيني».. هكذا قالت سارة لنفسها وهي ترى النار تأكل جسدي الرجلين بكل وحشية..
«لا يأخذك بهما شفقة ولا رحمة».. هكذا قال لها ضميرها الذي تلون بلون الشر والدماء..
«كنت على حق يا ياسين»..
قالت سارة وهي تحدث نفسها: «الانتقام جوة المرأة أضعاف الرجل.. دي الجملة الوحيدة الصادقة اللي قولتها في حياتك الكذابة.. ودلوقتي أثبت لك الجملة دي».
مات ياسين وعمر ولم يستدل على مكانهما في هذا المكان الغريب البعيد عن أي عمران وأي شخص يمر به..
وبعد سنوات جلست سارة في غرفة مكتبها تقوم بعملها بينما دخلت عليها أمها قائلة:

- سارة يا حبيبتي.. ده تاني راجل اختفى في ظروف غامضة.. أنا عارفة إنك مقهورة، لكن حاولي تخرجي من اللي انتِ فيه ده..

- إيه اللي انا فيه يا ماما.. أنا كويسة أهو.

- يا بنتي أنا ما بقيتش عارفاكِ، حتى البواب اللي كنتِ بتعامليه كويس بقيتي بتشخطي فيه كل عشر دقايق لحد ما بقى عايز يهج من العمارة.. فين سارة بتاعة زمان؟

قالت سارة وهي تعلق على الحائط بروازًا ضخمًا فيه صورة لـ«ميس هافيشام»:

- سارة بتاعة زمان؟ هتلاقيها في حفرة في مكان ما يعرفوش إنس ولا جان.. آه يا ماما.. مكان ما يعرفوش إنس ولا جان..

إن الرجل قد يمارس فترة حياة الانتقام، ولكن المرأة حينما تنتقم فإنها تمارس الانتقام من الحياة!!

أمنيات في بئر مسعود

«سوف ألقاكِ حياة
في زمن ميت الأنفاس ممسوخ الرفات
سوف ألقاكِ عبيرًا بين يأس الناس
عذب الأمنيات
دائمًا أنتِ بقلبي
رغم أن الأرض ماتت
رغم أن الحلم.. مات
ربما ألقاكِ يومًا في دموع الكلمات!!»

فاروق جويدة

الأنانية في الحب لعنة، حتى ولو على بعد أمتار من بئر أمنيات..
لماذا تتحقق أمنيك؟
ولماذا تتحقق أمنيتها؟
إذا كانت أمانيكم لا تحقق الحب ذاته؟
هذه الجملة قالها الجد سالم الذي يبلغ من العمر ثمانين سنة لحفيده الأصغر عمر، الشاب العشريني الذي كثيرًا ما جلس مع جده ليسمع منه عذب ذكرياته وعذابها ويقرأ دفتر مذكراته الذي عاش حبيس الأدراج لسنوات طويلة مثل السجين لا يؤنسه سوى صوت المفتاح الذي يفتح الأدراج وكأنه يقول للأوراق بلهجة عامية «كفَّارة»..

سأل عمر وهو يقلب أوراق الدفتر بلهفة وحماس:
- إمتى كتبت الكلام ده يا جدو؟
سالم يأخذ الدفتر ويلقي نظرة فاحصة:
- وريني كده..
- دي.. السطور دي بالذات.. إيه قصتها؟
- يا.. يا عمر دي حكاية عمرها ييجي خمسين سنة.
- وهي الحكايات ليها عمر يا جدو.. طول عمرك بتقول لي حكايات الحب مالهاش حاضر ولا ماضي، مالهاش عمر ولا بتعترف بالزمن، طول عمرها في عنينا حاضرة وفي قلوبنا نور لمستقبل جديد.
- أجمل من نقش الحنة على كف البنات.
- وأجمل من نقش الحنة على كف البنات.
- أحكي لك يا سيدي وأمري لله، ما انا مش هاخلص منك.
- بالتفصيل يا جدي عشان خاطري.. احكي لي كل الحكاية.
- آه انت كده نسيت.. أنا قلت لك إيه كمان عن حواديت الحب؟
- قلت لي إن ممكن سطر منها ما يتوصفش بكلام مليون سنة.. بس احكي لي على قد ما يقدرك قلبك.. احكي لي اللي ينفع يتوصف وسيب اللي يتحس ونس بيه قلبك..
- حاضر يا سيدي.. أنا هاجيب لك الدفتر من جوة واقرا لك بالظبط كتبت إيه يومها بالتفصيل.
- اتفضل يا جدو.
- اسمع يا سي عمر، القصة دي كتبتها في نفس اليوم اللي كتبت فيه السطور اللي سألتني عنها:
لم يكن اليوم مثل باقي الأيام.. الشمس تشرق من نفس المكان وتغرب في نفس مكانها المعتاد، ولكن الشروق والغروب في قلب العاشق تتغير مواضعهما حسب نية الهجر والفراق..

هربت كما هرب «تيمون الأثيني» في مسرحية شكسبير من العالم وظلمه وغرائب فعله وقسوة أحكامه.. هربت هروب المنفي باختياره والمعزول بحكم قلبه من مرارة الهجر الذي ما لمس نبضًا إلا شانه..

تسألني الآن ولماذا حدث الهجر وتمددت مقاصل القطيعة؟ اسأل كل من هجر وكل من فارق ولن تجد تفسيرًا ولا سببًا.. إنه يوم الفراق الذي لن تجد له معقولاً ولا دليلاً عقليًا ولا منقولاً.. إنه يوم الفراق الطويل الغريب الذي وصفه الشاعر أبو تمام وقال:

يومَ الفراق لقدْ خلقتَ طويلا

لم تُبقِ لي جلدًا ولا معقولا

يوم الفراق اليوم الذي احتار فيه الشعراء وبكت على نحيبه الأوتار والأغنيات، وتصاعدت مع شهقته شهقات البشر لسبع سماوات طباقًا، وذرفت من أجله الدموع واحترقت فيه أجساد الشموع.. وما زال الكل يسأل ولماذا حدث الفراق؟ أهو القدر فقط؟ أم هو حب لم يكتمل عوده من بعد جذره الضارب في كياننا؟ هل الفراق حب لم يكتمل؟ أم حب مات من فرط اكتماله؟ هل الفراق يتشابه مع الحب في أنه يأتي في لحظة؟ أم أن الحب لحظة بينما الفراق أشجان عمر؟ هل يصبح البشر مثل السيجارة في أيدي كيوبيد؟ يشعل أجسادنا حتى النهاية بالحب ويطفئنا في المطفأة بالفراق ليكسر فينا البقايا؟ ولو كان الحب لعبة كما يقول البعض.. فهل الطفل الذي يلعب بنا هو الهجر والفراق؟ يكسرنا في لحظة تهور وصرخة مرح؟ هل الموت أرفق بنا من الفراق؟ لأن الموت نهاية طريق بينما الفراق رحلة غربة للبحث عن نهاية سعيدة؟ وهل الفراق مثل «جهاز كشف الحب» فإن كان حبك كاذبًا أخذك الفراق إلى مقاصله البغيضة؟ هل الحب دموع بينما الفراق نحيب؟ وكم هي صعبة لحظات النحيب فالعين تبكي الدمع بينما الأرواح هي من تنتحب..

هل الفراق رحلة في فلسفة نفوسنا لأنها تجعل من القدر شفافًا وعذبًا؟ فمهما كان عذابه بعد الفراق سيكون هينًا..

هل الدموع تسجد للفراق؟ فإن لم يجد الفراق دموعك صادقة احتلك وأسقط راية الحياة فيك؟

الله يعرف أننا ضعفاء.. فهل خلق الفراق ليؤكد لنا ذلك؟ أم أننا خلقنا الفراق بأيدينا؟

في هذا اليوم ذهبت إلى الإسكندرية وجلست طويلاً بجوار بئر مسعود.. هذا المكان الغريب الذي يحكى ويحكى عنه الكثير من القصص والأساطير، ثم وضعت السماعة في أذني لأسمع أغنية «Yesterday».. الكثير من المطربين غنوا هذه الأغنية ولكن أفضلهم بالطبع وعلى الإطلاق: the beatles..

توقفت قليلا أعيد نفس المقطع من الأغنية الذي يقول:

suddenly, I›m not half the man I used to be»

There›s a shadow hanging over me

Oh, yesterday came suddenly

«Why she had to go I don›t know she wouldn›t say

جلست كعادة العشاق بعد الفراق في جلسة إعادة ترتيب الكون.. وهي الجلسة التي يعرفها كل من عاش قصة حب أعقبها وحش الهجر بطعنات محكمة وصارخة..

جلسة ترتيب مواضع النجوم وقوة تدافع الأمواج وآثار الأقدام على الطرقات.. تشعر أنك المتحكم الأول في الكون بعد خالقه، وهذا ليس من فرط قوتك في هذا الوقت، بل من فرط ضعفك ومحاولة إثبات شيء لنفسك لا تبوح به لأحد.. وكأنك تقول لنفسك ما زلت أحيا.. أنا هنا أيها العالم ما زلت أعيش وأتحكم وأقرر.. سأفرق الأمواج عن بحرها وأفرق القمر عن ضيائه وأفرق الشمس عن نورها.. أصابتني لعنة الفراق نعم، ولكنني الآن أقوى.. إنني الفراق بنفسه.. حاضر بصفته وشخصه..

وكان الفراق.. كان كما رأينا في الحكايات الخيالية «عضة مصاص دماء» ربما أصابتني العضة في رقبتي ولكنها حولتني إلى نفس الشيء.. نفس المسخ

ونفس الوحش.. احذر أيها الكون فأنا اليوم الفراق نفسه أو تجسيد للفراق في صورة إنسان أو أحد «الزومبي» الذي يسير حول مقابر الحب.. فاحذروا مني.. واحذر مني أيها العالم الغريب..

في هذا الوقت رأيت رجلاً لا أعرفه ولكني أحسست فيه بألفة.. رجل عجوز بجلباب أبيض تتمزق بعض أطرافه بفعل عوامل تعرية الفقر والحرمان، ولكن تُرى في وجهه الحكمة أو الخوف أيهما أقرب..

اقترب مني الرجل كي يبدأ أحد أحاديث الغرباء وقال لي:

- مالك يا ابني؟ شايل هم الدنيا ليه فوق راسك؟

- هي الدنيا اللي حطت همها مش انا اللي شلته.

- وما جربتش بير مسعود؟

- شوف يا حاج.. أنا جيت المكان ده عشان أستجم شوية وانسى الهم ولكن ما باصدقش حكاية البير ده؟ ولا باصدق في السحر؟

- ده مش سحر.. دي أمنيات بتتحقق.

- طيب مين اللي يحقق الأماني غير ربنا أو ساحر.

- ممكن الوهم وممكن إرادتنا.

- وازاي الوهم بيحقق أمنيات؟

- زي مريض بيوهمه الدكتور إنه خف ويصدق وممكن كمان يصيبه المرض لو خاف منه خوف مرضي.

- لكن ازاي البير هيوهمني إنه هيرجعلي حياتي؟ يا ريته كان وهم يا ريته.

- جرب ومش هتخسر حاجة، بس صدق نفسك وصدق الأمنية اللي بتقولها.

حينها أمسكت قطعة نقدية ثم التفت إلى الرجل فلم أجده ولكني حاولت وقلت لما لا.. لندعها تجربة مثل باقي التجارب سواء أصبت أو فشلت يكفيني شرف المحاولة أو يكفيني شرف الفشل..

ألقيت العملة في البئر وتمنيت أمنية واحدة أن يجمعنا الزمن مرة أخرى..

لا أعرف إن كنت أصبت أم أخطأت ولكني تمنيت كما قال لي الرجل الذي

اختفى في لحظة وذهبت إلى غرفتي في هذا اليوم لمقابلة صديق وقال لي:
- كنت فين؟
- كنت عند بير مسعود.
- انت مش قولت ما بتصدقش الحاجات دي؟
- ولكن الواحد بيشوف كتير أساطير وخرافات بس كان نفسي أكون جزء منها.
- واتمنيت إيه يا ترى؟
- هاقول لك بعدين.
ومرت الأيام وذهبت إلى بئر مسعود مرة أخرى.. ولكن ويحي ماذا أرى.. أهي بنفسها؟ بجنونها وحسنها وطلتها المسحورة المعتادة عند ملك الجان؟ أهي الأساطير تتحقق من وجع الفراق وكربه؟
ماذا تفعلين أيتها الجميلة؟ أتلقين بالعملة في البئر كما ألقيتِ بقلبي في بئر الحب كأمنية تلاشت؟
هل أنا مجرد عملة ألقى بها الزمان في بئر أمنياته الجاحدة؟ أم ألقيتِ أنتِ بها؟
تُرى ماذا تتمنى هي الآن.. سأذهب إليها.. لا لا.. لقد حققت البئر أمنيتي ولكن سأنظر فقط من بعيد..
إنها تهمس للعملة.. إنها تؤمن بالأساطير والأوهام.. فلماذا لم تصدقني إذًا وتصدق أسطورة قلبي وخرافاته؟
شكرًا أيتها البئر الوحيدة مثلي.. يا من تحققين أمنيات الخائفين دون أن يدركوا قاع خوفك ووحدتك..
شكرًا أيتها البئر يا من تتلقين ضرباتهم بعملاتهم المعدنية كأسواط الجلاد ولا تتألم بل تغفر.. تعلمت منك الغفران أيتها البئر.. هم يوجعونك وأنتِ تسامحين وتحققين أمانيهم.. يأتونك خائفين وترديهم سعداء بنشوتهم..
ولكن قولي لي بالله عليكِ.. كم تمنوا وتمنوا أمنيات حولك، ولكن حينما رأيتِ

حبيبتي.. ألم تتمني أنت اليوم؟
ألم تتمني لو كنتِ بشرًا ووهب الله لك الحياة لتباركيها بنظرة من لمعة تلك العين القاتلة الصامتة مثل مرض فتاك؟
ألم تتمني أن تصبحي بشرًا ولو متِ أمام رموشها بنوبة عشقية حادة؟
والآن صارحيني أيتها البئر.. قولي لي بكل صراحتك المعهودة.. هل ستحققين لها الأماني أم أنك اليوم حققت أمنيتك برؤية خلاصة أماني الناس أمام عينيك؟
آه.. يا ويلي.. أحترم عذابك ولكن قولي لي بالله عليك.. هل لك قلب يتعذب أم تتمنين من الله أن يهبك قلبًا ولو حتى احترق قلبك في دقائق أمام لفح الهواء المحيط ببركان جمالها وبركاته؟
خرجت من أمام البئر بعد أن ألقت بأمنيتها في بطن البئر المسكينة العاشقة مثلي.. تجري مثل المجنونة.. عهدتها مجنونة وغريبة الأطوار ومتغيرة ومتقلبة مثل الموج، ولكن ماذا يفعل البحر في تقلب موجه إذا كنت أنا البحر نفسه وأعشق تقلبها كصفحات فوق قلبي وذاتي.
عهدتها تتحرك سريعًا تختفي سريعًا.. ولكن اليوم رأيتها في أغرب حالة لها وهي تجري بجنون، ولكن هل ستترك لي علامة؟ هل ستسقط حذاءها مثل القصص أم تصدمها سيارة وأنقذها مثل الأفلام أم لا شيء قدريًّا سيحدث في تلك اللحظة وستكمل الجري؟
اختفت تمامًا من المشهد.. واختفيت أنا أيضًا وأنزلت عليه الستار لمحاولة التفكير في غدي وكيف سأراها لاحقًا..
بعد شهور طويلة ذهبت أبحث عن عنوانها ولم يستدل عليه لأنهم تركوا المكان منذ فترة.. كانت آخر مرة ذهبت فيها إلى البئر وكأنها تقول لها: «أتمني أن يعثر هو علي فأنا سأذهب بعيدًا جدًّا».
فرقتنا السنين والأيام ولم أعرف أي لعنة صبتها علي البئر بعد أن جعلتني أصدقها وأصدق أنها ستجمعني بها وأراها مرة أخرى.
ومنذ هذا اليوم وتغيرت حالتي وحققت أحلامي الحلم تلو الآخر، وذهبت

إلى بئر مسعود وكأني أسألها وأعرف الإجابة مسبقًا: «هل جاءت إليك وتمنت أن أحقق كل ما أحلم به؟».

أهذا هو ما تمنت هي؟ ولكن أين هي الآن من يدلني على مكانها؟

رأيت الرجل العجوز مرة أخرى وقال لي:

- حلمك لم يتحقق.. لأنك تمنيت بأقل مما يجب؟

- الحلم هو الحلم.. هذه البئر كاذبة.

- أنت تعلم أنها لم تكذب لقد تمنيت أن تراها ورأيتها، وهي تمنت أن تحقق أحلامك وحققتها، دون حلمك الخاص بها لأنك زهدت فيه.

- وكيف زهدت في حلمي.

- لقد تمنيت فقط أن تراها ولم تقل «أتمنى أن تجمعني معها إلى الأبد.. أتمنى لو احتضننا الحب والموت أخرجنا من كتب الفراق والهجر»، وهي قالت: «أتمنى أن يحقق حلمه».. ولم تقل «أتمنى أن أصبح كل أحلامه وأمانيه».

- وهل غضب الحلم منا؟

- غضبت البئر محققة الأمنيات، إنما الأحلام لا تغضب وإنما قد تتوارى في مكان بعيد في قلبك لا تدركه إلى أن تحين لحظة انفجار حلم جديدة.. الأحلام لا تموت أبدًا، ولكن أحيانًا تموت إرادتنا وسعينا في البحث عنها..

- ولكني تمنيت بصدق.

- الأمنيات لا تحتاج صدقك بل تحتاج صراخك ورغبتك.. كما تعلمك بئر الأمنيات أن تسقط العملة لأسفل كي يخرج الحلم لأعلى.. تنازل وانحنِ أمام الحلم حتى إذا ما وجد الحلم فيك ضعفًا ورغبة خرجت من انكسارك حقق فيك ما نقص وأصلح فيك ما كسر.. إنكم تهمسون للعملة ولا تهمسون لقلوبكم وإيمانكم بحلمكم!!

تهمسون للبئر ولا تهمسون للكون ولا تتحدثون لغته الحالمة..

لا تخافوا من الأمنيات ولكن انحنوا أمامها احترامًا وإجلالاً..

اجعلوا من قلوبكم بوابة مسحورة للحلم لا تفتح إلا إذا رددت كلمة السر

وهي البكاء والألم والرغبة الصادقة الجامحة في تحقيق الحلم..
اجعل الحلم مثل عشيقتك فكر فيه كل دقيقة وقل لنفسك المثل بطريقة أخرى: «البعيد عن الحلم بعيد عن العين»..
زين السماء بالأمنيات فحتى إذا لم تستطع تحقيق بعضها فيكفي استقبال السماء لروح حلم مقتول مثل «استقبال الفاتحين» أو «استقبال العاشقين»!!
- من أنت أيها الرجل؟ أنت إيماني أم أنت روح هذه البئر وتجسيد لها في هيئة بشري؟ قل لي من أنت؟
- أنا فرصتك الثانية.
- وما العلاقة بين الفرصة والحلم؟
- الحلم فرصة على وشك الولادة.
- وماذا إن لم تتكرر الفرصة؟
- الفرصة حالة تكرار دائم مثل هذا الكون ومثل نبض قلوبكم وجنون اشتياقكم.. ولكن موت الفرصة هو حالة العمى التي تصيب قلوبكم عن تكرارها بجملة يائسة تقولون فيها: «ضاعت الفرصة».. والفرص لا تضيع، فالحلم كما قلت لك جنين الفرصة، وحتى الأحلام الضائعة تحاول أن تبحث فيكم عن تكرار الفرص وتحاول البحث عن أمها المفقودة.. الفرصة..
- سأحاول مرة أخرى مع هذه البئر.. سأحاول أن أشعل شموع روحي لصلاة حلم وأمل..
وحلمت شهورًا وشهورًا حتى ردت عليَّ البئر في ليلة ممطرة عاصفة بطرحة بيضاء..
فزعت وقذفت البئر في قلبي الرعب حينما رأيت طرحة زفاف بيضاء تطير في وجهي.. لا أعرف هل هي طرحة زفافها أم طرحة حلم جديد يزف إلى قلبي؟ أي إشارة يعطيها لي الكون؟ في تلك القصة إلى ماذا ترمز تلك الطرحة البيضاء الحزينة؟ ولماذا هي طرحة هشة تحترق في يدي تحت المطر وبين العواصف والأمواج العاتية؟

قال عمر لجده سالم:
- ويا ترى الطرحة دي طلعت إيه يا جدو؟
- الطرحة دي كانت أشبه بحالات التجلي زي تجلي السيدة مريم.
- يعني ما مسكتهاش بإيدك فعلاً؟
- حسيت إنها بين إيدي لكن لما وقف المطر ماشوفتش حاجة منها ولا أثر.
- وما شوفتهاش تاني؟
- وكأني في كل زيارة لبير مسعود كنت باشوف وشها هناك وهي بتجري وبتهرب.
- لكن مين الراجل اللي كان بيكلمك عند البير؟
- لحد دلوقتي ما اعرفش، ولكن كنت باشوفه كتير ممكن يكون تجسيد لحلم جوايا أو تجسيد للبير نفسه.. الصدق يا عمر بيجسد الأمنيات.
- وراحت فين هي دلوقتي؟
- للون الأبيض يا عمر.. احنا الاتنين في اللون الأبيض من زمان.
- لون أبيض؟
- زي أي اتنين بيفترقوا.. هتروح هي للون الطرحة الأبيض وعليها دمعة فراق ويروح العاشق للون كفن حزنه الأبيض وعليه نفس الدمعة.. إحنا الاتنين في حالة جنون اللون الأبيض.

وبعد سنوات من وفاة الجد سالم ظل عمر يزور نفس المكان.. ويلقي العملات في بير مسعود ويقول لأصدقائه: «شامم ريحة الحب في البير ده.. ريحة قديمة وأصيلة من أيام جدو».

وتظل البئر مسرحًا للعملات الصريعة والقلوب العاشقة.. وما زالت الطرحة البيضاء في لحظات تجلٍ لبعض القلوب الصادقة المحبة..

شطرنج من غير ملك

«الستار مش هينزل علي.. أنا الملك.. أنا الملك.. الستار دايمًا بيقفل في وش المتفرجين، إنما أنا ملك المسرح أنا الملقن وأنا الممثل وأنا الدور وأنا السيناريو.. انتو مين؟ انتو مشاهدين».

هكذا انتهت قصتي هذه التي بين يديكم.. أظن أن الفضول يدفعكم الآن لمتابعة السطور التالية لمعرفة ما قد حدث في البداية.. أليس كذلك؟ هل تبحثون عن تسمية لما فعلته؟ ربما ما سأقوم به في باقي القصة محاكيًا بشكل أو بآخر لتيار الوعي في الأدب هذا ما سيظهر في الحوار.. وربما سيكون لو في عالم السينما مشابهًا لما يسمى «Chronological order»..

سيرفع الستار الآن.. ولكن هل هذه قصة أم مسرحية؟ أنا أكتبها وفي نيتي أن تكون قصة قصيرة، ولكن حبي للمسرح سيدفعني إلى..

مهلاً مهلاً.. هل الكتابة بالنية؟ قل لي تحديدًا أيها المختل ما الذي تكتبه الآن؟ قصة أم مسرحية؟ لن أجيب وسأبدأ الآن وسأترك القارئ يختار نوع ما يقرأ..

لن أقول يرفع الستار وستجد في جانب المسرح اليمين عمودًا ضخمًا وشرفة رحبة.. لا أظنني سأكملها قصة أفضل.. ولكنها مسرحية.. يقول لي أحدهم الآن: «إنت سكران يا عم انت؟».

تبدأ القصة في أحد «الكافيهات» المنتشرة في قاهرة المعز، وكما هو المشهد المعتاد؛ مناضد مرصوصة وقلوب من رصاص قتلوا فيها البهجة والحبور، لا عمل لا مال لا وظيفة لعدد من الشباب، يتخلل هذا الإحساس حوار بين المطحون بطل القصة وصديقه أمل، يقول المطحون لأمل:

- تلعب شطرنج؟
- وهتلعب بالأبيض كنوع من التفاؤل؟
- مفيش قطعة بتختار حركتها.
- هو انت قطعة ولا لاعب؟
- مفيش غير لاعب واحد.
- ليه ما تلاعبوش؟
- هيغلبني بعساكره والحصان والفيل.
- وانت ممكن تلحق ترقي العسكري بتاعك؟
- باقولك إيه أنا هاقوم أدور على القطع الواقعة لأن صاحب القهوة شكله ضيعهم كالعادة.
- بس كل القطع قدامي.
- تمام بس فين الملك؟
- وهو حد بيشوف الملك؟ الملك بيتشاف بأمره وبيختفي بأمره.
- انت يائس واسمك أمل؟
- اليأس والأمل في إيده.
- فين الملك؟ كله يقوم يدور على الملك.. أنا عايز ألعب..

وبعد عشرة أيام في زمن المطحون ويوم في زمن الملك، وفي أحد الشوارع صباحًا.. قال المطحون لبائع الجرائد:

- إديني الجرنان يا ابني.
- اتفضل يا بيه.

سار المطحون على قدميه كما هي العادة يفحص صفحات الجرائد بعين ناقدة وشفاه تتحرك وتتململ في سخرية.. وفي إحدى الصفحات وقف مشدوهًا ينظر ولا يصدق جحيم ما يراه..

قال المطحون لنفسه:

- أنا؟! إزاي؟! إيه الغلطة الحقيرة دي؟

وجد المطحون نفسه في إحدى الصفحات تحت عنوان: «١٤ شهيدًا في أحداث الأمس أمام قصر الملك»، وقال متعجبًا:

- أنا مت؟! أنا استشهدت؟! أمال يعني مين اللي بيقرا الجرايد دلوقتي؟! صحافة مسطولة صحيح.

ذهب المطحون مسرعًا إلى مقر الجريدة لمقابلة الصحفي الذي نشر الخبر وقال له:

- انت يا أستاذ انت.

- انت بتتكلم كده ليه؟ دي دخلة دي؟

- وده خبر يعني؟ بتموتني بالحيا؟

- يعني إيه الكلام ده؟

- يعني اسمي يا أستاذ يا محترم انت كاتبه في أسامي الشهداء وانا حي أرزق.. مش تتأكدوا من معلوماتكم؟ أما عجايب.

- وريني بطاقتك.

- أهي يا اخويا اتفضل.

- شوف يا أستاذ مين فينا المسطول.. انت اسمك «أمل محمد أمل» مش المطحون.

- انت تعرف أمل منين يا جدع انت؟ ده صاحبي.

- صاحبك؟ ده انت شكلك شارب بلوظة.. اسمك أهو يا محترم، إنما المطحون مات.. ماااات افهم بقى وفوق.. أجيب لك قهوة؟

كأن على رأسه طير الرخ وليس الطير.. كأنه شرب الدهشة في زجاجة مسحورة لن يفيق منها ولو بعد حين.. عن أي شيء يتحدث هذا الصحفي المخبول؟ ولكن.. ولكن من أين جاءت بطاقة أمل وكيف لا يكون هو نفسه المطحون؟ هل فقد هويته؟ هل كان عمره حلمًا؟ وكيف يكون هو أمل وهو يعيش مطحونًا ويائسًا؟

حاول أن يأخذ أول موقف في حياته منذ أن حكم الملك الذي قتل المواقف

وأصحابها.. فالملك يحكم والناس تشكو.. الملك يرسم الموقف والناس تعيشه.. الملك يغتال الفضيلة والناس تبحث عن جثتها باسم المبادئ والقيم.. الملك يشرب كأسه الناعمة والناس تتجرع مرارة بقايا الكأس..

ذهب المطحون باحثًا عن هويته عن تاريخ عن محل ميلاده في إحدى الهيئات الحكومية، قال المطحون للموظف:

- أيوه يا أستاذ شوفتني في الكشف؟

- أيوه يا أستاذ.. وعليك علامة إكس.. انت مش المفروض مت خلاص؟

- انت غبي؟ يعني إيه واحد قدامك تقوله المفروض مت؟! الملافظ سعد يا عم انت.

- انت على صفحتك ختم ملكي..

- يعني اترقيت؟

- يعني انت أمل.. عيش بالأمل وغني وافرح لأن اليأس وحش.. اليأس ممكن يكون ثورة.

- طيب ما الثورة أمل.

- أيوه بس بدايتها إيه؟ يأس.. عشان كده محينا سجلك وخليناك أمل.. ضحكنا عليك بزيادة كام ملطوش عشان يبقى عندك شوية أمل.. بنضلمها عليك وندیلك بصيص نور يمكن يبقى عندك أمل.. بنكحلك بكحل الأمل بس بنزوده عشان نعميك.. انت لسه مش فاهم الملك؟

- طيب وانت ليه في المنظومة دي؟ انت فاسد زيهم ولا مطحون زيي أنا؟

- أنا مش مطحون أنا متحنط.. أنا تمثال رخام نقشوه بوساختهم بيخلدوا فيَّ صورة لطمعهم وجشعهم اللي أصبح إله لهم.. زي ما كان فيه زمان في الأساطير إلهة للجمال دلوقتي الملك بيعمل لنفسه إله وبيسميه إله الطمع وإله الجشع وإله الفساد.. بينفصم بنفسه إلى نص ملك ونص إله..

- انت عارف ده وساكت؟ أنا عايز أقابل الملك.

قال الموظف ساخرًا:

- آه.. طيب ابقى سلم لي عليه.. ده انا هنا بقالي سنين وسنين وعمري ما شوفت الملك.. باسمع عنه بس.

- بس أنا لازم أقابله لازم أعرف عايز مننا إيه.. أنا باتكلم باسم الشعب.. باسم الشعب يا عالم.. باسم العدالة والحق.. العدالة اللي بقت عميا خرسا وما بتتكلمش كمان.. فوقوا يا ناس فوقوا الملك بيقتلكم كل يوم بسلطانه وسلطته.. بنفوذه وحاشيته.. بجبروته وقوته.

بعد سنوات طويلة جدًّا أمام القصر..

قال الملك خاطبًا:

- أهلي وعشيرتي.. لقد مررنا بظروف عصيبة و..

يقاطعه المطحون:

- آه أخيرًا لقيتك.. أخيرًا وقعت في إيدي.

كانت الملايين أمام القصر بعد خمس ثورات جياع وقمع وذل وهوان طوال أعوام تتبدل على البلاد الملوك من نفس العشيرة باستخدام كل وسائل التزوير والنجاسة السياسية.. وكان الملك يخطب في شعبه من داخل القصر، ولكن المطحون تسرب إلى داخل القصر في خضم الأحداث. قال الملك:

- امسكوه.

قال له المطحون:

- هم مين؟ كلهم هربوا خلاص.. عاش الملك مات الملك زي ما بيقولوا وانت مت خلاص.

- أنا مش باموت أنا بتتغير صورتي بس.. احفظ الجملة دي.. أنا مش باموت أنا بتتغير صورتي بس.

- وانا؟ صورتي إيه في عينك؟

- أنا باغير صورتك.. من يائس ومطحون إلى يائس بابتسامة.. باديك الأمل اللي يقهرك في النهاية لأن أنا الملك.

- شيلوك؟

- أنا مش مرابي أنا حاكم.
- مفيش فرق بينك وبين المرابي.. انت بتسلفني الأمل الكاذب والبلد بتفضل على حالها وبتطلب مني التمن بعد ما ضيعتني.. انت بتبيع الأمل وبتجني روحي اليائسة السقيمة في النهاية.. انت عايزني ميت.
- أنا رقيتك لدرجة شهيد.
- هو أنا أعيش فقير أو ثائر أو شهيد؟ ما ينفعش تعيشني راضي؟
- مش ترضي بالقدر؟
- انت مش قدر انت اختيار.. الاختيار ممكن نغيره والقدر نستحمله بخيره وبشره.
- انتو ازاي يا شعب جعان عريان جايين عند القصر وبتقطعوا وجبتي؟ أنا مش باتغدا دلوقتي جناح طاووس وغزال مهروس وكاس شهد النفوس؟
- واحنا بقالنا سنين بناكل طعمية ونشرب المية من الحنفية.
- انتو اللي اخترتم واتحملوا الاختيار.
- عايزنا نجيبك بالصناديق وبعدين تشحن جثثنا في صناديق؟ هي دي تجارة الملوك ولا ده نوع جديد من العدالة؟
- والعدالة في نظر بعض الفلاسفة مش هتتحقق إلا في السماء.
- وليه ما تطلعناش معاك السما؟!
- السما للملوك.
- انت مش منزه.. انت حاكم.. والعدل المفروض آيتك وشعارك.. ده حتى القاضي واحد في الجنة واتنين في النار.. وانت عارف كده.
- ملك في الجنة واتنين في النعيم.
- أستغفر الله.. انت كمان فاكر إنك هتختار في الآخرة؟ ملك الملوك اللي بيختار.. انت هناك محكوم عليه مش حاكم.
- لكن أنا اتعودت احكم واتحكّم.
- انت حاولت تاخد من صفات ربك لكن ما تقدرش تاخد ربعها، فاختلت

عندك الموازين لأنك مجرد بشر.
- بشر؟! يعني زيك انت؟
- ده المفروض في حكم المساواة.
- مفيش حاجة اسمها مساواة في عدل بس.
- نيتشه؟ مكيافيللي؟ بتؤمن بالناس دي وبس؟
- لا دول صغيرين.. أنا قدوتي كاليجولا وهتلر ونيرون.
- وفين روحك؟
- نايمة على كرسي الحكم دايبة فيه وفي العالم بتاعه..
- الكرسي ده للحكم ولا للعبادة؟
- الكرسي ده للخلود.
- استغفر ربك.
- أنا عظيم وما اتعودتش أغلط واستغفر.
- انت مريض.
- أنا ملك السعادة.
- هي السعادة عطاء ولا كنوز في وجهة نظرك؟
- السعادة ملكة وموهبة.. مش أي حد يكون سعيد.
- بس على الأقل إديله سبب للسعادة وجرب وشوف هيكون سعيد ولا لأ.
- انتو شعب فقري.
- انت فاكر نفسك خالد؟
- أنا خالد في عالم السعادة، لكن فاني في عالم البشر.
- السعادة مش مرتبطة بالخلود أصلاً، ممكن تعيش يومين بعمر كامل لواحد تاني، وممكن تعيش خالد وتمل من الخلود.. عشان كده احنا فانيين.
- أنا بشر فاني لكن هاموت سعيد ومتحكم.
- طيب ليه بتموتنا شهدا وفقرا بطغيانك؟!
- انتو عايزين الشهادة وانا منحتها ليكم بعساكري وملكوتي.

- انت مالكش ملكوت.. انت ليك جاه بس.. إنما الملكوت لملك الملكوت سبحانه.

- انت عايز إيه مني دلوقتي؟ أنا ممكن أقتلك.

- انت قتلتني فعلاً ولقيت اسمي في صفحة الوفيات من زمن.. وماشي نص ميت نص عايش.

- حالك أحسن من غيرك.

- بتعاير شعبك بفقره وانت سبب فقره؟ هو انت مش كنت زيّنا في يوم من الأيام، واحد من الشعب ده؟ ليه ما خدمتوش؟

- أول درس للكرسي: «شعبك في خدمتك والأمن في قبضتك».

- كرسي كهربا ده مش كرسي حكم.. كرسي حكم عليك بالموت والخلود في عالم الفساد.

- أنا مش فاسد أنا باحكم بقواعد اللعبة.

-واللعبة بتقول إيه؟ كش ملك.. كش ملك..

آخر جملة رددها أمل في المقهى لصديقه المطحون.. قال المطحون لأمل:

- كش ملك؟ اللعبة بتقول كش ملك؟ هي دي قواعد اللعبة؟

- ما لك يا ابني فيه إيه؟ انت تايه في إيه بقالك ربع ساعة؟ انت نايم ومش معايا خالص.

- أنا كنت باحلم؟

- بتحلم وانت صاحي؟!

- كمان الحلم مش عايزينا نحلمه؟ مفيش كش ملك لأننا هنسقط الملك أصلاً.

- تسقط الملك؟ انت مجنون؟!

- الملك فاسد.. مرابي بيشترينا بأحلام كذابة..

- الثورة خلصت من ٢٥ يناير من سنين طويلة جدًّا انت لسه فاكر؟ احنا دخلنا في عشرات الحكام من نفس الفصيل ومش عارفين نعمل حاجة.

- لكن أنا قابلت الملك وواجهته.
- انت مجنون؟!
- لا أنا مش هيخلوني شهيد أو فقير بالعافية.. الحاكم اختيار مش قدر.
- ما لك يا مطحون؟
- أنا هاغير اسمي.. أنا مش مطحون.. الستار مش هينزل عليَّ.. أنا الملك.. أنا الملك.. الستار دايما بيقفل في وش المتفرجين، إنما أنا ملك المسرح.. أنا الملقن وأنا الممثل وأنا الدور وأنا السيناريو.. انتو مين؟ انتو مشاهدين.. حتى انت يا ملك مش هتحكم وتتحكّم في حياتي، لأن حياتي ملكي دايمًا.. أيوه حياتي ملكي وفي إيدي.

وفي نشرة أخبار بعد سنوات طويلة على شاشات التليفزيون الحكومي بوق النظام:

«أعزائي المشاهدين.. وكما نرى هذه الجنازة العسكرية المهيبة لملكنا المفدى رحمة الله عليه.. ولا يزال البحث جاريًّا عن مدبر عملية الاغتيال، وكما نعلم أن التحقيقات الأولية أسفرت عن وجود قطعة شطرنج في مسرح الجريمة مكتوب عليها أنا الملك.. ولا يزال البحث جاريًا عن الجاني».

معتز ونادية..

«نادية»

«خدي يا نادية»

هكذا كان يناديني خالي منذ سنوات طويلة في طفولتي.. لم يكن الأمر مشكلة لأنه بغرض المزاح فقط.. كنت خجولاً جدًّا في صغري من «الشورت» القصير الذي كنت أرتديه في نفس الوقت كان الجميع يشاهد أفلامًا للنجمة في هذا الوقت «نادية الجندي»..

بالطبع لم نكن حينها أي منذ نحو عشرين عامًا نشاهد علامات هوليوود الخالدة، بل كل ما كنا نحصل عليه من نوادي الفيديو المنتشرة في هذا الوقت هو أفلام نجمة الأفلام البوليسية وأفلام الجاسوسية نادية الجندي..

لا أعرف ما سر الخجل الدامي الذي كان يتسلل في عروقي مثل لصوص الليل حينما أشاهد نادية الجندي.. الذي دفع الجميع إلى مقارنة الشورت الذي أرتديه بملابس نادية الجندي ليثيروا في نفسي مزيدًا من الخجل لدرجة أن أهرب إلى غرفتي أو أحاول شد الشورت قليلاً لعله يصبح أطول كما كنت أتخيل!!

يدخن غليونه في هدوء حذر ويشير بإصبعه إلى وجهي:

- يعني الكلام ده ما أثرش فيك؟

قلت له:

- الكلام ده من عشرين سنة وكنت باشوفه نوع من الهزار مش مشكلة يعني.

- أنا ماقولتش إنه حالة «Dissociative identity disorder» إنك ساعات

بتكون نادية.. وساعات بتكون انت.. انت ليه اتعصبت؟
- الفكرة عندي بعقدة الذنب حاليًا تجاه نادية.. مش إني باكون نادية.. ساعات باقول أنا كنت ليه باتكسف قوي كده؟ هو ليه لما واحد يقول لك «يا نادية» بتحس بالجرح؟ هو كونك تتقمص دور أنثى ده شيء عيب؟ هي الأنوثة جريمة في مجتمعنا؟ كل ما كنت باغطي جزء من رجلي أنا كنت باحاول أستر على المرأة مش على نفسي.. حاسس إنها فضيحة إني أكون «ست» رغم إنها كل المجتمع ونصه العاشق..
- وده أثر عليك لما حبيت؟ يعني حبيت بدافع الحب وكمان بدافع تعويض المرأة عن اللي انت بتعتقد إنه إهانة ليها لما كنت بتشد الشورت في طفولتك؟
- الأغرب من كده لعبة القدر والحروف.. يوم ما حبيت حبيت بنت لو بعثرت حروف نادية هتلاقيها فيها.. تقدر تقول فصام الفصام.. وبقت عملية الشخصيات هنا أشبه بخلية نحل..!!
- فصام الفصام؟ طيب هي حست بيك كعاشق ولا كمان كمدافع عن المرأة أو حست إنك بتحاول تعوض حاجة فيك عن طريقها أو بتحاول تعوض بيها ذنبك اتجاه خجلك من المرأة وانت طفل؟
- بالعكس البنت مش عايزة مدافع عن الحريات.. البنت عايزة تشوف فيك انت الحرية وفي الحب الحرية اللي ممكن تكون اتحرمت منها وممكن تكون عايزة تكملها.. هي عمرها ما حست بشخصية تانية جوايا بتحاول تدافع ولكن انا كنت باحس بالشخصية دي لما باكتب..
- ازاي؟
- يعني كنت في كتابتي ساعات كتير باتغاضى عن الهجر اللي كان بينا أو باحاول أبرره وساعات بادور ليها على حق فيه وساعات كنت باحاول أقول أنا السبب الوحيد مش القدر ولا هي مسئولين بنصيب فيه.. وساعات كنت باصور إنه ما حصلش أصلاً..
- يعني بتهرب من مجرد تصور الفكرة؟

- أنا لحد دلوقتي باكتب لها كأنها قدامي بالظبط.. عارف قصة «بجماليون»؟ أنا حاسس إني قاعد أرسم تمثالها ليل نهار على أمل إنه يتحول امرأة حقيقية والقصة تكتمل من جديد..

- لكن يوم ما حسيت ببداية الانفصال هل ظهرت عليك شخصية نادية؟ أو بلاش شخصية نادية عشان انت بتتضايق.. هل ظهر عليك دور المدافع عن المرأة؟

- يوم الهجر هو يوم خروج الروح من الجسد الآخر وهو يوم الحزن الوحيد لأن أول ما بيحب الإنسان بتخرج روحه وتسكن في محبوبه فبيكون من المشهد غرقان في الحب والعشق ومش شايف روحه وهي بتخرج، ولكن يوم الهجر بيشوف روحه وهي بتطير بعيد وبتخرج من جسد محبوبته فبيكون أصعب يوم.. عارف زي ما قال خليل مطران:

فَكَأَنَّ آخِرَ دَمْعَة لِلْكَون قَدْ
مُزِجَتْ بآخِرِ أَدْمُعِي لِرِثَائِي
وَكَأَنَّنِي آنَسْتُ يَوْمِي زَائلا
فَرَأَيْتُ فِي المِرْآة كَيْفَ مَسَائِي

- آه قصيدة «المساء» لخليل مطران.. ذوقك حلو.. دي من أجمل ما قرأت..

- ما حدش بيحس بـ«مساء» مطران إلا لما يعيش لحظة هجر حقيقية لأن دي لا يمكن تخيلها على الورق.. هي لحظة السكر الحقيقي ولا كل خمور الدنيا ممكن توريك سكر لحظة هجر وفراق.

- لكن انت بتلتمس لها العذر؟

- ساعات بافكر إنها عاشت حالة نادية زي ما انا عيشتها.. ممكن يكون برضه عندها نفس القصة باسم رجالي مثلاً.. عارف زي قصة «عينيك قدري» لغادة السمان.. قريتها؟

- لا بصراحة.

- هي برضه كانت بنت من صغرها معيشينها حياة الراجل لحد ما كبرت

وحبت فبدأت تهرب من الحب لكن في النهاية اعترفت أن عيون حبيبها هي القدر..

- آه انت بتحاول تدور لها على مبرر إنها سابتك لدرجة إنك تنسب لها عقدك نفسها.. انت مضحي قوي مش كده؟ ده بيسموه «remorse» انت ندمان كأنك عامل جريمة مش باحس إحساس بالذنب انت حاسس بالندم على خجلك من نادية زمان وكأنك دلوقتي عايز تعترف بيها كابنة شرعية لروحك.

- تقدر تقول مش عايز اتخيل إنها غلطانة لأني مستني يوم الرجوع وده بيحصل بين القلوب اللي انفصلت عن بعضها في حالة إنهم فعلاً كانوا قلب واحد وانا مؤمن تمامًا إننا كنا قلب واحد..

- انت جاي هنا دلوقتي عشان عايز تخرج من شخصية نادية اللي ساعات بتكتب بيها وتكتب بشخصية تقدر تلوم على الحبيبة.. انت عايز تلوم عليها لكن المرأة اللي جواك أو جزء منها جواك مخلياك مش قادر تلومها إنما بتلوم نفسك بس.. دي حالة عكس الكبرياء لكن مش ذل.. صراحة أنا مستغرب..

- أنا نفسي ألومها واكتب موضوع كله قسوة في حقها، لكن مجرد ما بابدأ في ده القلم مش بيطاوعني وبابدأ أدافع عنها أو أبدأ في حالة غزل مجنون ما اعرفش اقوم إلا أما اخلصه..

- هتجيلي تاني جلسة واتنين وعشرة لحد ما نقدر نخرج منك روحك المستسلمة دي لروح تقدر تهاجم وتقدر تشوف مين اللي هجر ومين اللي لازم يعاتب بعين مجردة..

وبعد عشرين جلسة أحسست بموت نادية تمامًا وبدأت أتذكر يوم الفراق الذي لا نعرف كلانا سببه حتى الآن..

حاولت أن أهاجمها على الورق في أحد كتاباتي.. مسكت القلم وبدأت أحرق نادية تمامًا.. كتبت أول سطر.. أحسست بفرحة عارمة.. كتبت: «أيتها المرأة اللعينة.. أيتها الماكرة الـ...»، فجأة توقف قلمي.. شطبت كلمة «اللعينة».. وكتبت من جديد «أيتها المرأة الجميلة.. أيتها الماكرة الحسناء».. لا أعرف

كيف أقتلها داخلي إن كانت هي تقتل كل كلماتي.. وما زالت حالة «نادية» تعاود قلمي.. وما زلت جسد رجل تسكنني روح امرأة..

لماذا أحببت وقتلت رميساء الأدهم؟

سأبدأ من أول السطر.. إنها نقطة جديدة وفاصلة في حياتي.. سأعترف أمام محكمتي النفسية.. لماذا حقًّا أحببت رميساء الأدهم.. وسأقول لكم وسأدعي أنها سلسلة وسأقول كأنني هامش في كتاب «راجع قصة معتز ونادية»!!
وكعادتي وديدني ستتدخل القصة فيما أكتب.. وستحاول أن تدافع عن نفسها أمام القارئ.. ولكني في هذه المرة دخلت معملي الوجداني لأحضر خلطة «رميساء الأدهم»..
رميساء الأدهم ما هذا الاسم الغريب؟ هل تسمعون عن أبحاث الأسماء وعلاقتها بالشخصية؟ هل تصدقون هذه الأشياء؟ اعرف شخصيتك من خلال لونك المفضل أو اعرف شخصيتك من اسمك؟ أحيانًا أصدق لأنها تنطبق على حالتي.. لا أعرف لماذا اخترت هذا الاسم تحديدًا.. أنا لم أحب قط رميساء الأدهم.. ولكنها قناعي الروحي الذي أهرب إليه من ذكر الاسم الحقيقي.. حالة هروب ورقي كاملة دون مطاردة ولا مراقبة.. خزعبلات عاشق يهرب إلى نوافذ الكلمات وكم من الكلمات استباحت دماء الأقلام ومن يملكونها..
في المعمل الوجداني:
الأعراض:
تشنجات حادة ورفرفة قلبية..
حركة لا إرادية في منطقة الذراعين..

سقراط يحقنني بإحدى نظرياته في الوريد..
إغماء تخشبي ورغوة مدهشة تخرج من الفم..
وبدأت الكتابة قبل الإغماءة بثوانٍ وقلت:
سأقول لكم لماذا أحببت رميساء الأدهم.. سأعترف لكم بكل تفاصيل الحكاية..
القصة: أيها المجنون من هي رميساء؟ أنت لم تعشق من قبل أي رميساء؟ ألا تعرف أن كل خباياك في داخلي؟
هي: قولي له أيتها القصة.. إنه يحاول الهروب حتى من ذكر اسمي.. والأسماء آخر ما نملكه من لحظات الفراق.. لا يبقى إلا الأسماء..
أنا: مهلاً مهلاً.. لقد عقدتم صفقة إذًا.. آه أيتها القصة الخائنة..
القصة: لقد تركتك تتحدث من قبل في قصة «معتز ونادية» وهذه المرة لن تفلت مني ولن أتحمل خزعبلاتك الفلسفية.
هي: وشاهد شاهد.. لقد أهلكني عشقًا..
أنا: وأهلكتيني واقعية.
هي: أنا امرأة طبيعية.
أنا: وأنا رجل عاشق.
نادية: وأنا؟؟
ينظرون إليها في دهشة.. وتتدخل القصة وتشدها إلى الخارج:
القصة: اخرجي الآن من الحوار.. قبل أن أمزق نفسي..
نادية: تضطهدني أنا وتتركها في مواجهته مرة أخرى؟ أنا نصفه الأنثوي الرقيق.. لماذا هذا الإجحاف؟
أنا: أهلا نادية.. جنوني وريبتي واشتياقي.
هي: يا للسماء.. مرة أخرى.. امممممم رومانسية فظة.
أنا: في البدء كانت الرومانسية..
هي: في البدء كانت الفكرة.. بل إن الفكرة سبقت الوجود.. ألم تحدثني عن سقراط من قبل؟

انا: عندما أقول لك: حزن - شموع - دموع - روح - فرحة.. أتظنين أن هذه الكلمات تجسد الواقع؟ أن العاطفة أصل الحياة..

نادية: امممم بل هي الحياة والموت معًا.

هي «في يأس»: ألم تعد تحبني وأحببت من اخترعتها «رميساء الأدهم»؟ و«نادية» نصف شخصيتك الآخر؟ هل أحببت امرأتين كي تنساني؟ نصفها ورق ونصفها كيان؟

أنا: نعم فعلت.. مذنب سيدتي.. ولكن أنتِ السبب..

هي: وماذا فعلت؟ لأني كنت واقعية أكثر منك؟ هذا ذنبي؟ تتركني لأني لم أدخل محراب العشق إلا بساق واحدة بينما أنت تنام فيه وتصحو؟

أنا: لقد خلقت هذه الشخصيات كي أخونك في ذاكرتي بدلاً من أخونك في الواقع.. خيانة عقلية فقط أحتاج إليها كي أهرب منك.

هي: آه حقًّا؟ إنها خيانة أيضًا.. ألم تسمع باولو كويلو حينما تحدث عن عذرية الروح وعذرية الجسد؟ لمن عذرية روحك الآن؟

أنا: لك وستظل لك.. هل سمعتِ عن أسطورة «أنديميون».. لقد أغرقه القمر في حالة ثبات كي يستطيع أن يقبله!! وقد فعلها معي القمر أيضًا كي يستنشق من روحي عطر حضورك..

هي «في دلال»: ولو قلت لك أن تطردهم الآن وأبقى لك من جديد؟

نادية: لاااااااا إنها تلعب بك لا تجعلها تقتلك من جديد..

القصة: لاااااا اتركيها انت تعود من جديد بدلا من خيالاتك وأوهامك.

نادية: لا دخل لك بما يحدث أيتها القصة..

القصة: حقًّا؟ أنا عالمكم الذي تعيشون عليه.. وما العالم إلا قصة.. وما الحب إلا قصة.. وما البشر إلا شخصيات قصة.. وما الكون إلا كتاب.. تريدين طردي؟ أتنتحرين على سطوري يا نصف شخصية؟

أنا «في بداية غيبوبة»: أتركها الآن؟ لا.. لا.. دخل لك بـ.. لا دخل لك بها.

هي: ماذا جرى لك؟ غيبوبة العشق والهيام وأنفاس الشعر وبخور المحبة؟

أنا: نعم يا موتي اللذيذ إنها تحدث من جديد.. حالة السكتة الواقعية.. الانسلاخ من العالم المادي والذهاب ما وراء الفكرة.. مرحلة التذكر كما قال سقراط.. أعيش في تذكر الفكرة التي سبقت خلقي..

هي «في خوف»: ما.. ما الذي يحدث.. ما هذه الرغوة في فمك.. هل أنت مريض؟ يا الله ماذا يحدث؟

تحاول أن تهرب مسرعة.. تقف لها القصة ونادية بالمرصاد..

القصة: ها ها لقد خدعتك يا امرأة الواقع.. لقد تحالفت معك في البداية لأدخلك عالمي.. هل ظننتِ أنني سأخون سيدي وكاتبي؟

هي: أنتِ قصة حقيرة ومخادعة..

نادية: وما قولك أني اشتركت معهما في اللعبة..

هي: حتى أنت يا ابنة الرومانسية تخونين؟!

نادية: الخيانة من أجل الحب وفاء..

هي «تحاول الهروب من جديد»: افتحوا هذه السطور.. افتحوا الأبواب.. دعوني أخرج لعالم الواقع.. لن أتحمل الرومانسية المفرطة.. أخرجوني..

أنا «أقوم كالمريض»: ها أنتِ.. انتهى وقت الكلام.. إنه وقت انتقام العاطفة..

هي: أرجوك ارحمني.. ما الذي تريده؟ قد نعود لبعضنا يومًا ما.. أرجوك.. ولكن ليس بهذه الطريقة..

أنا: وهل ظننتِ أني سأعود لمن تخون عالمي العاطفي؟ سأمسخ شخصيتك الآن بدماء «رميساء الأدهم».

هي «تصرخ»: مجنووووووووون.

أنا: شدوا الحبال على جسدها الآن.. هيا.

تصرخ دون أن ينجدها أحد.. من الذي سيسمع صراخ امرأة يخرج من بضع أوراق.. لقد دخلت ما وراء عالم الحب.. ولن تخرج منه إلا رومانسية حالمة.. أنا ألقي تعويذة الغرام بدماء شخصية رميساء التي حاولت أن أهرب إليها بدلاً من ذكر اسم حبيبتي الحقيقي «هي»..

أخذت بعض دماء من ذراع رميساء ووضعتها في ماء يغلي وقلت:
باسم العشق والعشاق.. باسم الموت والأشواق
باسم إيزيس وعشتار.. والعاشقات وعاطفة النار..
يترنم الحضور من الأقلام والسطور مع التعويذة ويغنون في صوت واحد:
رومانسية رومانسية.. تموت الواقعية..
باسم النبض الخالد ودماء رميساء
أتوجه إليك يا عشق بالحب والدعاء..
باسم تولستوي وطوباوية ديستويفسكي
باسم المدن الفاضلة والعالم الأجمل..
فلتمُت ماديتها وبالعاطفة تتجمل..
يترنم الحضور من الأقلام والسطور مع التعويذة ويغنون في صوت واحد:
رومانسية رومانسية.. تموت الواقعية..
هي «تصرخ»: اتركوني أيها المجانين.. أنقذوني..
تسقط عليها بقع الدماء.. تقف مذهولة.. تنظر إليه وتقول فجأة: حبيبي.. أين القصائد والزهور؟ أين الحب والعطور؟ آه كم اشتقت لغربتي الوجدانية في تفاصيلك.. آه منك حبيبي..
نادية: لقد نجحت التعويذة.. ما أغربها الآن.. إنها لم تعد واقعية كما كانت..
القصة: نعم لقد خلقنا روحًا عاشقة جديدة كانت مصابة بمرض العالم المادي وعوالم ما فوق المخملية..
نادية: ولكن هل هذا يعني موتي؟
وقبل أن تكمل الجملة.. طعنتها القصة طعنة نافذة فارقت على أثرها الحياة..
أنا: حسنًا فعلت أيتها القصة.. لم نعد نحتاج إلى نصف أنثوي نهرب إليه الآن.. لقد أعدت حبيبتي للرومانسية وسأهرب أنا إلى الواقع.. وهذا هو عين الانتقام.. سأذيقها نفس المرارة..

القصة: يا خالق الكلمات على سطوري.. يا ناثر الدماء في حضوري.. أمرك مطاع أمرك مطاع..

جاءت هي بعد أن تحولت لامرأة رومانسية وقالت: سيدي وحبيبي.. يا حالة انخطافي.. يا حلم ليلة صيفي الجميل.. يا حالة بعثي من رقاد العاشقات.. قبلني كي أخرج من شهقتي كلمة على شفتيك.. المسني كي أخرج من إحساسي بمسامك إلى رعشة حب سماوية.. قبلني كي أنقسم ثلاثة آلهة وأقول لك «من الأجمل يا باريس؟».. اسحقني كي أصل لاكتفائي بأشجارك الوارفة وظلك الممدود..

لامس بحضورك غيبياتي.. استنشق رائحة اكتواء مشاعري الساخنة على ثلج يديك.. حررني من سجن رموشك إلى حدقة عينيك كي أجعلها عالمي الموازي.. اقتلني حية.. واحيني قتيلة في هواك..

أنا «في تكبر»: يا لرومانسيتك البلهاء.. هذه الأشياء عفا عليها زمني بزمان واقعي جديد.. أفيقي أيتها العاشقة.. لملمي أوراقك أيتها القصة.. سنرحل.. واتركي هذه المعذبة تكابد العناء في رومانسيتها..

القصة: أمرك يا سيدي.. أمرك يا خالق كلماتي..

القلم: هل تأمرني يا سيدي أن أبقى بجوار هذه المجنونة أحرسها كي لا تهرب من القصة؟

أنا: ها ها لن تهرب صدقني.. سأعود إليها كل فترة كي أقتلها قليلاً وأعذبها.. لا تحرسها.. الرومانسية تحرسها..

في المعمل الوجداني:

الأعراض الجديدة:

صداع رهيب..

جفاف مشاعر حاد..

نقص في فيتامين «حب»..

اختناق وحشرجة في القصبة العشقية..

واقعية..
أفيق من حلمي وأخرج من معمل وجداني.. وعندما سألني أحدهم.. «إنت كنت نايم ولا فين؟ وإيه الدم اللي على شفتك ده يا بني؟؟».
كيف أقول له بالله عليكم: «ده دم رميساء الأدهم»؟!

ياسين عايش على حباية رز

لم يكن الدكتور رامي يتوقع أن يعيش في إحدى القصص التي قرأ عنها دائمًا.. فعندما يقرأ أحدنا قصة قصيرة أو رواية لا يحلم أن يكون جزءًا منها إلا لو كانت رومانسية.. أما القصص الدرامية الكئيبة فيتركها الجميع لحكم الدموع وأشجان القلب.

كان الدكتور رامي في إحدى الليالي يسهر في المستشفى كعادته ويتصفح الكتب التي يفضلها ويقول لنفسه كالعادة:

- آه بجد مش عارف الراجل ده كتب الرواية دي ازاي؟ بجد مش عارف؟

قاطعه صديقه علاء قائلاً:

- بتكلم نفسك يا رامي ولا إيه؟ هو مين ده اللي مش عارف عمل كده ازاي؟

- يا أخي كل مرة اقرا لهيمنجواي أسأل هو الراجل ده إنس ولا جن.. بجد جنني.. خلاص مش ممكن تكون دي كتابة بشرية.. ده مستحيل..

- خلاص هدي نفسك يا سيدي.. اقرا براحتك بس شوف الحالة الجديدة اللي جاية المستشفى اللي كله خايف منها وبيقولوا أصعب حالة..

- آه زي كل مرة بيقولوا أصعب حالة وبتتحل في الآخر وبنعرف سبب عقدته.

- لا يا رامي دي حالة أغرب من الخيال.. انت شوفت فيلم «pax – k»؟
- بتاع كيفين سبيسي؟ ده فيلم قوي جدًّا.. بس إوعى تقول لي إن...
قاطعه علاء:
- بالظبط كده.. شبه الحالة دي كده.. عرفت بقى إننا في ورطة المرة دي ومش سهلة؟
- بس فيه الفيلم كان المريض مقتنع إنهم هينادوه من كوكب تاني وإن ده مش وطنه ودي مش أرضه..
- هي نفس الفكرة بس مريضنا المرة دي مقتنع إن وطنه الأصلي «حبة رز» وإنهم هينادوه وهو مستني النداء ده.
رامي مندهشًا:
- نعم يا اخويا؟ حبة رز؟
- أيوه أنا استغربت زيك كده بالظبط عشان تعرف قد إيه المشكلة اللي احنا فيها المرة دي، وإنها عايزة صبر ويمكن تستمر فترة طويلة جدًّا على ما نعرف مشكلته ونفك اللغز.
- وجيبتوه منين ده؟ يعني مالوش عيلة أو أهل؟
- للأسف مقطوع من شجرة وكان بيحدف الناس بالرز وبيمسك حبة الرز ويقول عليها طيارة ويلف في الشارع ويقول: «الطيارة بتطير فووووووو».
- أنا لها.. هو صحيح انا كنت باخاف اعيش في جو أفلام «السيكو» بس انت شوقتني.. خصوصًا أما قولت لي إنها شبيهة بالفيلم اللي باموت فيه..
- اسأل دكتور حمدي إذا كان هياخدك معاه في فريق الحالة دي.. انت دكتور متميز وتستاهل.. وتقدر كمان.
- شكرًا يا علاء..
لم يكن رامي يعرف ما تورط فيه وأنه وضع قدميه على أول طريق الخوف بإرادته الحرة.. لم يكن يعلم أي مخزن ذكريات يتغذى عليه هذا الرجل الغريب الجديد الوافد إلى المستشفى وهل سيستطيع أن يركب معه مراكب

حياته كما قالت أحلام مستغانمي «مراكب محملة بالأوهام عادت.. وأخرى بحمولة الحلم ذاهبة»!!

سار رامي وسند رأسه إلى جدار المستشفى وهو يراقب الحالة من بعيد وتدمع عيناه وهو يحزن لحالة المريض الجديد ويقول لنفسه أبيات لصلاح جاهين:

يا قرص شمس ما لهش قبة سما
يا ورد من غير أرض شب ونما
يا أي معنى جميل سمعنا عليه
الخلق ليه عايشين حياة مؤلمة
عجبي!!

ووقع عليه الاختيار مع فريق طبي لاكتشاف حالة المريض ياسين وبدأت الجلسات فيما بينهم وأول حوار، قال له رامي:

- إحنا أصحاب يا ياسين مش كده؟

يرد ياسين عليه ويقول له:

- انت مش مصدقني زيهم.

- انت هتشرح لي ازاي انت عايش في حبة رز.

- انت شايفني مجنون زيهم.. بس اسمع.. انت غيرهم.. أيوه انت غيرهم.. أنا سمعتك وانت بتقول شعر صلاح جاهين جنب الجدار..

- انت سمعتني؟

- أيوه.. أنا بحبه.. ده من شعراء الرز.. عايش معايا في حباية الرز..

- ومين كمان عايشين معاك هناك؟

- نزار قباني وناس كتير.. حياة كاملة بس ناقصها بشر..

- انت فيلسوف مش مكانك المستشفى دي بقى..

- أنا مش مجنون.. كل الحكاية إني عايزهم يسيبوني أرجع للرز وادخل في الحباية.. مش انت بتحب صلاح جاهين؟

- جدًّا ومين ميحبوش؟
- طيب سمعت لما قال:
أحب أعيش ولو في الغابات
أصحى كما ولدتني أمي وابات
طائر.. حوان.. حشرة.. بشر.. بس اعيش
محلا الحياة.. حتى في هيئة نبات
عجبي!!
- الله عليك..
- شوفت إنه كان ممكن يعيش حتى في هيئة نبات؟ طيب ليه انا بيعتبروني مجنون عشان عايز أعيش في حبة رز؟
- هتسيب الكون ده كله وترحل في حبة رز؟
- نوح ساب الكون ده كله وهاجر في سفينة.
- بس ده أمر إلهي.
- وده أمر برضه.. بس ما اقدرش أقول لك من مين.. يمكن من مكان بعيد في حبة الرز بينادي سميته «دير ياسين» زي مكان جرح أوطاننا القديم.. أنا لازم أرجع دير ياسين في حباية الرز..

توالت الجلسات بين رامي وياسين على مدار أكثر من سنتين وتوالت الأشعار بينهما وحكايات عن هيمنجواي الذي يعشقه رامي.. لم يكن رامي في جلساته يعتقد أنه يحاور مجنونًا فكل كلام ياسين كلام متزن جدًّا إلا حكاية «حبة الرز» التي أصبحت اللغز الذي يريد أن يكشفه رامي ليس للمستشفى بل لنفسه أولا.. لأنه اعتنق الحكاية أكثر مما يعتقد حتى أصبح جزءًا منه وكأنه أصبح يعيش مع القصة دور الضحية وتلك القصة هي القاتل، ولكن يعيش الآن حالة «التوحد مع القاتل»!!

وفي أحد الأيام بدأ رامي يراقب ياسين دون أن يشعر.. وجده ذات مرة يخبئ شيئًا ما وينظر إليه ثم يخبئه مرة أخرى كل فترة.. لم يدرِ رامي ما يخبئه..

هل خبأه ياسين أو أن هذا الشيء هو ما يخبئه القدر لحل اللغز أخيرًا بعد كل هذه الفترة؟

خرج ياسين إلى ميعاد الطعام كالمعتاد وبدأ في شجاره المعتاد مع أي منهم يأكل حبة رز واحدة التي اعتبرها مقدسة ولا يمكن أكلها.. وأخذوه لجلسة الكهرباء.. وفي أثناء ذهابه لمح غرفته المفتوحة ولمح رامي في غرفته يمسك في يديه صورتين ويدمع..

ويصرخ ياسين وهو محمول ومربوط من أجل جلسته:

- بتعمل إيه في أوضتي يا رامي؟ مش قولت لي احنا أصحاب؟ انت بتراقبني يا رامي؟ انت خاين يا رامي.. انت منهم يا رامي..

صرخ رامي في كل من حوله:

- سيبوه.. سيبوه..

ذهل كل من في المستشفى وقال الطبيب أشرف:

- ما لك يا رامي.. نسيبه ليه؟ ده لازم ياخد الجلسة لأنه النهارده عمل نفس التصرفات العدوانية بتاعته.

قال رامي في هدوء:

- سيبوه يروح لحبة الرز.. ولو يوم واحد وهو هيخف على طول.. سيبوه يروح دير ياسين..

كانت الإجابة التي فتحت عيون الجميع من الدهشة ونظروا إلى الدكتور رامي معتقدين أنه أصيب بالجنون هو الآخر.. وبدأ الجميع يتهامسون بينما جلس رامي على كرسيه كأنه أصابته صاعقة وسقطت من يديه صورتان لرامي مع حبيبته.. إحداهما وهما يقفان وخلفهما محل مكتوب عليه «اكتب اسمك واسم من تحب على حبة الرز».. والأخرى صورة في المطار وهي تسافر وهو يودعها..

وعرف أخيرًا رامي سر «حبة الرز الطائرة».. وسر حنين رامي لحبة الأرز.. وقال لنفسه:

- ده مش مجنون.. كلنا عايشين في نفس حبة الرز دي!

المحتويات

٥ جميلة
١٩ اصبغي شعرك باللون الأحمر
٢٩ قواعد القلب الإحدي والأربعون
٤٣ زينة وعرش الملك
٤٩ جياع المدينة يحكمون
٥٧ الحب ومزمار فيثاغورث
٦٥ خمارة الشيخ مرسي
٧٧ جدي الحبيب الحاج عبد الرؤوف
٨٧ محمود بفستان الفرح والطرحة
٩٩ خوازيقك يا وطن
١٠٧ طائرة ورقية علي خريطة الملائكة
١١٧ مولد العروسة باربي
١٢٧ ايزيس تقابل رادوبيس في كوستا
١٤٧ شريف هوجان
١٥٧ النحلة والقواد والوحيد
١٧١ femme fatale
١٨٥ الجاثوم
٢٠٩ رغبات المرايا

المحتويات

٢١٧ سالي لا تفضل الباربكيو
٢٢٥ اسر الكوخ المعكوس
٢٣٥ سارة بتاعة زمان
٢٤٥ أمنيات في بئر مسعود
٢٥٥ شطرنج من غير ملك
٢٦٥ معتز ونادية
٢٧١ لماذا أحببت وقتلت روميساء ؟
٢٧٩ ياسين عايش علي حباية رز

صدر للكاتب :

- أحلام الدانتيل - نصوص - دار الربيع العربي

-الضفادع لا تشرب الماريجوانا - مقالات ساخرة - دار الحلم للنشر